

الإيمان بالغيب

الأستاذ الدكتور
بسام علي سلامة العموش



الإيمان بالغيب

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/٩/٤١٩٣)

٢٤٤
العموش، بسام
الإيمان بالغيب/ بسام علي سلامة العموش - عمان:
دار المأمون، ٢٠٠٩
(٣٨٤) ص.
ر.أ: (٢٠٠٩/٩/٤١٩٣).
الواصفات: /الإيمان// الغيبيات/ /الإسلام// الشريعة الإسلامية

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الاولية



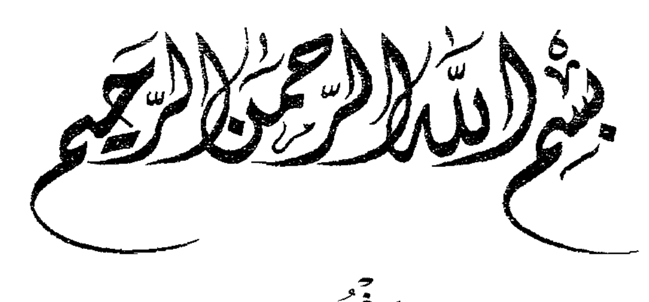
دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

الإيمان بالغيب

أ.د. بسام علي سلامة العموش



دار المأمون للنشر والتوزيع



هذا الكتاب

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير حصل الباحث بها على الدرجة العلمية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض / ١٩٨٠ م

بإشراف الشيخ الدكتور سالم عبد الله الدخيل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وبعد :

فقد قمت بإختيار موضوع (الإيمان بالغيب) للتحضير لرسالة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في المملكة العربية السعودية ، ويعود سبب اختياري للموضوع أنني قد قد عشت في المملكة المغربية ما بين عامي ١٩٧٣ – ١٩٧٦ م وكانت تلك الفترة فترة المد الشيوعي والاشتراكي في صفوف الطلبة ، وقد دخلنا في حوارات شاقة ومضنية مع الشبيبة الشيوعية وكانوا يتندرون على عقولنا الميتافيزيقية (أي الغيبية) مؤكدين لنا أن من يؤمن بالغيب هو مؤمن بالخرافة والدجل ، وأن النظرية الشيوعية هي الصواب في تفسير الكون والإنسان والحياة .

أردت في هذه الرسالة أن أرد على هؤلاء وأمثالهم ممن جرفتهم التيارات الهدامة فكان هذا الكتاب .

ولقد سارع أخي الشيخ إبراهيم المشوخي (مكتبة المنار / الزرقاء / الأردن) لطباعته طبعة أولى ولم أتمكن من تدقيقها لأن الطباعة تمت خارج الأردن . واليوم وبعد أكثر من ربع

قرن كرمني الأخ الدكتور مأمون فريز جرار (صاحب دار المأمون / الأردن) بطباعة الكتاب طبعة ثانية كي يبقى الكتاب حياً بين القارئين وفي رفوف المكتبات ، وقد قمت بتدقيقه وإضافة ما يلزم سائلاً المولى جلت قدرته أن ينفع به وأن يجعله ذخراً لي يوم الدين ، إنه سميع مجيب .

أ.د. بسام العموش

عمّان ١٩/ ٨/ ٢٠٠٩م .



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

(أ) حقيقة الغيب لغة واصطلاحا

الغيب لغة[1] كل ما غاب عنك أو هو كل غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، وغاب الأمر عني غيباً ومغيباً. وسمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه، والغيب خلاف الشهادة والحضور، والمغايبة هي المخاطبة، وغيبه غيابة أي دفن في قبره وغاب الرجل غيباً وتغيب فسافر، وامرأة غاب بعلها أو أحد من أهلها يقال هي مغيبة ، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلاً (أي عشاء) كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة [2] . وفي حديث آخر عن ابن عباس أن امرأة مغيباً أتت رجلاً تشتري منه شيئاً فقال: أدخلي

---

١ . أنظر لسان العرب ((لابن منظور ١/ ٦٥٤ دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر طبع عام ١٣٨٨هـ

٢ . رواه مسلم ٣/ ١٥٢٧ الطبعة الأولى طبع عيسى البابي الحلبي عام ١٣٧٥هـ .

الدولج[1] حتى أعطيك فدخلت فقبّلها وغمزها فقالت: ويحك إني مغيب فتركها وندم على ما كان منه ..[2] الحديث.

ويقال يتغايبون ويغيبون ولا يتغيبون، وغابت الشمس غربت ، وغاب القوم دخلوا في المغيب، والغيبان هي الشجرة عروقها غائبة في الأرض فحفرت عنها حتى ظهرت، والغيب من الأرض ما غيبك وجمعه غيوب ، ووقعوا في غيابة من الأرض أي مهبط منها، أنشد ابن الأعرابي .

إذا كرهوا الجميع وحل منهم أراهط بالغيوب وبالتلاع

وغيابة كل شيء قعره وفي قصة يوسف قال الله عز وجل ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ [يوسف: ١٠] والغيبة من الاغتياب ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[الحجرات: ١٢] وإذا وقع المرء في غيره من الكلام وكان الكلام صدقاً، فإن كان كذباً فهو البهتان كما ورد في الحديث[3]. وشاة ذات غيب أي ذات شحم لتغيبه عن العين. والغابة الأجمة التي طالت ولها أطراف مرتفعة باسقة وفي الحديث .. حدثنا أبو حازم[4] قال سألوا سهل بن سعد من أي شيء المنبر

---

١ . قال في لسان العرب ٢/ ٢٧٤ (الدولج : وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير) .

٢ . رواه أحمد في مسنده ١/ ٢٦٩ طبع المكتب الاسلامي ط ١ عام ١٣٨٩ هـ وقال الساعاتي في الفتح الرباني ١٨/ ١٨٠ (تخريجه: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن جرير عن أبي اليسر صاحب القصة ورجاله ثقات وله شواهد كثيرة تعضده)

٣ . أنظر مسلم ٤/ ٢٠٠١ دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية .

٤ . قال ابن حجر في الفتح هو ابن دينار.

.. فقال ما بقي في الناس أعلم مني، هو من أثل [1] الغابة عمله فلان مولى فلانة لرسول الله ﷺ وقام عليه ﷺ .. الحديث [2].

والغابة الأجمة ذات الشجر المتكاثف لأنها تغيب ما فيها والجمع غابات وغاب.

أما الغيب في الاصطلاح: فقد وردت مادة الغيب في الكتاب والسنة [3]، لقد جاءت مادة الغيب في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعاً، وأهم المجالات التي ذكر فيها الغيب هي:

أولاً: ما غاب عن الحواس كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] وقوله تعالى ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الطور: ٤١].

ثانياً: إن الله عالم الغيب كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف: ٢٦].

ثالثاً: القصص الماضية من الغيب الذي لا يعلمه الرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

---

١ . قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ١٢ الأثلة شجرة من العضاة طويلة مستقيمة الخشبة تعمل منها القصع والأقداح.

٢ . أنظر البخاري مع شرحه الفتح ١/ ٦٨٤ الطبعة السلفية.

٣ .أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف للفيف من المستشرقين.

رابعاً: عدم اطلاع الله الناس على الغيب قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

خامساً: وصف المؤمنات بحفظ أنفسهن في غيبة أزواجهن قال تعالى: ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ [النساء: ٣٤].

سادساً: من صفات المؤمنين خشية الله في الغيب قال تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقال: ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

سابعاً: نفي علم الرسول ﷺ للغيب قال تعالى على لسان نبيه ﷺ ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ثامناً: إن للغيب مفاتح قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ومفاتح الغيب هي المذكورة في سورة لقمان وهي خمسة وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل.

يتلخص مما سبق أن الغيب في القرآن هو ما غاب عن الحواس وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه الرسول ﷺ فضلاً عن بقية الناس إلا من أطلعه الله على شيء منه.

أما الغيب في السنة فقد وردت كلمة الغيب في أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي:

الحديث الأول: عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء

حزني وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً ، فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال : بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها)) [١] .

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت من حدثك أنّ محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: { لا يعلم الغيب إلا الله }[٢] .

الحديث الثالث : عن أبي مجلز قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها ، فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود .. قالوا: بلى أما إني قد دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كان الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة .. الحديث [٣] .

وفي هذه الأحاديث نجد أن رسول الله ﷺ يعتبر الغيب علماً ويقرن بين الكلمتين : (العلم ، الغيب) على اعتبار أن الغيب لا يتناقض مع العلم، وعلى اعتبار آخر هو أن الإيمان بالغيب يجب أن يكون عميقاً إلى درجة اعتباره علماً ثم الإشارة إلى أن العلم الحقيقي هو علم الغيب.

---

١ . رواه أحمد في مسنده ١/ ٣٩١ قال في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٦ (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار.. ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان)

٢ . أنظر البخاري بشرحه الفتح ١٣/ ٣٦١ وقوله (لا يعلم الغيب إلا الله) ليست آية وورد في مسلم ذكر الآية أنظر ٣/ ٩.

٣ . رواه احمد ٤/ ٢٦٤ وأورده ابن تيمية في (الاحتجاج بالقدر) وقال المحقق (زهير الشاويش) صححه الحاكم ووافقه الذهبي

فالغيب في السنة علم مستقبل استأثر الله بعلمه، وهذا الغيب هو ميزان الخشية إذ الخشية في الغيب أفضل بكثير من الخشية بالشهادة، والغيب لا يعلمه الرسول ﷺ .

وقد تكلم علماء الإسلام على الغيب وأوضحوه فقد عرّفه الراغب الأصفهاني [1] : بأنه ما غاب عن الحاسة وعلم الإنسان (أي وعن علم الإنسان) [2] .

وعرّفه الرازي بأنه ما غاب عن الحواس وقال رأي جمهور المفسرين [3]. وعرّفه الباجي بأنه المعدوم، وما غاب عن الناس [4]، ويؤخذ على هذا التعريف قوله (المعدوم) لأن الله من الغيب وليس معدوماً. ثم إن المعدوم لا وجود له أصلاً فليس من الغيب ، حيث إن الغيب موجود ولكنه مخبأ، لأننا لم نعرف أنه معدوم إلا بعد اطلاعنا على عدم وجوده.

وعرّفه ابن العربي بأنه ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر [5].

وقال النيسابوري على هامش الطبري: (وقال بعض الشيعة : المراد بالغيب المهدي المنتظر [6] وهذا تخصيص لا داعي له حتى لو فهمت كلمة المهدي بمفهوم أهل السنة ، لكنهم

---

١ . قال في الاعلام ٢/ ٢٧٩ (هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني او الأصبهاني المعروف بالراغب أديب من العلماء له مؤلفات كثيرة (جامع التفسير ، المفردات ، محاضرات الأدباء وغيرها) توفي ٥٠٢ هـ .

٢ . أنظر مفردات غريب القرآن ص ١٠٩٠ تحقيق محمد سيد كيلاني طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر

٣ . أنظر تفسيره ٢/ ٢٧ ط ٢ دار الكتب العلمية بطهران

٤ . أنظر المنتقى ١/ ٣٣٤ ط١ سنة ١٣٣١هـ مطبعة السعادة بمصر. قال في الأعلام ٣/ ١٨٦ (سليمان بن خلف الباجي فقيه مالكي قرطبي من رجال الحديث توفي عام ٤٧٤هـ).

٥ . أنظر أحكام القرآن ١/ ٨ ط ٢ الحلبية تحقيق محمد علي البجاوي

٦ . تفسير الطبري ١/ ١٣٤ ط ٢ ١٣٩٢هـ دار المعرفة بيروت .

خصصوا والله أعلم لأن عقيدتهم تقوم على اعتبار المهدي المنتظر هو محمد العسكري المختفي في سرداب سامراء حسب رأيهم .

وقال التهانوي[1] في كشافه : إنه الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس. ولا يقتضيه بديهة العقل[2] . ويؤخذ على هذا التعريف أن ليس كل المغيبات لا تقتضيها بداهة العقل فمثلاً: الله سبحانه وتعالى من الغيب ولكن بداهة العقل تقول بوجوده وتقتضيه.

أما من المُحْدثين فقد عرّفه محمد فريد وجدي بقوله: الغيب المقابل للواقع أو خلاف الواقع[3] ، وهذا تعريف مرفوض لأنه يصرح بأن الغيب ضد الواقع وكأن الغيب شيء خيالي لا حقيقة له.

وقال الدكتور أحمد الشنتاوي: الغيب هو ما لا نعتمد في إدراكه على إحدى الحواس[4] ويؤخذ عليه أن الإنسان يستعمل حواسه فيدرك آثار الغيب فيعرف أن هناك غيباً. وقال عبد الكريم عثمان إن الغيب هو ما غاب عن الحس وأدركه الإنسان بتحليله الفكري أو بالخبر اليقيني عن الله ورسوله، أو أن يبقى سراً مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه، ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير[5] .

وإذا رجعنا إلى تعريف ابن العربي وجدناه يصطدم مع تعريف عبد الكريم عثمان لأن الأول قال : (بالخبر دون النظر) بينما قال الثاني : (وأدركه الإنسان بتحليله الفكري).

---

١ . قال في الاعلام ٧/ ١٨٨ (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي التهانوي توفي ١١٥٨ هـ).

٢ . كشف اصطلاح الفنون. المجلد الثاني ص ١٠٩ طبعة الهند كلكته.

٣ . نقل عنه ذلك مصطفى صبري في كتابه (موقف العقل) ١/ ٣٢.

٤ . أنظر (التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً) ص ٥ دار المعارف بمصر.

٥ . أنظر (رحلة عبر الغيب) ص ٢٣ ط ١ دار السلام للنشر والتوزيع - حلب

وأرى أن الثاني أصح لأن بعض الأمور الغيبية تدرك بالنظر، وهو التحليل العقلي والفكري كوجود الله سبحانه وتعالى .

يتبين مما سبق أن أفضل التعريفات هو تعريف الراغب والرازي وعبد الكريم عثمان، وأميل إلى اختيار التعريف الأخير كتعريف نموذجي متكامل.

وجه تفضيل هذا التعريف على غيره أنه تعريف شامل حيث إنه جاء على الغيوب كلها. فالغيب الذي لا يقع تحت الحواس يدخل فيه لقوله : (ما غاب عن الحواس) ويدخل فيه الغيب الذي يمكن أن يدركه الإنسان عقلاً (كوجود الله) لقوله : (وأدركه الإنسان بتحليله الفكري) ويدخل فيه الغيب الذي استأثر الله بعلمه لقوله : (أو يبقى سراً مكتوماً يعجز الإنسان عن إدراكه ولا يعلمه إلا اللطيف الخبير).

أما التعاريف الأخرى فغير شاملة إذ فيها مدخل إو مداخل للانتقاد، وليست جامعة مانعة فتعريف التهانوي نقدناه لقوله: (ولا يقتضيه بداهة العقل) ولم يذكر أنه تقضتيه النصوص أو يبقى سراً في علم الله. وتعريف الأصفهاني اقتصر على ذكر ما غاب عن الحواس ولم يذكر امكانية الإدراك عقلاً وشرعاً، ولم يذكر أن منه ما يبقى سراً. وتعريف الباجي رفضناه لقوله (المعدوم). والرازي أيضاً لم يذكر إلا أنه ما غاب عن الحواس وكذلك الشنتاوي. ورفضت تعريف محمد فريد وجدي لقوله (خلاف الواقع) بينما عارضت تعريف ابن العربي لقوله (بالخبر دون النظر) لأن بعض الغيبيات يدرك بالنظر. ومع هذا فإنني أرى تبديل كلمة (أدركه) عند عبد الكريم عثمان بكلمة (علمه)، وذلك حتى لا نصطدم مع قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

الباب الأول

الفصل الأول

(ب) خصائص الغيب

الغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان فيعلو الدرجات في الرقي، وينفرد عن من لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، وهذه نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله. والغيب هو المقابل للشهادة، وهو العتبة التي يقف عندها البشر من حيث المعرفة فهو الله عز وجل بل هو الفيصل بين العبودية والألوهية الكاملة، وعليه فعلم الغيب على وجه الإحاطه به من خصائص الله سبحانه وتعالى، أما البشر فليسوا مهيئين بتكوينهم هذا للاطلاع على الغيب إلا القليل منه، وهو الذي يطلعهم عليه ربهم عز وجل لا بقدرتهم الخاصة، ولهذا قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ويقول على لسان رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فحصر الله علم الغيب المطلق فيه وحده قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩] وقال ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل: ٦٥]. وليس البشر وحدهم هم الممنوعون عن علم الغيب المطلق بل حتى الجن والملائكة ممنوعون عن هذا رغم أنهم يعرفون بعض ما لا نعرفه لأن الأمر نسبي. وقد أوضح الله عز وجل عدم علم الجن للغيب

المطلق في قصة سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

قال محمد الغزالي: (وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر، إنهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم، ولكنهم لا يعلمون الغيب، وما يكون غيباً أحيانا بالنسبة لنا قد يكون عياناً بالنسبة لهم، والحدأة[١] لا تعلم الغيب إذا كانت ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا، فإذا استطاع شيطان أن يعرف بعض ما نجهل عن الأشخاص أو الأشياء، وهي معروفة محدودة وقد تكون مغلوطة، فليس هذا علماً بالغيب، وبالتالي فإن ما يثرثر به في مجالس التحضير لا يدل على شيء ذي بال)[٢]. فمعرفة الغيب المطلق والإحاطه به من خصائص الله سبحانه وتعالى، ومع هذا فالأنام يعلمون (من الغيب)ولا يعلمون(الغيب)، وهذا القليل من الغيب تحصَّل لهم بتعريف الله تعالى لهم إياه، فليس بذكاء ولا بجهد، وإنما اصطفاه الله عز وجل لأناس من خلقه وتخصيص منه لهم بذلك، قال رشيد رضا في تفسيره: (إن الوحي ضرب من العلم الضرورة لا الكسبي، ولذلك كان فتور الوحي شاقاً على الرسول ﷺ وهذا لا يمنع أن يكون عنده استعداد فطري للخير، لكن هذا لا يقتضي النبوة)[٣] فهو اصطفاء واختيار وتخصيص بمعرفة جزء من علمه، قال تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾[الجن: ٢٦ – ٢٨] . يقول محمد البهي: أي ومع كون غيب الله لا يطلع اطلاقاً عليه أحد إلا الرسول المختار فقط ، فإن الله

---

١ . قال في لسان العرب ج ١ ص ٥٤ (الحدأة طائر يصيد الجرذان)

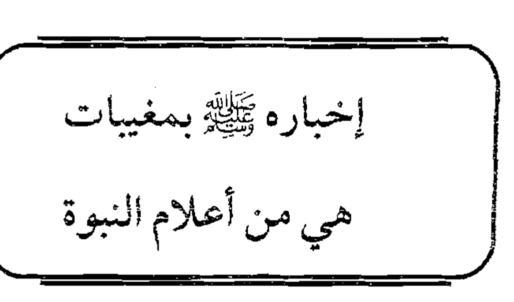
٢ . انظر ركائز الإيمان ص ٣٥٩ مكتبة الأمل العالمية . الكويت . عام ١٣٨٧ هـ .

جل شأنه يقيم رقابة مشددة حول هذا الرسول تمنع تسرب الغيب منه لأحد سواه)[1] وقوله (تمنع تسرب الغيب منه لأحد سواه) ليست دقيقة ، بل متعارضة مع تبليغ الرسول ﷺ الرسالة للناس، والأولى أن يقول: (يقيم رقابة مشددة ليعلم صدق الرسول في تبليغ ما علم من الغيب) كما قال تعالى في نفس الآية: (ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلَّ شيء عدداً). وبهذا ندرك تفسير الأخبار التي وردت عن الرسول ﷺ عن بعض الغيبيَّات التي سيأتي ذكرها.

إن علم البشر للغيب ليس من ضرورات الخلافة في الأرض[1]، ولو كان كذلك لأطلعهم الله عليه حيث أنه كلفهم بالخلافة وهيأ لهم كل ما يلزم من أجل هذه الخلافة، ولو كان علم الغيب من ضرورات الخلافة، ولم يعطهم إياه لكان تكليفاً بما لا يطاق وحاش لله.

والجزء البسيط الذي أطلع الله عليه بعض مخلوقاته هو من ضرورات الحياة ليتحقق الابتلاء الذي خلق الله عز وجل الخلق من أجله، ومن هذا الغيب ما أخبر به الرسول ﷺ من أخبار كدلائل على صدق النبوة. يقول رشيد رضا: (وهو كقول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٩] وقول الله تعالى على لسان يوسف ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ [يوسف: ٣٧].

١ . بتصرف عن كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب ط ٧ ج ١ ص ٧٠ دار المعرفة.



ينقسم إخبار الرسول ﷺ بالمغيبات إلى قسمين:

الأول: وهو الذي ورد في القرآن الكريم.

الثاني: وهو الذي ورد في السنة الثابتة.

وكلاهما من علم الله تعالى الذي أعطاه لرسوله ﷺ ليكون دليلاً على صدق نبوته. ونبدأ بذكر نماذج مما ورد في القرآن الكريم.

(أ) قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥] فالسين للاستقبال والسورة مكية وهزموا يوم بدر فقد رماهم رسول الله ﷺ بقبضة من الحصباء، فعن كريم بن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا)[1].

(ب) قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم: ١ - ٤] وهكذا كان بعد بضع سنين كما أخبر الله تعالى.

١ . أنظر تفسير الطبري ١٣/ ٤٤٣ دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر

(جـ)وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور: ٥٥] وقد تحصل لهم هذا الاستخلاف.

(د) قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[الجمعة: ٦ – ٧]، وكان كما أخبر فلم يتمنوا الموت من قديم الزمان إلى يومنا هذا.

(هـ) قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد: ١ – ٥] وقد نزلت هذه السورة وأبو لهب حي يرزق ولم يستطع إبطال هذه الآية بأن يدخل في الإسلام، لأن الله أخبر أنه من أهل النار وهكذا مات على الكفر هو وزوجته ليكونا من أهل النار.

(و) قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

(ع) قوله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[الفتح: ٢٧].

أما الأحاديث فكثيرة، تبين علم الرسول ﷺ لبعض الغيب كما أخبره الله ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي ﷺ هيبة أن ينزل

فينا شيء فلما توفي النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا)[1]. وعن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون بين يدي الساعة إلا ذكره في مقامه ذلك، فحفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قال حذيفة فإني لأرى أشياء كنت نسيتها فأعرفها كما يعرف الرجل الرجل قد كان غائباً عنه فيراه فيعرفه)[2].

والأحاديث التي أخبرت بالغيبيات نوعان :

(أ) النوع التي تحقق وقوعه، ونوع لم يتحقق حتى الآن.

أولاً : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)[3]، وقد وقع ذلك في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وفي الحديث بشارة بانقطاع ملك الفرس والروم.

ثانياً: عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ أسرعكن لحاقاً بي أطولكنّ يداً، قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت: فكانت أطولنا يداً زينب[4].لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق)[5]. قال النووي: (معنى الحديث أنهن ظننّ أن المراد بطول اليد الحقيقية

---

١ . أنظر البخاري بشرحه الفتح ٩/ ٢٥٣ الطبعة السلفية

٢ . رواه أحمد ٥/ ٣٨٥.

٣ . رواه الشيخان البخاري مع الفتح ٦/ ٦٢٥ . مسلم ٤/ ٢٢٣٧ ط ١ واللفظ للبخاري.

٤ . قال في الإصابة ٤/ ٣٠٧ (زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين. نزلت بسببها آية الحجاب وكانت تفخر بـأن الله زوجها للرسول ﷺ (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) توفيت سنة ٢٠ هـ.

٥ . رواه مسلم ٤/ ١٩٠٧ فضائل زينب.

وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير ، فماتت زينب أولهن ، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود)[1].

ثالثاً: عن عدي بن حاتم[2] قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها. قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة[3] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دعّار[4] طيء الذين سعروا البلاد؟ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز؟ ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولون ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى ، فيقول: ألم أعطك مالاً أفضل عليك؟ فيقول : بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز

---

١ . أنظر مسلم بشرح النووي الجزء ١٦/ ص٨ المجلد٨

٢ . قال في الاعلام ٥/ ٨(عدي بن حاتم الطائي. صحابي. رئيس طيء في الجاهلية والإسلام . أسلم عام ٩هـ وشهد الفتنة مع علي وتوفي ٦٨هـ بالكوفة)

٣ . قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٤٠٢ (الظعن والإظعان والضعائن هي الجمال عليها الهوادج).

٤ . قال في لسان العرب ٤/ ٢٨٦ (رجل داعر خبيث مفسد ، ويجمع على دعار ، وأراد بهم عدي قطاع الطرق) بتصرف.

كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه)[1] وقد وقع في زمن عمر بن عبد العزيز البحث عمن يأخذ الصدقة فلم يجدوا فردت الصدقة إلى بيت المال.

رابعاً: عن قيس بن أبي شهم قال: مرت بي جارية بالمدينة فأخذت بكشحها[2]، قال وأصبح الرسول يبايع الناس يعني النبي ﷺ قال فأتيته فلم يبايعني، فقال: صاحب الجبيذة الآن قال: قلت والله لا أعود ، قال: فبايعني)[3].

خامساً: عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل ، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ فجئناهم إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم ، فانطلقت أنا وعلي فاضجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب ، فنمنا فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي : يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تبل منه هذه يعني لحيته[4].

---

١ . البخاري مع الفتح ٦/ ٦١ السلفية.

٢ . قال في لسان العرب ج٢ ص ٥٧١ (الكشح ما بين الخاصرة وإلى الضلع الخلفي وهو من لدن السرة إلى المتن وقبل الكشح هو الخصر).

٣ . رواه أحمد ٥/ ٢٩٤.

٤ . رواه أحمد ٤/ ٢٦٣.

سادساً: وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدث عنه سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: أنظر لي ساعة خلوة لعلِّي أن أطوف بالبيت فخرج قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا الذي معك؟ فقال: هذا سعد. فقال أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً. فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعن ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد : دعنا منك يا أمية فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنهم قاتلوك. قال بمكة؟ قلت : لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان، ألم تري ما قاله لي سعد؟ قالت: وما قاله لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلّي، فقلت له بمكة؟ قال: لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس. قال أدركوا عيركم. فكره أمية أن يخرج. فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذا غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر)[1].

---

١ . البخاري مع الفتح ٧/ ٢٨٢ . قال الشارح. قال الواقدي: قتله خبيب وقال ابن اسحاق في سيرته =

سابعاً: وعن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر: أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله داعي امرأة، فجاء، وجيء بالطعام فوضع يده ثم وضع القوم، فأكلوا فنظر أباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فيه، ثم قال: أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها، فأرسلته المرأة(قالت) يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يشتري (لي) شاة فلم أجد، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل لي بها بثمنها فلم يوجد، فأرسلت إليّ بها، فقال رسول الله ﷺ أطعميه الأساري)[1].

ثامناً: وعن الحسن سمعت أبا بكرة [2] سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[3].

تاسعاً: عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن

(ج ٢ ص ٢٥٥ = دار الجيل) : قتله رجل من بني مازن وقال ابن هشام اشترك فيه معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب. وذكر الحاكم في المستدرك أن رفاعة بن رافع طعنه بالسيف ويقال قتله بلال. وفي سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٣ الطبعة الحلبية) ان قاتل أمية هو بلال. ويخلط بعضهم أمية بن خلف بأبيّ بن خلف. أما أبيّ فقد قتل في أحد، قتله رسول الله بنفسه كما في سيرة ابن هشام؟(٣/ ٣١ دار الجيل)

١ . رواه أبو داود ٣/ ٦٢٣ باب البيوع.، قال ابن حجر في الفتح ٩/ ٦٣٣ (أخرجه أحمد و أبو داود بسند قوي)

٢ . قال في الإصابة ٣/ ٥٤٢ (نفيع بن الحرث ويقال ابن مسروح وبه جزم ابن سعد، مشهور كنيته من فضلاء الصحابة، سكن البصرة وروى عن النبي ﷺ).

٣ . البخاري مع الفتح ٧/ ٩٤.

فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان بن عفان)[1].

عاشراً: عن قتادة[2] أن أنساً رضي الله عنه حدثهم قال : صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف، فقال: أُسكن أحد – أظنه ضربه برجله – فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)[3].

أحد عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحدثون فإن يك في أمتي فإنه عمر)[4].

اثنى عشر : وأخبر الرسول ﷺ عن أويس القرني وأنه خير التابعين وأنه كان به برص فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضعاً قدر الدرهم من جسده وأنه بارٌّ بأمه ، وأمر عمر بن الخطاب أن يستغفر[5] له وقد وجد هذا الرجل في زمن عمر على الصفة المذكورة[6].

الثالث عشر : وأخبر عن الفتنة بعد عمر كما في الصحيح[7].

---

١ . البخاري مع الفتح ٧/ ٥٣.

٢ . قال في الأعلام ٦/ ٢٧ (قتادة بن دعامة السدوسي البصري، مفسر ضرير قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة ولد عام ٦١هـ وتوفي عام ١١٧هـ بواسطة الطاعون).

٣ . البخاري مع الفتح (٧/ ٥٣).

٤ . البخاري مع الفتح ٧/ ٤٢.

٥ . أي يطلب عمر من أويس أن يستغفر له .

٦ . رواه مسلم ٤/ ١٩٦٨.

٧ . رواه البخاري مع الفتح ١٣/ ٤٨.

الرابع عشر : وروى أبو داود.. عن أم ورقة بن نوفل[1] أن النبي ﷺ لما غزا بدراً قالت: قلت يا رسول الله إئذن لي في الغزو معك أمرّض مرضاكم لعل الله أن يرزقني شهادة. قال قرّي في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة. قال: فكانت تسمى الشهيدة، وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذناً يؤذن لها، قال: وكانت قد دبّرت[2] غلاماً (لها) وجارية فقاما اليها بالليل فغمّاها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا فأصبح عمر فقال في الناس فقال : من (كان) عنده من هذين علم أم من رآهما فليجيء بهما فصلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة)[3].

الخامس عشر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي من تشرّف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذر به)[4].

السادس عشر: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل)[5].

---

١ . هي بنت عبد الله بن الحارث عويمر بن نوفل كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها بالشهيدة (أنظر بذل المجهود في حل أبي داود)

٢ . العبد المدّبر هو الذي يكون بعد موت السيد حراً (أنظر هامش سنن أبي داود)

٣ . أي غطيا وجهها (أنظر هامش السنن).

٤ . بذل المجهود في حل أبي داود للمحدث الهندي السهارنفوري طبعة الهند ١٣٩٢هـ ٤/ ٢٠٥ وبعدها.

٥ . رواه مسلم ٤/ ١٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار الإفتاء (السعودية) .

السابع عشر: عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال ﷺ: (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحداً. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسِنَة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)[1].

الثامن عشر: وعن أم سلمة[2] أن رسول الله ﷺ قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية)[3].

ومثل هذه الأحاديث كثير، وكلها دليل واضح على نبوة محمد ﷺ إذ لا يمكن أن يخبر بكل هذه الأخبار ثم تتحقق إلا نبي أطلعه الله على المستقبل.

وأختم هذا النوع من الأحاديث بحديث ذكره أبو بكر الجزائري قال: (قال ﷺ سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات)[4] وقد أوّل الجزائري السروج بأنها السيارات، ويؤيده حديث آخر ذكره الألباني في الأحاديث الصحيحة قال: (تنبؤه ﷺ عن السيارات: تكون إبل للشيطان، وبيوت للشياطين، فأما إبل

---

١ .رواه مسلم ٤/ ٢٢١٦.

٢ . قال في الإصابة ٤/ ٤٣٩ (هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية القرشية أم المؤمنين هاجرت إلى الحبشة وتزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة. توفيت عام ٥٩هـ وقيل ٦١هـ.

٣ . رواه مسلم ٤/ ٢٢٣٦.

٤ . أنظر عقيدة المؤمن ص ٣٠٤ وقال رواه أحمد ورواه الطبراني. أنظر الفتح الرباني ١/ ٣٠٢،٣٠١.

الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بجنبات معه قد أسمنها ، فلا يعلو بعيراً منها ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلم أرها)[1].

وفي رأيي أن هذا التأويل صحيح حيث أنه لم يكن في زمن أهل السروج الحقيقية من يحمل نساءه عليها وينزل بها على أبواب المساجد، فاقتضى هذا حمل السروج على المعنى المجازي، فالسروج ليست حقيقية ، وإنما هي مثلها وهي السيارات. وفي أيامنا هذه نرى في كثير من بلاد المسلمين من يركب نساءه وقريباته في سيارته وهنّ كاسيات عاريات (أي يلبسن شيئاً من الثياب لكنه كأنه لا شيء فهنّ عاريات لأنه لباس غير إسلامي) وينزلون على أبواب المساجد وهذه هي الطامة الكبرى حين نجد أن من أهل المساجد من يفعل هذا.

(ب) أما الأحاديث التي لم يتحقق وقوعها فمنها :

أولاً: عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان[2] يقول كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دَخَنٌ، قلت: وما دخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت : يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

١ . سلسلة الاحاديث الصحيحة ١/ ١٤٨ وقال رواه أبو داود في الجهاد رقم ٢٥٦٨.

٢ . قال في الأعلام ٢/ ١٨٠ (حذيفة بن حسل بن جاسر العبسي أبو عبد الله صحابي شارك في الفتوحات وهو صاحب سر الرسول ﷺ في المنافقين . توفي عام ٣٦هـ)

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[1].

وهذا الحديث قد تحقق إلا الشطر الأخير وهو قوله : (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام).

ثانياً: عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)[2].

ثالثاً: عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال لتقاتلن اليهود فلتقتلنّهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله)[3] وفي رواية أبي هريرة (فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[4].

رابعاً: وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، إلا أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر)[5].

خامساً: وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه)[6].

سادساً: وهناك أحاديث تخبر عن نزول المسيح عليه السلام[1] .

---

١ . البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٥ .

٢ . رواه مسلم ٤/ ٢٢٢٠.

٣ . رواه مسلم ٤/ ٢٢٣٨.

٤ . رواه مسلم ٤/ ٢٢٣٩.

٥ . انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢٤٨.

٦ .رواه مسلم ٤/ ٢٢٣١.

يتلخص مما سبق أن الرسول ﷺ قد أخبر عن غيبيات ، وأن منها ما تحقق ومنها ما لم يتحقق بعد ، وكلاهما دليل على النبوة ، إذْ الأول قد تحقق وقوعه كما أخبر، والثاني فيه من قوة التحدي ما يدل على النبوة ، إذْ لا يتحدى بوقوع هذا إلا من هو على ثقة وأطمئنان إلى ربه فيما أطلعه عليه من الأمور المستقبلية.

فالرسول ﷺ أخبر عن غيبيات ورأى من الغيبيات كرؤيته لجبريل عليه السلام [٢] ورؤيته الجن [٣] والشياطين [٤].

هل يعلم غير الرسل شيئاً من الغيب ؟

إن من ضرورات الرسالة أن يطّلع المرسل على شيء من الغيب، ويختلف هذا الاطلاع من مرسل الى آخر حسب الزمان والمكان، لكن الله عز وجل لم يحصر اطلاعه الغيب على الرسل، فقد أطلع غيرهم على شيء من الغيب، وهذا من باب الكرامات. فقد رأى كثير من الصحابة الجن والملائكة برفقة الرسول ﷺ ووقع هذا في الأحوال العادية وفي المعارك قال تعالى : ﴿إِذْ

---

١ . رواه مسلم ٤/ ٢٢١).

٢ . البخاري مع الفتح ٧/ ٢٠١.

٣ . البخاري مع الفتح ٧/ ١٧١.

٤ . أنظر النسائي ٢/ ٧١ ط ١ الحلبية ١٣٨٣ هـ.

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢] وقال أيضاً ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]

وروى القاضي عياض[1] عن ابن عباس أن رجلاً من غفار قال: قدمت أنا وابن عم لي ونحن مشركان ، وصدعنا على جبل مشرف على بدر وننظر على من تكون الدبرة ، فبينما نحن كذلك إذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم[2] فمات ابن عمي من خوفه وكدت أهلك[3].

وقال أبو داود المازني على ما في رواية ابن اسحاق إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه بيدي إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري[4].

وعن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب سأل النبي ﷺ أن يريه جبريل في صورته ، فقال: إنك لا تسطيع أن تراه. قال: بلى ، قال : فاقعد مكانك فنزل جبريل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا بالبيت، فقال: ارفع طرفك فأنظر فنظر فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشياً عليه[5].

وقد كان يسلم على عمران بن حصين ، قال في الإصابة: قال الدارمي:

---

١ . قال في الأعلام ٥/ ٣١٩ (عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل عالم المغرب، محدث كبير وعالم باللغة ولي قضاء سبتة وولد فيها ٤٧٦هـ وتوفي بمراكش عام ٥٤٤هـ) سبتة مدينة مغربية يحتلها الأسبان حتى الآن وتقع على البحر المتوسط

٢ . قال عياض (حيزوم اسم فرس الملك وروي حيزون والصحيح الأول).

٣ . أنظر الشفاج ١ ص ١٦٣ وقال رواه أبو نعيم والبيهقي. وأنظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٠ دار الجيل.

٤ . أنظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٠٠.

٥ . أنظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٢ طبعة يروت ١٣٧٧ هـ.

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال: عمران بن حصين إني محدثك بحديث: إنه كان يسلم عليَّ[1]. وقال سعد في الطبقات : قال : أخبرنا الخليل بن عمر العبدي البصري قال حدثني أبي قال : حدثنا قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت[2].

وقال الطبري: حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) قال : ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى ، قال: فأين نبي الله ﷺ ، قال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجن فأيكم يتبعني؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه فأتبعه عبد الله بن مسعود فدخل رسول الله ﷺ شِعْباً يقال له شِعْب الحجون قال: وخط نبي الله ﷺ على عبد الله خطاً ليثبته به قال: فجعلت تهوي بي وأرى كأمثال النسور تمشي في دفوفها وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ ثم تلا القرآن فلما رجع نبي الله قلت: يا نبي الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم فقضى بينهم بالحق. وذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزّط فراعوه قال من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما رأيت للذين قرأ عليهم النبي ﷺ الإسلام من الجن شبها أدنى من هؤلاء[3].

---

١ . الإصابة لإبن حجر الطبعة المصرية تحقيق محمد علي البجاوي ٤/ ٧٠٦.

٢ . الطبقات طبعة بيروت ٤/ ٢٨٨. وانظر مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٥.

٣ . جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري ٢٦/ ٣١ ط٢ الحلبية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال : إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخليت عنه. والحديث طويل وفيه قول الرسول ﷺ لأبي هريرة: تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان[1].

هذا بالنسبة للأشياء التي حدثت برفقته ﷺ، أما الحوادث المنفردة فهي أقل، لكنها تثبت الكرامة بإطلاع الله لبعض عباده الصالحين غير المرسلين على شيء من الغيب، ومن ذلك قصة عمر مع سارية [2] القائد المسلم.

فعن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله ﷺ فعرض له في خطبته أن قال: يا سارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم، فتلفت الناس بعضهم إلى بعض فقال علي : صدق والله ليخرجن مما قال، فلما فرغ من صلاته قال له علي: ما شيء سنح لك في خطبتك؟ قال وما هو؟ قال: قولك يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم. قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم وجميع أهل المسجد قد سمعوه، قال: إنه وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وإنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا وإن جازوا أهلكوا فخرج مني ما تزعم أنك سمعته، قال:

---

١ .أنظر البخاري مع الفتح ٤/ ٤٨٧.

٢ . قال في الأعلام ٣/ ١١٢ (سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي صحابي من الشعراء القادة الفاتحين، كان في الجاهلية لصاً يسبق الفرس عَدْواً على رجليه توفي عام ٣٠هـ).

فجاء البشير بالفتح بعد شهر فذكر أنه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول يا سارية الجبل الجبل، قال: فعدلنا إليه ففتح الله علينا[1].

إلا أن هذه الكرامات لا يتوسع في التصديق بها، فإن لها شرطاً ذكره العلماء ألا وهو مطابقة حال صاحب الكرامة للكتاب والسنة. يقول ابن تيمية في مناظرته لدجلة البطحائية: ثم قلت لهم : ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء ومشيتم في الماء، ولو فعلتم ما يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدّعونه من مخالفة الشرع، ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال يقول للسماء أمطري فتمطر وللأرض أنبتي فتنبت[2].

ويقول في نفس الصفحة: وذكرت قول أبي يزيد البسطامي: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي.

وذكرت عن يونس بن عبد الأعلى أنه قال للشافعي: أتدري ما قال صاحبنا – يعني الليث بن سعد[3]– ؟ قال: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به ، فقال الشافعي: لقد قصر الليث. لو رأيت صاحب الهوى يطير في الهواء فلا تغتر به).

وهذا القيد الذي اشترطه العلماء أخرج كثيراً من مشايخ الصوفية الذين ادعوا علم الغيب عن طريق أنهم أولياء وأصحاب كرامات، ومن هذا ما ورد في كتاب (الجواهر)

---

١ . أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير ٤/ ٦٥ . وأورد القصة ابن القيم في كتابه الروح ط٢ ص٢٣٩، وذكر القصة ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر بن الخطاب الطبعة المصرية ص ١٤٩.

٢ . الفتاوى ١١/ ٤٦٦ . التصوف.

٣ . قال في الاعلام ١/ ٢٣٢ (هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني أبو العباس شيخ الطائفة التيجانية كان فقيهاً مالكياً تصوف ووعظ ولد عام ١١٥٠ هـ وتوفي بفاس عام ١١٨٦ هـ)

لمؤلفه المغربي حين قال في فضائل التيجاني[1]: (ومن كماله رضي الله عنه نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات)، ويقول في موضع آخر (وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: ٥٩] الآية فأجاب رضي الله عنه بقوله: نفى الله العلم بالغيب عن الخلق بهذه الأية فلا يعلمها أحد سواه، لكن العلم المنفي ما كان للخلق إليه طريق، وطرق العلم إلى الخلق أحد ثلاثة: إما بحاسة من الحواس ، وإما بطريق السمع وتبليغ الخبر ، وإما بطريق الفكر وهو النظر في أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها إلى العلم بأمور مجهولة، فهذه الطرق هي المنفية عن الخلق وبقيت الطريق الرابع وهي ما يقذفه الله في قلب العبد بغير حاسة ولا فكر ويسمى هذا العلم بالعلم اللدني، فإن هذا العلم غير منفي على الرسول ولا على غيره من النبيين والمرسلين يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)[2]الآية.

---

١ . أنظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لمؤلفه علي حرزام بن العربي براده المغربي الفاسي ١/ ٤٧ طبعة دار الكتاب العربي ط٢.

٢ . قال في الأعلام ٦/ ١١٥ (الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ولد في قلقشنده ٩٤هـ وتوفي في القاهرة ١٧٥هـ) .

قال المرسي أو صديق أو ولي يشهد بهذا قوله ﷺ : (إن من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل العزة بالله [1]ثم قال بعد ذلك: إما من وهبه الله العلم اللدني فإنه يعلم بعض الغيب كهذه المذكورات وغيرها كما في قصة الخضر[2].

وفي كتاب آخر للتيجانية يقول المؤلف: (وينبغي للمريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كما يرى الأشياء في الزجاجة)[3].

وفي مخطوط لعبد القادر الجيلاني[4] بعنوان فتوح الغيب قال: (قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه لكل حالة من المحب وليمة، فوليمة عشقه تمزيق قلبه ، ووليمة حبه ذهاب رسمه، ووليمة صبره نحول جسمه وضعف بدنه، فإذا تآلف طبع الطبع على تآلف تلافي الحب اشتاقت الروح إلى القرب فعللها نسيم اللقاء وشوقها إلى الملتقا فمدت أيدي الطلب فهطلت عواطف المنن ، فإذا امَّحت ظلمة التكليف بذهاب التسويف وقعت على باب رجا

---

١ . أورده في الإحياء ١ / ٣٥ ونصه (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه) قال العراقي: أبو عبد الرحمن الأسلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

٢ . جواهر المعاني ١ / ١٨٤.

٣ . كتاب رماح حزب الرحيم على نحور – حزب الرجيم بهامش الجواهر. المؤلف عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي ١ / ٢٨.

٤ . قال في الاعلام ٤ / ١٧١ (عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني مؤسس الطريقة القادرية ولد في جيلان وراء طبرستان عام ٤٧١ هـ وتوفي في بغداد ٥٦١ هـ له (الغنية لطالب فريق الحق) (فتوح الغيب) وغيرها.

الغيب فشاهدت مشاهد الغيب فهي تنطق عن الغيب بالغيب[1]). وقال في موضع آخر : (قال رضي الله تعالى عنه إذا وقعت أنوار المحبة في قلب المحب أضاءت جوهرة قطب القلب على جوارح رسم جسم المحب ، فيتجوهر بهجة المحبة من نور جمال كمال المحبوب فتجسر على الكشف من الغيب بالغيب [2].

وكلامهم هذا فيه مبالغات مرفوضة إذ هو متضمن لمعرفة الغيب من قبل الإنسان عن طريق التدرج في الناحية الروحية، ولهذا شدد العلماء على هذه النواحي حتى لا يتسنى لكل واحد أن يدعي علم الغيب ، وقد نقل ابن حجر الهيثمي كفر من قال أعلم الغيب[3]، وقال القرطبي: قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده فمن قال إنه ينزل الغيث غداً وجزم فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا؟ وكذلك من قال إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر ، فإن لم يجزم وقال إن النوء ينزل الله به بالماء عادة وأنه سبب الماء عادة ، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له أن لا يتكلم به ، فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر وجهلاً بلطيف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء قال تعالى : (أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب[4]) قال ابن العربي وكذلك قول الطيب :

---

١ . فتوح الغيب ص ٤ لعبد القادر الجيلاني مخطوطات جامعة الامام / المكتبة المركزية. تصوف / ٦٨٤ / نسخ واضح ١١٩٤هـ / ٥٥ق / ٣٣ س / ٣٠×٢٠ سم.

٢ . فتوح الغيب ص ١٠ .

٣ . أنظر رسالة الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي الهيثمي بهامش كتابة الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ٦٧ الطبعة المصرية عام ١٣٥٦هـ.

٤ .أنظر البخاري مع الفتح ٢/ ٣٣٣. وهو في صحيح مسلم أيضاً

إذا كان الثدي الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان في الثدي الأيسر في أنثى، وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا واجباً في الخلقة لم يكفر ولم يفسق، وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً ، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا يؤدب ولا يسجن أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه من قوله ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩] وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة ، إذ لا يدركون الفرق بين هذا وغيره فيشوّشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به)[1] ، وهذا النص الفقهي الذي نقله القرطبي فيه نظر وسيأتي التفصيل في فصل(العلم والغيب)..

الأمور التي تدخل في دائرة الغيب

الأمور التي تدخل في الغيب كثيرة جداً يصعب حصرها، فحقيقة الألوهية والصفات والذات ونشأة الكون وحركته وطبيعته وما هو الزمان والمكان؟ الحياة ومصدرها ونشأتها وخط سيرها والمؤثرات فيها ، وكيف يتصرف الإنسان ؟ وما هو عقل الإنسان وأين يوجد؟ وما مصير الإنسان بعد الموت؟ وما هي الروح؟ وماذا يجري داخل الكيان الإنساني وكيف

---

١ . أنظر ج ٧ ص ٢ الجامع لأحكام القرآن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

يتم ذلك؟ وما هي حقيقة الملائكة والجن والموت والآخرة ؟ وكيف جاء الإنسان إلى هذه الأرض ومتى؟ ومتى سيغادرها؟ ومتى سينفخ في الصور؟ وما علاقة الحياة بالوجود المادي؟ ومن هو الإنسان؟ وما الذي يميزه عن المادة وعن بقية الأحياء؟ وماذا عن الأرحام والصدور؟ ماذا عن الظلام الدامس؟ وماذا عن الساعة؟ وما حقيقة الجزاء والعقاب؟ ماذا عن الماضي والحاضر والمستقبل؟ أسئلة كثيرة تطرح ، وكلها لا يمكن الإجابة عليها إجابة شافية إلا عن طريق الإيمان بالغيب. لا بد من تصديق الخبر الذي ينقله إلينا الأمين، وإلا فبدون هذا ستبقى الأشياء غامضة يتخبط فيها الناس ويرجمون بالغيب ويقولون ما لا يعرفون.

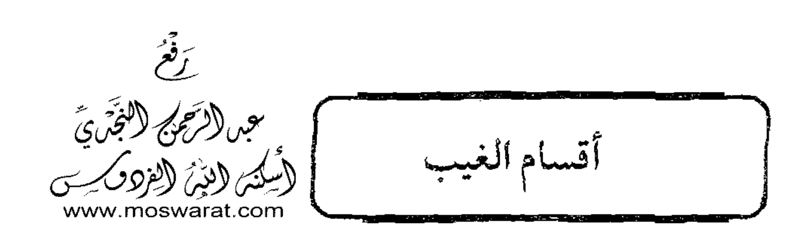
إن الإنسان يجهل اللحظ التالية في حياته، فكيف يعرف الغيب؟ إن الغيب أمر واقع والإيمان به واجب وإلا فالخراب أو الضياع.

إن الغيوب كثيرة جداً مرجعها إلى أركان الإيمان الستة كما يقول سعيد حوى[1].

فالإيمان بمعجزات الرسل السابقين فرع الإيمان بالقرآن، والإيمان بالجن فرع الإيمان بالقرآن ، والإيمان بالسماوات السبع التي فيها الملائكة والجنة والبيت المعمور والنار وغير ذلك فرع الإيمان بالقرآن وهكذا..

---

١ . أنظر كتاب الاسلام ١/ ٢٨ ط١ ١٣٩١هـ لسعيد حوى.



أقسام الغيب

إذا كانت الأمور التي تدخل في إطار الغيب كثيرة يصعب حصرها ، فلا بد من وضع هيكل يقسم هذه الأمور باعتبار معين ، حتى تأخذ مكانها الطبيعي بين هذه الأشياء الكثيرة التي تدخل في الغيب. وعليه فيمكن تقسيم الغيب إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة.

التقسيم الأول: باعتبار علمه ومعرفته ينقسم الغيب إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: نوع يعلمه بعض المخلوقات دون غيرهم أو يمكن أن نسميه (الغيب النسبي) فالجن مثلاً يعرفون أشياء لا نعرفها نحن، والإنسان بالنسبة لأخيه يعرف بعض ما يجهله أخوه ، وهكذا الأنبياء يختلفون عن غيرهم من حيث العلم ،والعلماء في كافة المجالات يختلفون عن غيرهم فيما يعلمون.

ثانياً: نوع يمكن أن يعلمه بعض الخلق بالبحث والاكتشاف كالمجهول من العلوم والقوانين الكونية والمناطق البعيدة والكواكب السماوية [1] .. الخ وإن كان رشيد رضا يقول : (وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب

---

١ . تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) رحمها الله في كتابها الشخصية الاسلامية ص ١٥٧ ط ١ دار العلم للملايين: (... أما ما أخرجه العلم من مجهول الغيبيات فسقط عنه الحظر فالإسلام يبارك أن تتحقق آية الله فيما سخر لنا ..)

الله [1] فليس هناك دليل على هذا القول، وليس هناك مانع في دخول هذا المعنى في معنى الغيب لأن الأصل العموم ، ولا تخصيص دون مخصص، ثم إنه ليس هناك أية خطورة من اعتبار هذا الغيب من جهة الاعتقاد السليم).

ثالثاً: نوع لا يمكن أن يعلمه أحد من المخلوقات، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب كعلم الساعة. وهذا النوع خاص لله عز وجل ، وهو النوع الذي ركز القرآن عليه من حيث نفي علم المخلوقات له قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[النمل: ٦٥] .

التقسيم الثاني: باعتبار الزمان. ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً : غيب الماضي كالأحداث التاريخية الماضية التي لم نشهدها، والماضي هو كل لحظة تخرج من إطار الحاضر، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾. وقصة يوسف عليه السلام وغيرها من قصص الأمم الماضية. وعلم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي، فما يجهله بعض الناس يعرفه آخرون ، كقصة يوسف عليه السلام سماها القرآن غيباً بالنسبة لمحمد ﷺ ولكنها واضحة بالنسبة لأخوة يوسف عليه السلام.. وشخص الرسول ﷺ من غيب الماضي حيث أننا لم نره وهذا ورد في الحديث ، فقد روى أحمد قال (... حدثني أبو جمعة قال تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح قال: فقال يا رسول الله ، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال : نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)[2].

---

١ . تفسير المنار ٧/ ٤٢٢ ط ٢ مطبعة المنار بمصر .

٢ . قال الساعاتي في الفتح الرباني ١/ ١٠٣ ط ١ مطبعة الإخوان المسلمين (تخريجه : لم أقف عليه في غير الكتاب ، وقد ورد في هذا المعنى أيضاً ما رواه سعيد بن منصور في سننه قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير =

وهذا النوع يمكن أن يعلم بالقراءة والسماع ومشاهدة الصور والأفلام.

ثانياً: غيب الحاضر كتسجيل الملائكة للأعمال ، حيث أن كل ما لا يقع تحت حواسي فهو من غيب الحاضر. فما يجري في أفغانستان أو أمريكا أو الفلبين أو إيران أو بيت جاري أو الشارع، كل هذا من غيب الحاضر وهذا يمكن معرفته بوسائل الإعلام التي تنقل مباشرة.

ثالثاً : غيب المستقبل كالساعة، وهذا لا يعلمه حقاً إلا الله ، وأما ما أخبر به الأنبياء فهو كما سبق بإطلاع الله تعالى لهم عليه وليس استقلالاً منهم ، وأما غيرهم من البشر فعلمهم في هذا مجرد توقعات أو نتائج منطقية لمقدمات معقولة .

وأما الجن فلا علم لهم بهذا النوع ولا ببعض الذي سبقه كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سورة سبأ : ١٤] . ومعلوم أن سليمان عليه السلام كان واقفاً أمامهم يرونه مع أنه ميت ، لكنهم لم يعرفوا أنه مات .

ويروي الذي يتعاملون بتحضير الأرواح أنه إذا سأل عن شيء يتعلق بالمستقبل لا تخبره وتسكت أو تأخذ في تردد أصوات غير مفهومة.

فعلم الغيب وبخاصة غيب المستقبل لله وحده ، وهذا هو مفهوم ومنطوق الآية ﴿ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾[سورة يونس آية ٢٠] ، ويؤكد هذا المعنى استعمال كلمة (إنما) المفيدة للحصر.

= عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به ، فقال عبد الرحمن : إن أمر محمد ﷺ كان بيّناً لمن رآه، والذي لا إله غيره ، ما آمن أحد قط إيماناً بغيب ثم قرأ (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين) إلى قوله (مفلحون) قال الحافظ ابن كثير وهكذا رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق عن الأعمش به وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . أ هـ)

التقسيم الثالث : من حيث الورود ينقسم إلى قسمين :

أولاً : غيب جاء في القرآن وهو ركن الإيمان ، ويكفر منكره ويخرج من ملة الإسلام .

ثانياً : غيب جاء في السنة الصحيحة فإن كانت متواترة كفر منكرها ، وإن كانت آحادية فسق منكرها ولم يكفر [1].

علمنا مما سبق أن للغيب خصائص وصفات ، فهو العتبة التي يجتازها الإنسان ليقطع شوطاً أبعد من حيث علمه وتصوره للحياة واتساعها وخروجه من الضيق الذي يفرضه الماديون على تصور الإنسان . فالمؤمن بالغيب يكون تصوره واسعاً ، وهذا يجعل صدره منشرحاً ، إذ أن هذه الدنيا على اتساعها فهناك أشياء لا يعلمها هي من الغيب . فالإيمان بالغيب يؤثر على تصور الإنسان ويجعل هذا التصور للكون واسعاً . ثم إن الإيمان يعبر عن مدى ارتقاء الأمة ، لأن الرقي هو نتيجة للسلوك السوي للأفراد ، وهذا السلوك لا يكون إلا في مجتمع يؤمن بالغيب الحق ، والغيب هو أقوى مؤثر على السلوك ، ولهذا كان الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين الصادقين ، وسمي أبو بكر الصديق لأنه كان أول من قال كلمته المشهورة في تصديق محمد ﷺ عندما أخبروه أنه يدعي الإسراء والمعراج فقال : إني أصدقه بأكبر من ذلك أصدقه بخبر السماء ، إن كان قال ذلك فقد صدق [2] .

ثم إن هذا الغيب لا يعلمه إلا الله ، وفي هذا رحمة للبشر . وتتمثل هذه الرحمة في منع عبادة البشر بعضهم لبعض إذ لو علم أحد من البشر الغيب حقاً لعبده آخرون . ولو علم البشر الغيب لتعطلت مقاصد الحياة وركن المذنب إلى ذنبه وركن المحسن إلى إحسانه ، وذلك لأن

---

١ . بتصرف وزيادة عن (تعريف عام بدين الإسلام) لعلي الطنطاوي رحمه الله ص ١٤٢ ط ٧ دار الرائد .

٢ . أنظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤ دار الجيل .

كلا منهما علم نتيجته في دخوله الجنة أو النار . إلى غير ذلك من مظاهر تعطل مقاصد الحياة والخلق .

والإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بالأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتب ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره .

والإيمان بالغيب هو الفاصل بين حياة الشرك وحياة التوحيد كما قال الشاعر :

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا   يصلّون للأوثان قبل محمد

مفاتح الغيب

قال تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: ٥٩] (وفي قراءة شاذة)[١] (مفاتيح الغيب) والمفاتح جمع مفتح (بفتح الميم أو كسرها) قال القرطبي (ومفاتح جمع مفتح هذه اللغة الفصيحة)[٢] بكسر الميم الآلة مثل منجل ومناجل ، وهي لغة قليلة والمشهور مفتاح بالألف وجمعه مفاتيح بإثبات الياء وقيل إنه جمع مفتح ، بفتح الميم المكان ويؤيده السدي فيما رواه الطبراني قال مفاتح الغيب خزائن الغيب)[٣] فالمفاتح بمعنى

---

١ . قاله ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٩١. قال قرأ ابن السميقع (وعنده مفاتح الغيب) وكذا قال القرطبي في تفسيره ٧/ ١ وكذا في كتاب (مختصر في شواذ القرآن)ص ٣٧ من كتاب البديع لابن خلويه . المطبعة الرحمانية .

٢ . في تفسيره ٧/ ١

٣. أنظر الفتح لابن حجر ٨/ ٢٩١. بتصرف.

الخزائن أو المفاتيح . وفي الحديث (إن من الناس مفاتيح للخير)[1] قال القرطبي : وهو في الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان، وقال بعضهم هو مأخوذ من قول الناس افتح عليّ كذا أي أعطني أو علمني ما أتوصل إليه به) [2]

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)قال:قال رسول الله (ﷺ) في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت إن الله عليم خبير) [3] وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)عن النبي(ﷺ) قال (مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الاالله ، ولا تدري نفس بأي ارض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[4]وفي حديث ابن مسعود (أعطي نبيكم (ﷺ) علم كل شيء إلا مفاتح الغيب)[5]

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : عبر بالمفتاح لتقريب الأمر على السامع لأن كل شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيّب عنك ، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب ، فإذا أغلق احتيج إلى المفتاح)[6] إن علم الله سبحانه وتعالى بجميع الموجودات علم

---

١ . أنظر الفتح وقال ابن حجر صححه ابن حبان من حديث أنس.

٢ . أنظر تفسيره ٧/ ١

٣ . رواه مسلم ١/ ٤٠

٤ . البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٦١

٥ . البخاري مع الفتح ٨/ ٢٩١

٦ . نقله عن ابن حجر في الفتح ٨/ ٥١٤

شهادة ،وعلمه بها لم يوجد علم غيب، وما لم يوجد له خزائن أو مفاتيح لا يعلمها إلا الله عز وجل ، وعدد هذه المفاتح خمس ـ إن أخذنا بظاهر النص ـ أو أكثر من ذلك دون تحديد إن لم نعتبر للعدد هنا مفهوماً حيث إنه لم يأت النص بصيغة الحصر وبخاصة إذا دعمنا هذا الموقف بأن كلمة خمس جاءت لمطابقة الواقع ، وبالتالي لا مفهوم لها ، حيث أن العرب كانوا يدعون علمها بالذات فلا مفهوم على الراجح والله اعلم)[1]

ثم إن الغيب ما غاب عن الوجود أو الشهود وهو عالم البرزخ وعالم الآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يوجد والحيوان الذي لم يولد ، وكسب النفس الذي يحصل في المستقبل . وفي هذه الآية إشارة إلى جميع ذلك ، فالساعة مفتاح الآخرة ، والغيث مفتاح عالم النبات ، وما في الأرحام مفتاح عالم الحيوان ، وقوله(وما تدري نفس) ظاهر في مفتح الكسب والأعمال ، وقوله(وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي كما لا تدري بأي وقت إشارة بالموت إلى عالم البرزخ .

رسالات الرسل والغيب

حقيقة لا تحتاج إلى برهان ودليل ،وهي كون رسالات الرسل تؤمن بالغيب إذ مقتضى كلمة رسل أن يكون هناك رسالة من رب العالمين ، وهو من الغيب بل كل غيب تبع له ، فالرسالات من حيث الأصل كلها تؤمن بالغيب. ولا يوجد مصدر موثق للاعتماد عليه في إثبات هذا سوى القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وقد حدثنا القرآن عن الأمم السابقة

---

١ . بتصرف وزيادة عن تفسير المنارج ٧ عند تفسيره الآية .

وكيف أن الرسل جاءتها فدعتها إلى الإيمان بالغيب كما قال تعالى على لسان أنبيائه نوح وهود وصالح وشعيب ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٥٩] فالأنبياء جميعاً دعوتهم واحدة ودينهم واحد وان اختلفت الشرائع بينهم ، ولهذا ورد عن الرسول ﷺ ((أنا دعوة أبي إبراهيم))[1] وقال ((فذكرت دعوة أخي سليمان))[2] وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران : ١٩] . فالإسلام هو دين الأنبياء جميعاً وهذا لا يتعارض مع اختلاف شرائعهم. وها هو موسى عليه السلام يدعو فرعون إلى الإيمان بالله ((﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] وها هو عيسى عليه السلام يقول في المهد ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣] .

إذن فرسالات الرسل كلها دون استثناء تؤمن الغيب . أما الرسالات في الوقت الحاضر فلا مصدر يحدثنا عنها إلا القرآن الكريم والسنة المطهرة إذْ لا يوجد بين أيدينا مصادر موثوقة ليرجع إليها ، فالتوراة والإنجيل اللذان أنزلهما الله عز وجل قد حرفهما الأحبار والرهبان كما قال تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[المائدة: ١٣] .

وذلك طبقاً لمصالحهم الشخصية وأهوائهم الذاتية ، ولهذا نجد في هذين الكتابين أشياء غريبة تجعلنا نجزم بتحريف الكتابين اللذين أنزلهما الله ، ومن هذه الأشياء اتهام الأنبياء بالزنى والأنانية ، وغير ذلك من الأشياء القبيحة ، ثم الأسلوب الغريب الذي يبعد كل البعد عن أسلوب القرآن وهو كلام الله كله وكلام الله كله معجز .

---

١ . رواه أحمد ٤/ ١٣٧ .

٢ . البخاري مع الفتح ٦/ ٤٥٧ .

ومع التحريف لهذه الكتب نجد أن النصارى واليهود يؤمنون بالغيب طبقاً لما في العهدين القديم والجديد (التوراة والإنجيل) بغض النظر عن الاختلاف فيها بيننا وبينهم في مضمون هذا الغيب .

ففي إنجيل متى (أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جواباً يوم الدين) [1] وفي إنجيل مرقص (وإن شككتك عينك فاقلعها فخير لك أن تدخل ملكوت الله وأنت أعور من أن يكون لك عينان وتلقى النار حيث لا يموت دودها ولا تطفأ النار) [2]

ورد في التلمود ذكر الجنة والنار بصورة أسطورية (إن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية وإنه لا يدخلها إلا اليهود ، وإن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت ملك الأسماك الذي يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ . والله تعالى يقضي الساعات الثلاث الأخيرة في اللعب مع هذا الحوت) [3]

وفي العهد القديم بعد ارتكاب آدم لخطيئة الأكل من الشجرة (سمعنا صوت الرب الإله وهو متمش في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ [4] . فهم يؤمنون بالغيب ولكن هذا الغيب

---

١ . أنظر الكتاب المقدس المجلد الثالث العهد الجديد فصل ١٢ ص ٧٦ ط ٢ مطبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٨٨٣ .

٢ . المرجع السابق ص ٧٦ الفصل ٩ .

٣ . أنظر الملل والنحل لابن حزم ١/ ١٦٤ .

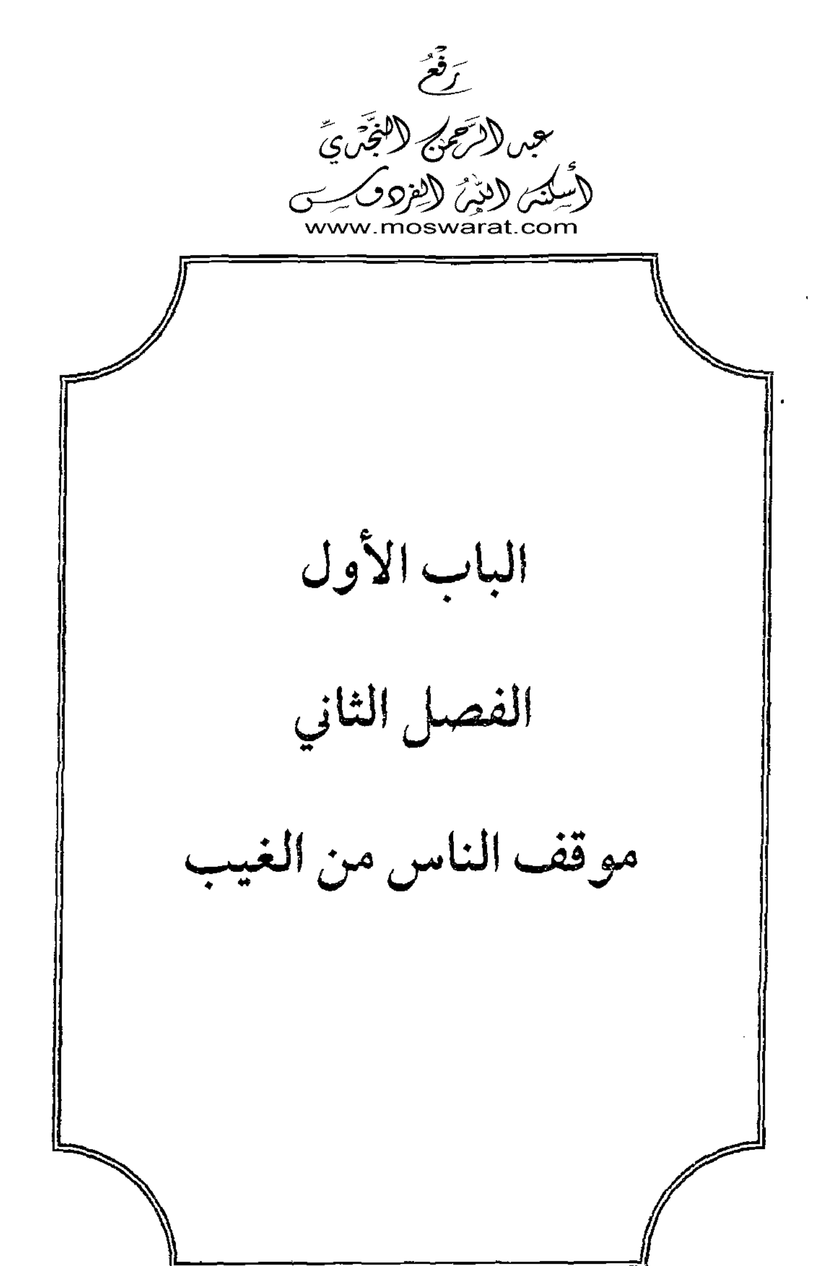
٤ . الكتاب المقدس العهد العتيق المجلد الأول ص ٧ ، ٨ الفصل الثالث من سفر التكوين .

ليس على الصورة التي هي عندنا نحن المسلمين لأننا نعتقد أنهم كذبوا على الله كما قال المعري :

فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهود [1]

---

١ . لزوم ما لا يلزم ١/ ٢٧٤.



الباب الأول

الفصل الثاني

موقف الناس من الغيب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

موقف الناس من الغيب

الإنسان مدني بالطبع فهو يعيش في جماعة يؤثر ويتأثر بها ، ويتخذ مواقفه تجاه غيره من الناس ، وتجاه أفكارهم واتجاهاتهم ، فلا بد لكل إنسان من موقف تجاه قضية ما . وعقيدة الغيب أوجدت مواقف للناس في مختلف العصور منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ، ولا توجد أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب إلا وحدّد موقفه من العقيدة الغيبية بغض النظر عن مضمون هذه العقيدة . ونحن في هذا الفصل نستعرض هذه المواقف من العقيدة الغيبية ونؤجل مناقشة هذه المواقف والآراء لفصل مستقل في الباب الثاني لأهمية الموضوع .

وإن الناظر في مواقف الناس في معظم القضايا التي تمس حياة البشر يجد أن الناس في الغالب [1] ينقسمون قسمين : مؤيد ومعارض ، وهكذا كان موقف الناس من الغيب ،

---

١ . وهناك من ناقش المسألة مناقشة حسابية ورياضية كأبي العلاء المعري والفيلسوف الرياضي بسكال ووليم جيمس ، يقول المعري في كتابه لزوم ما لا يلزم : (تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ج ٢ ص ٣٠٠ مكتبة الهلال بيروت)

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولي فالخسار عليكما

وقال بسكال : (إما أن تعتقد أن الله موجود أو لا تعتقد ذلك ، فماذا تختار إن عقلك لعاجز كل العجز أن يختار ولا بد أن يربح أحد المسهمين فوازن بين كل ما يمكن أن تربح وما يمكن أن تخسر إذا راهنت بكل ما تملك على ظهور السهم الأول أي على وجود الله ، فإذا كسبت الرهان فقد حصلت على سعادة أبدية فإذا أخفقت فسوف لا تفقد شيئاً فلست تخاطر إلا بشيء فانٍ وكل غرم فان ولو كان محقق الوقوع محتمل معقول) ذكره القرضاوي في الإيمان والحياة ط ٥ ص ٣ . ويقول وليم جيمس : (إن لنا الحق في اعتقاد أن العالم مادي ليس إلا عالماً ناقصاً وإن لنا أن نكمله بنظام =

فهناك من أيدَّ هذه العقيدة واعتبرها الجزء الهام، وأن الحياة بدونها عبث ولهو . بينما نجد القسم الثاني قد اعتبر الاعتقاد ميلاً للخرافات وهروباً من الواقع ولكل حجته .

الفريق المؤيد لعقيدة الغيب

كثيرون هم المؤيدون لعقيدة الغيب وإن اختلفت طرقهم في الإيمان بهذه العقيدة ، فبعضهم آمن بصوت الفطرة في نفسه ، ومنهم من اعتمد على مبدأ النسبية ، ومنهم من ناقش القضية مناقشة حسابية كما سبقت الإشارة إليه [1].

إن التاريخ البشري القديم يحدثنا عن بحث الإنسان عن العبادة وكيف أن عقول البشر اختلفت في معبودها وإن اتفقت على ضرورة العبادة ، فمنهم من عبد الكواكب ، ومنهم من عبد الحيوان ، ومنهم من عبد الشجر ، ومنهم من عبد البقر إلى غير ذلك مما توجه الناس إليه بالعبادة على أنه الله .

المهم أنهم توجهوا إلى العبادة لعبِّروا عن شعورهم الفطري تجاه قوة غيبية لا يعرفون حقيقتها بالضبط .

= آخر روحي خفي ما دام افتراضه يحبب إلينا هذه الحياة ويجعلها تبدو مستحقة لأن يظل المرء منغمساً فيها) ذكره عبد الكريم الخطيب في كتاب الله والإنسان ص ٨٧ وما بعدها .

١ . أقصد كلام المعري وبسكال ووليم جيمس وكلامهم هذا لا يعتبر في ميزان الإسلام إيماناً صحيحاً لأنه يحمل في طياته الشك بل يميل صاحبه أحياناً إلى الإنكار كما ورد عن المعري في اللزوميات (ج ٣ ص ٢٣١) قال :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا ريب الزمان كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

الإنسان الأول

والمعروف أن الإنسان الأول وهو في نظر أهل الدين آدم (عليه السلام) كـان نبيـاً وهـو أول من سكن الأرض من البشر . فأصل الإنـسان التـدين ثـم تـأثرت ذريـة آدم بـالظروف المحيطة بها وبإغواء الشيطان فانحرفت تدريجياً عن الجادة ومع هـذا بقـي التـدين أصـيلاً في الإنسان .

الفراعنة

وها هم قدماء المصريين يؤمنون بالغيب [1] ، حيث كانوا يعتقدون بالبعث جسداً وروحاً ولهذا كانوا يحافظون على الجسد بعد الموت فبنوا الأهرامات وكانوا يعتقدون بعـودة الـروح للجسد ، ولهذا كانوا يضعون تمثالاً بحجم الإنسان وشكله على القبر لتتعـرف الأرواح عـلى جسدها ، واعتقدوا أن الخلود لا يكتب إلا لأولئك الأخيار الذين لم يرتكبوا الآثام ولم يفعلوا الشر . أما الأشرار فيتركون حيث هم في قبورهم ، يجوعون ويظمأون ويطعمـون التماسـيح البشعة ولا يخرجون من قبورهم أبداً [2] . وتقول الدكتورة عائشة عبـد الـرحمن : (وعقيـدة البعث عند المصريين القدماء كانت سبباً في حضارة وادي النيل والأهرامـات) [3] . ويؤكـد

---

١ . أنظر كتاب (الله والإنسان) لعبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي ص ١٢٨ .

٢ . المرجع السابق ص ٢٢٥ .

٣ . القرآن وقضايا الإنسان لعائشة عبد الرحمن . دار العلم للملايين ط ٢ ص ١٥٢ .

عبد القادر حمزة باشا على هذا فيقول : وفي هذا الوقت كانت عبادة أوزريس قد أخذت تنتشر وتصير عادة شعبية .. وعبادة أوزريس أساسها الأول أن كل إنسان ملكاً أو فرداً عادياً مسئول بعد الموت عن أعماله في الدنيا أمام محكمة إلهية ، يتولى القضاء فيها أوزريس نفسه يساعده فيها توت (إله الحكمة والعلم) وأنوبيس (مدير دفن الأموت ودليلهم في الدار الآخرة) و حوريس (ابن أوزريس وإيزيس) ومعات (آلهة الحقيقة والعدل) واثنان وأربعون قاضياً ، فإذا حكمت بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفيء بالنعيم الخالد وصار مثل (أوزريس) . أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش أو أن يلقى في النار ، أو أن يضرب عليه نوع آخر من العذاب .. وكانوا يجسمون هذه المحاسبة فيضعون لها في كتاب الموتى [1] وعلى التوابيت رسم محكمة ومحاكمة وميزان وفي هذه المحكمة يجلس أوزريس على عرشه حاملاً عصاه وكرباجهُ ومعه اثنان وأربعون قاضياً من الآلهة .

ويلاحظ أن مصر كانت مقسمة إلى اثنين وأربعين إقليماً فكأن كلا من القضاة يمثل إقليماً من هذه الأقاليم فإذا جيء بالميت تسلمه أنوبيس ، وأخذ قلبه فوضعه في إحدى كفتي الميزان ووضع في الكفة الأخرى تمثال الآلهة (معات) أو ريشتها ثم وقف الإله (توت) بجانب الميزان وفي يده اليمنى قلم وفي يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان ، ثم يرفعها إلى أوزريس ويقف بالقرب من(توت) الوحش (أمابيت) وهو وحش له رأس تمساح وجسم

---

١ . بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة أخذ ينتشر ما يسمى (بكتاب الموتى) حتى صار من العادات المرعية أن توضع نسخة منه مع كل ميت ، وهذا الكتاب يشتمل على فصول مختلفة بعضها في خلق الكون ، وبعضها في بيان الأخطار التي يستهدف لها الميت بعد موته ، وبعضها تعاويذ سحرية وبعضها في محاسبة الميت .

أنظر كتاب على هامش التاريخ المصري القديم ، وأنظر قصة الحضارة لول ديورانت ٢/ ١٦٣ .

أسد متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامه . وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها ليلقى فيها المذنبون . والقلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر)[1].

يتبين مما سبق أن الفراعنة كانوا يؤمنون بالعقيدة الغيبية ورأينا مضمون هذه العقيدة . ورغم أننا نرفض المضمون إلا أن هذا الإيمان يعبر عن الفطرة الإنسانية في نفوسهم تجاه الغيب المجهول .

اليونان

أما اليونان فقد عبدوا الأسلاف والطواطم ومظاهر الطبيعة وأعضاء التناسل ، ومزجوا هذه العبادات جميعاً بالطلاسم والشعوذة ، واستمدُوا من جزيرة كريت عبادة النيازك[2] . وجعلوا إلهاً للحرب وإلهاً للموسيقى وإلهاً للنور وألَّهوا السماء والأرض والبحر والشمس والزمن[3].

---

١ . بتصرف عن كتاب (على هامش التاريخ المصري القديم) لعبد القادر حمزة باشا ص ١٠١ مطبعة دار الكتب المصرية .

٢ . كتاب (الله) لعباس محمود العقاد ط ٥ ص ١٠٩ .

٣ .أنظر (الديانات القديمة) لأبي زهرة .

أما فلاسفتهم فيغلب عليهم الإيمان فمثلاً (فيثاغورس) يقول إن الباريء سبحانه وتعالى واحد لا يدرك من جهة العقل ومن جهة النفس وإنما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله [١] .

ويقول الشهرستاني : (ومن تلاميذ فيثاغورس فلنكس وقلانوس وهما يؤمنان بالله وكان إيراقليطس وأباسيس من الفيثاغورسيين وكذلك خرسبوس) [٢] .

أما هرقل الحكيم فكان يقول بأن أول الأوائل النور الحق ، لا يدرك من جهة عقولنا لأنها أبدعت من ذلك النور الأول الحق وهو الله حقاً [٣] . ويؤمن انبذقلس بالباريء تعالى [٤] ويرون أن النفوس جميعاً ستنجو من الموت [٥] . وكان (زينون الأكبر) يؤمن بالله كذلك [٦] .

ومن المؤمنين سقراط قال في الملل والنحل : (أما سقراط الأثيني فقد كان يؤمن بالله وكان زاهداً داعياً إلى التوحيد ، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان فثوروا عليه الغاغة وألجأوا الملك إلى قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم) [٧] ويؤمن أفلاطون بالله تعالى [٨] .

---

١ . بتصرف ، أنظر (الملل والنحل) للشهرستاني ٢/ ٢٦٨ مطبعة حجازي بمصر .

٢ . بتصرف ، أنظر (الملل والنحل) ٢/ ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

٣ . أنظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٣١ .

٤ . المرجع السابق ٢/ ٢٣٨٣ .

٥ . أنظر (الله والإنسان) للخطيب ص ٢٢٥ .

٦ . الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٢٠ .

٧ . الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٨٩ .

٨ . أنظر (الرد على الدهريين) للأفغاني ص ٣٧ .

ويؤمن الفلاسفة الفيضيون (أصحاب نظرية الفيض) بالله تعالى ، ومن هؤلاء أفلوطين [1] . ويقول الأفغاني عن أرسطو : ويعتبر أرسطوا من المؤمنين بالله تعالى [2] .

أما طاليس أو تاليس فقد قال إن للعالم مبدعاً لا تدرك صفته العقول من جهة جوهريته ، وإنما يدرك من جهة آثاره [3] . وقال أنكساغورس بالوحدانية وهو أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الأشياء كلها كامنة في الجسم الأول وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم ، وهي تظهر كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة ، والإنسان الكامل من النطفة المهينة ، والطير من البيض [4] .

أما أوميرس الشاعر فكان يقول لا خير في كثرة الرؤساء ويستدل بها على التوحيد ، وقال إني لأعجب من الناس إذا يمكنهم الاقتداء بالله فَيَدَعُون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم [5] .

ومن المؤمنين بالله انكسيمانس الملطي وقلوطرخيس وسولون الشاعر وزينون الشاعر [6]

هذه هي أقوال عمالقة اليونان وقادتها في الفكر والفلسفة تنطق بالإيمان رغم عدم وصولها إلى الإيمان الحق . ولكن – كما قلنا – هذه الأقوال تعبّر عما يكنه الإنسان في فطرته تجاه قضية الإيمان . وبسبب عدم وصولهم للمبدأ الحق ألا وهو طريق الأنبياء .

---

١ . كتاب (الله) للعقاد ط ٥ ص ١٩٠ .

٢ . الرد على الدهريين ص ٣٧ .

٣ . الملل والنحل للشهرستاني ٢ / ٣٤٢.

٤ . المرجع السابق ٢/ ٢٤٨ .

٥ . المرجع السابق ٢/ ٣٠٤ .

٦ . المرجع السابق ٢/ ٢٥٣ ، ٢٨١ ، ٣١٧ ، ٣٣٨ .

نرى بعضهم يجعل موضوع الايمان موضوعاً معقداً وبالتالي يحتاج إلى أدلة بعيداً عن الفطرة (كفيثاغورس) حين يقول بوجوب البحث عن صفة تشمل جميع صفات الأشياء ، واختار صفة العدد بحجة أن العدد هو الصفة الوحيدة المشتركة التي يتصف بها كل ما في الكون ، و وحده الذي يصلح أن يكون أصلاً له . ولما كان ما في الكون عبارة عن عدد متكرر ، والأعداد عبارة عن تكرار الواحد فالواحد إذن هو أصل الكون وعلته وحقيقته [1] . وهذه طريقة معقدة في الوصول إلى الله الذي يدركه الانسان بفطرته ونظره في الكون .

ويقول (اكزنوفنس) : ما من إنسان يستطيع أن يعرف الله معرفة دقيقة حتى لو شاءت المصادفة لإنسان أن يقول في وصف الله الحق كل الحق فهو نفسه لن يعرف أنه يقول الحق [2] . وهذه مغالات أخرى في تعقيد الموضوع ، وإن كانت تصلح للاستدلال على إيمان هذا الفيلسوف الذي قال عنه الشهرستاني : اكسنوفانس كان يقول إن المبدع الأول لا يدرك بالمنطق ولا العقل ، لأن العقل مُبدَع والمبدَع مسبوق بالمبدِع ، والمسبوق لا يدرك السابق أبداً فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق [3] .

---

١ . أنظر قصة الإيمان ص ٢٨ .

٢ . المرجع السابق .

٣ . الملل والنحل ٢/ ٣١٨ .

الهند

أما الهند ففيها ديانات كثيرة يغلب عليها الطابع الروحي ، فها هي (اليوجا) تقول بأن الروح شيء إلهي اتصل بالجسد، وهدف اليوجي أن يحرر الروح من الجسد لتتصل ببراهما . فهم يؤمنون بالحلول والاتحاد)[1] ويؤمنون كذلك بالتناسخ فراراً من الفناء ، وعليه فهم ينكرون البعث الشخصي المعروف عندنا، لكن هذا لا يجعلنا أن نقول إن الهنود من الماديين لاشتراكهم معهم في إنكار البعث لأن الفارق بين الماديين والهنود فارق كبير حيث أن الفريق الثاني موغل في الروحانيات على طريقته الخاصة .

ونتيجة لإنكارهم البعث فهم يحرقون أجساد موتاهم. وعندما ظهر بوذا في الهند وجدها موزعة بين عبادة إله الخير (فشنو) وإله الشر (سيفا) هذا عدا أسرة من الأرباب الصغار . رفض بوذا التعدد وكذلك رفض التوحد ، وقال بالمطلق أو الكل الذي لا يبعث من موت ولا يحاسب ولا يعاقب وإنما التناسخ حتى يصل ذروته في الإنسان الكامل (بوذا) ، ثم بعد ذلك في (المطلق) أو (الكل) وهذا الفناء في المطلق تسميه البوذية (بالنيرفانا) وتصفه بأنه ذروة السعادة الأبدية ، لأنه التحرر من القوالب والأشكال والخروج من القيد إلى الإطلاق، وبلوغ هذه الرتبة عندهم يكون بالتخلص من الشهوات والرغبات وإخضاع النفس للعقل والحكمة.

---

١ .أنظر مشاهد القيامة في القرآن _سيد قطب_ دار الشروق.ص ٢٤ بتصرف.

السومريون

نشر(أور _أنجور) في البلاد شرائعه باسم الإله الأعظم (شمش) ذلك أن الحكومة سرعان ما رأت ما في الالتجاء إلى الدين من فوائد سياسية ، فلما أن أصبح الآلهة ذوي فائدة من هذه الناحية تضاعف عددهم مراراً حتى أصبح لكل مدينة ولكل ولاية ولكل نوع من النشاط البشري إله موح مدبر ، وكانت عبادة الشمس عند تقادم عهدها حين نشأت بلاد سومر .. وكان هناك إله الشمس وإله الري وإله القمر وإله الزرع. وكان الهواء كله في زعمهم مملوءاً بالأرواح منها ملائكة خيّرون ، لكل سومري ملك منهم يحميه ، ومنها أرواح خبيثة أو شياطين تعمل جاهدة لطرد الروح الخير الواقي . وكان مسكن الآله في المعابد حيث تقرب لها القرابين .. ومن حقنا أن نفترض أن السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة لأن الطعام و الأدوات كانت تدفن مع الموتى في القبور ، وكانوا يقومون بالعبادة طمعاً في النعم الملموسة في الدنيا . ومن أعظم الشواهد الناطقة بها بلغه هذا الدين ، الدعاء الذي تضرع به الملك جوديا للآلهة (بو) راعية (لكش) [1] ونصيرتها .

(أي ملكتي ، أيتها الأم التي شيدت لكش، إن الذين تلحظينهم بعينك ينالون العزة والسلطان ، والعابد الذي تنظرين إليه تطول حياته ، أنا ليس لي أم فأنت أمي وليس لي أب

---

١ . اسم مدينتهم .

فأنت أبي ، أي آلهتي بو : إن عندك علم الخير وأنت التي وهبتني أنفاس الحياة ، وسأقيم في كنفك أعظمك وأمجّدك وأحتمي بحماك يا أماه)[1] .

البابليون

أما البابليون فقد ظلت دولتهم دولة دينية يقيد فيها الملك بأمر الكهنة وتفرض ضرائب الدولة بإسم الإله ، ولا يخرج على الملك لأن الخروج هو خروج عن الدين ، ويلبس الملك لباس الكهنة في حفل تتويجه ، وكان الكهنة أعظم تجار بابل لوارداتهم المستثمرة التي تأتي من طالبي الغفران ومن غنائم الحروب . لقد كان عند البابليين إله لكل مدينة يحميها . ولم تكن الآلهة بمنأى عن الأهلين فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض في الهياكل يأكلون الطعام بشهية قوية ويزورون الصالحات من النساء في أثناء الليل فيستولدونهن أطفالاً .

فإله الشمس وإله السماء وإله القمر ، ولكل أسرة آلهتها المنزلية وتصب إليها الخمور صباح مساء. ولكل فرد رب يحميه ، فلم يكن عندهم توحيد ، أما عقيدة الخلود فلم تكن عندهم حيث إنهم يعتقدون أن الجنة لا تكون إلا للآلهة ومن تختارهم ، ولهذا كانت صلواتهم من أجل إطالة مدة الحياة في الدنيا[2] فالبابليون يؤمنون بالغيب ، يؤمنون بالآلهة المتعددة ،

١ . بتصرف عن قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة محمد بدران المجلد الأول الجزء الثاني الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوي / القاهرة .

٢ . أنظر قصة الحضارة لول ديورانت . الجزء الثاني المجلد الأول ص ٢١١ وما بعدها .

يؤمنون بعقوبة الآلهة لكل مخطيء أو مقصر . والخلود عندهم لا يكون إلا للآلهة ومن تصطفيهم [1] والمتصفح للملحمة البابلية جليجامش يلاحظ فكرة الخلود للآلهة دون غيرهم.

الآشوريون

والآشوريون كانوا متدينين مثل البابليين لكن الصبغة العسكرية طغت عليهم ولم يكن للدين سلطان على الحكومة مثل الذي عند بابل . وكان إلههم القومي من آلهة الشمس ، له روح حربية لا يشفق على أعدائه ، وكان عباده يعتقدون أنه يغتبط لرؤية الأسرى . وكان دور الديانة الآشورية تدريب مواطن المستقبل على الطاعة الوطنية ومعظم النصوص الآشورية في الفأل والرقي حيث كانوا يؤمنون بالشياطين التي تملأ العالم [2] .

فارس

وبالنسبة لبلاد فارس ففيها ديانات عديدة فالمجوس [3] هم عبدة النيران القائلون إن للعالم أصلين نوراً وظلمة وهم أقدم الطوائف في بلاد فارس . وأما الصابئة فهم الذين فارقوا التوحيد الذي جاء به إبراهيم عليه السلام إلى دين عبادة النجوم وهم يقرون بوجود الله

---

١ . أنظر كتاب (الله) للعقاد ص ١٠٧ وكتاب القرآن وقضايا الإنسان لعائشة عبد الرحمن ص ١٥٢ ط ٢ .

٢ . بتصرف عن قصة الحضارة ص ٢٨٢ جزء ٢ المجلد الأول .

٣ . وقيل المجوس في الأصول النجوس لتدنيهم في استعمال النجاسات وفيه نظر حيث لم ينقل لنا استعمالهم للنجاسات

والمعاد. والثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين (النـور والظـلام) . والكيومرتيـة أصـحاب كيومرت وأثبتوا أصلين كـذلك . والرزوانية يقولـون بـالنور أصـلاً وعنـه نـتج الظـلام . والزرادشتية أصحاب زرادشت وهم يؤمنون بالله ويقولون بنبوة زرادشت وقالوا بالأصلين (النور والظلمة) وأن الخالق الذي لا شريك له هو الذي أبدع النور والظلمة ، وترى المانوية (أصحاب ماني) النور والظلمة كأصلين وهما أزليان ، أما المزدكية أصحاب مزدك الإباحي فهم كالمانوية في الأصلين ، وأثبت الأصلين أيضاً الديصانية والمرقيونية [1] .

الصين واليابان

أما أهل الصين فنجد أن أكثرهم يعبد ثلاثـة أشـياء الـسماء والملائكـة وأرواح الأبريـاء، وهم يؤمنون بالقضاء والقدر ، وحكيمهم كونفوشيوس يعتقد بعقيدتهم لكنه اهتم بالدعوة إلى السلوك المستقيم أكثر من الإهتمام بهذه العقيدة [2] . ويحـدثنا العقـاد عـن أهـل الـصين فيقول : إنهم لا يخوضون كثيراً في مباحث ما وراء الطبيعة، ويوشك ، أن يكون بينهم ضرب من أصول المعاملة وأدب البيت والحضارة ، وقـد أخـذوا قـديماً عقائـد البوذيـة والمجوسـية والمسيحية والإسلام ، وأشيع بينهم عبادة الأسلاف وأهل اليابان كأهل الصين إجمالاً [3] .

---

١ . بتصرف عن الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٤ – ٩١ مطبعة حجازي بالقاهرة .

٢ . الديانات القديمة – أبو زهرة – دار الفكر العربي .

٣ . كتاب (الله) للعقاد ص ٨٠ ، ٨٨ .

القبائل الهمجية

وها هم قبائل الهوتنتوت الأفريقية التي لم تفارق مرتبة الهمجية حتى اليوم ولا يزال أناس منها يأكلون لحوم البشر ، يعرفون إلهاً واحداً فوق جميع الآلهة يسمى أبا الآباء[١] . بينما نجد قبائل البانتو الأفريقيين يقسمون المعبودات إلى ثلاث أنواع : نوع هو بمثابة الأطياف الإنسانية الراحلة وهو الذي يسمونه ميزيمو **MIZIMO** ونوع هو أرواح لم تكن فقط في أجساد البشر وهو الذي يسمونه بيبو **PEPO** ويزعمونه قابلاً للتفاهم والاتصال بالعرّافين والحكماء ، ونوع مفرد لا جمع له ليس من الطياف ولا من الأرواح المتعدد ويسمونه مولنجو **MOLINGO**[٢] .

العرب

أما العرب قبل الإسلام ، فكان منهم قليل من الموحدين أو الحنفاء ، والغالبية العظمى على الشرك . فقد كانت الوثنية منتشرة بينهم ، وكانت الأصنام موزعة على أجزار الجزيرة، وهذه الأصنام أحضرت من خارج الجزيرة حيث أن التوحيد ، وهو دين إبراهيم عليه

---

١ . نفس المرجع السابق .

٢ . أنظر كتاب (الله) للعقاد ط ٥ .

السلام كان مسيطراً على الجزيرة ، ودخل الشرك على العرب عن طريق عمرو بن لحي [1] ، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون [2] : يا أكثم رأيت عَمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبة من النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا به منك ، فقال أكثم : عسى أن يضرني شبهة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين إسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي [3] .

ويروي ابن الكلبي [4] في كتابه الأصنام [5] الكيفية التي جاءت بالأصنام إلى العرب عن طريق عمرو بن لحي فيذكر أن عمراً أصيب بمرض شديد فقيل له : إن بالبلقاء من الشام

---

١ . قال في الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧ (عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان . اول من غير دين العرب من دين إسماعيل إلى الوثنية كنيته أبو ثمامة وفي نسبه خلاف شديد)

٢ . قال في الإصابة ج ١ ص ٧٤ (أكثم بن الجون أو ابن أبي الجون واسمه عبد العزى بن منقذ بن ربيعة ، ابن أصرم ابن ضبيس بن حزام بن حبشة بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي وذكر الحديث بروايات كثيرة) .

٣ . ذكره الطبري ج ١١ ص ١١٨ تحقيق محمود محمد شاكر وتخريج أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر .

البحيرة : كانت الناقة إذا ولدت بطناً خمساً أو سبعاً شقوا أذنها .

السائبة : كان الرجل يأخذ بعض ماله فيقول هذه سائبة (المسيبة المخلاة) =

= وصيلة : إذا ولدت الناقة الذكر أكلوا الذكور دون الإناث وإذا ولدت ذكراً و أنثى في بطن قالوا وصلت أخاها فلا يأكلونها .

حام : البعير إذا ولد وولد ولده قالوا قد مضى هذا الذي عليه فلم ينتفعوا بظهره قالوا هذا حمي .

٤ . قال في الأعلام (ج ٩ ص ٨٧) بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي مؤرخ نسابة ، رواية الأخبار توفي سنة ٢٠٤ هـ في الكوفة وله مصنفات منها كتاب الأصنام وجمهرة الأنساب وغيرها .

٥ . المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ تحقيق أحمد زكي باشا ، ص ٩ وما بعدها الأصنام لأبي المنذر هشام بن محمد ابن السائب الكلبي .

حمة إن أتيهتا برأت ، فأتاها فاستحم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال : ما هذه ؟ قالوا : نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة . وهكذا انتشرت عبادة الأصنام بين العرب ، وفشا الشرك بين الناس ، فاتخذت كل قبيلة لها صنماً ، وكل بيت وضع فيه صنم خاص ، وكانت نزار تقول إذا أهلت : لبيم اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . وعبدت خزاعة وقريش أسافاً ونائلة وهما زانيان مسخا بعد زنيهما بالبيت . وعبدت هذيل سواعاً ومن أصنامهم ذو الخلصة وكان بين مكة واليمن (بتبالة) وكان سدنتها بنو إمامة . وعبدت كلب وداً ، وعبدت مدحج وأهل جُرَش يغوث . وعبدت خيوان يعوق ، وعبدت حمير نسراً واشتركت خزاعة وهذيل في مناة وهي قديمة ، وكانت جميع العرب تعظم مناة حيث كانت على الساحل من ناحية المشلل بقديد . وكان لطيء الفَلْس ، واتخذ أهل الطائف اللات ، وكان العزى أكبر أصنامهم . وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها عندهم هبل . وكان لبني كنانة صنم بجدة يقال له (سعد) ، ولدوس صنم يثال له (ذو الكفين) ، ولبني الحارث صنم يقال له (ذو الشري) ، وكانت لهم كعبة يعظمونها بنجران . وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم يقال له الأقيصر على مشارف الشام ، وكان لمزينة صنم يقال له (نهم) ، وكان لأزد السَرَاة صنم يقال له (عائم) ، ولعنزة صنم يقال له (سعير) ، ولخولان صنم يقال له (عميانس) ، وانتشرت بينهم وبخاصة القبائل البعيدة فكرة بناء بيوت على مثال الكعبة ، فكان لإياد كعبة بسنداه وهي أرض بين الكوفة والبصرة . وكان أبرهة الاشرم قد بنى كنيسة سماها القليس وزخرفها وزينها ليصد الناس عن الكعبة المشرقة . هذه حالة العرب وأصنامهم وإلى جانب هذا كانوا ينحرون ويحجون ويعتمرون .

وكان من العرب يهود ونصارى ، ولعل الموحدين أو الأحناف قوم تأثروا باليهودية أو النصرانية أو هم بقايا سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن هؤلاء الأحناف ورقة بن نوفل . وكان العرب يذكرون الله على ألسنتهم ويسمون أبناءهم بعبد الله وتيم الله ويعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى فهم يؤمنون بالغيب لأن المشرك لا يمكن أن يسمى ملحداً . وإذا كان من العرب من ينكر البعث فهذا لا يعني أنه ينكر وجود الله أو ينكر الإيمان بالغيب مطلقاً .

(الفلاسفة المحدثون)

أما الفلاسفة المحدثون فقد انقسموا قسمين قسم آمن وهو الأكثر ، وقسم ألحد وهو قليل نسبياً سيأتي ذكره تحت عنوان (الفريق المنكر لعقيدة الغيب) ، فمن الفلاسفة المؤمنين الفيلسوف سانتيانا الذي يسمي الإيمان بالغيب بالإيمان الحيواني لأنه غريزة[1]. أما ديكارت فيبدأ من الشك في كل شيء لينتهي إلى اليقين بوجوده هو نفسه ومن خلال إيمانه بوجود ذاته يصل إلى الإيمان بوجود الله [2]. وذهب عمانوئيل كانت الألماني إلى وجود الله مستدلاً على ذلك بالضمير والرغبة الباطنة والدليل الأخلاقي ، ورفض أن يكون العقل هو الدليل لأن العقل محدود لا يدرك إلا المسائل الجزئية والحقائق الجزئية .

أما الحقيقة الكلية فهي فوق قدراته [3] ويقول تولستوي الفيلسوف الروسي : (ما الحياة وما الموت ، إنني أعيش إذا فقدت العقيدة في وجود الله ولولا أنني كنت أتعلق بأمل غامض

---

١ . الله ذاتاً وموضوعاً ص ١٣٨ للخطيب .

٢ . أنظر ص ١١٥ كتاب التأملات في الفلسفة الأولى لديكارت ترجمة د. عثمان أمين مكتبة الأنجلو المصرية .

٣ . أنظر ص ٦٤٤ وما بعدها كتاب (نقد العقل المجرد) لكانت ترجمة أحمد الشيباني دار اليقظة العربية / بيروت .

في وجود إله لقتلت نفسي من زمان بعيد)[1] (ويقول دافيدهيوم البريطاني : إن إثبات وجود الله لم يكن رغبة من رغبات[2] العقل ولكنه رغبة كبرى من رغبات الضمير والشعور)[3].

ويقول (ريد) : إن وجود الله حقيقة من حقائق الإدراك السليم[4].

ويقول لوك : إن لنا من المعرفة اليقينية بوجود الله ما يزيد على كل معرفة لم تكشفها لنا الحواس ، لا ، بل يسعني أن أقول إن يقيننا بوجود إله أقوى من اليقين بوجود أي شيء خارج عنا[5] ويؤمن كل من نيوتن وجورج باركلي بوجود الله[6].

(علماء الفنون)

أما علماء الفنون من فلك وطب وتشريح وذرة .. إلخ فكثيرون ، بل الغالب فيهم مؤمنون كذلك . فروبرت بروم عضو الجمعية الملكية الإنجليزية يقول في فصل مجموعة الروح العصري نحو فلسفة الإيمان ، نشرت هذه المجموعة عام ١٩٥١ م : (ولقد كانت مباحثي في الخمسين سنة الأخيرة مفرغة على الأكثر لدراسة الحفريات الفقارية ولم تقنعني

---

١ . الإسلام والمبادئ المستوردة لعبد المنعم النمر ط ١ ص ١٧ دار القلم بالقاهرة .

٢ . لو قال (فقط) لكان أولى .

٣ . ١٩٧ / ١٩٨ (كتاب الله) للعقاد بتصرف ط ٥ دار المعارف .

٤ . المرجع السابق .

٥ . الله / العقاد بتصرف ص ١٩٩.

٦ . المرجع السابق ص ١٩٤ بتصرف .

هذه المباحث بأن أنواع الحياة الأخيرة قد جاءت من طريق التطور وكفى ، بل أقنعتني كذلك بأن هذا التطور [1] لم يحدث جزافاً ولا عرضاً ولكن حدث بهداية أو هدايات روحانية[2] .

ويقول وليام بروان أستاذ علم النفس بجامعة أكسفورد وصاحب التجارب المشهورة في العلاج النفسي إذ يقول في المجموعة السالفة الذكر : (... إن الله يحيط بكل شيء ..) [3] ويقول آرثر تومسون أستاذ التاريخ الطبيعي بجامعة أبردين ببريطانيا في فصل من مجموعة العلم والدين (.. فالذي نحن على يقين منه أنه بحاجة إلى مزيد من العلم ومزيد من الدين) .

ويقول جوردن عضو جماعة الأطباء الملكية بأدنبرة في كتابه فلسفة العالم : (ويومئذ نحب الله حيث نحب الله في كماله نرى أن الكمال هو المهم) [4]. ومن العلماء الذين يمكن أن نعتبرهم من المؤمنين الدكتور ألكس كاريل [5] الذي هاجم الحضارة المادية لأنها لم تأخذ في حسابها طبيعة الإنسان وأسند إليها السبب في شقاء البشرية ، وأنه لا بد من اعتبار الإنسان

---

١ . سيأتي الحديث عن موضوع التطور .

٢ . عقائد المفكرين للعقاد ص ٨٧ .

٣ . المرجع السابق .

٤ . عقائد المفكرين / العقاد .

٥ . ولد بفرنسا عام ١٨٧٣ وحصل على الاجازة في الطب من بلده وكذلك إجازة في العلوم ، درس عدة سنوات ثم رحل إلى أمريكا عام ١٩٠٥ م وعمل في معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك مدة ثلاثين عاماً ثم عاد إلى فرنسا عام ١٩٣٩ واشتغل مع وزارة الصحة الفرنسية لأمور تتعلق بالحرب وحصل على جائزة نوبل عام ١٩١٢ وتوفي في باريس عام ١٩٤٤ م . أنظر مقدمة كتابه : الإنسان ذلك المجهول .

جسداً وروحاً . وهذا الكلام له وزنه وبخاصة من شخص له قيمة في مجاله وتخصصه إذ يقول : لست فيلسوفاً ولكنني رجل علم فقط قضيت الشطر الأكبر في حياتي في المعمل أدرس الكائنات الحية وأمضيت الشطر الآخر في العالم الفسيح أراقب بني الإنسان وأحاول أن أفهمهم .. إنني عليم بكل ما اكتنف الفقير والغني ، الصحيح والسقيم ، المتعلم والجاهل، وضعيف العقل والمجنون ، الذكي والمجرم ، كما إنني أعرف الفلاحين والعمال والكتبة وأصحاب المتاجر وأصحاب المصانع ، الساسة ورجال الحكم ، الجنود وأساتذة الجامعات ، المدرسين ورجال الدين ، البورجوازيين والأرستقراطيين ، وقد ألقت بي الظروف في طريق الفلاسفة والفنانين والشعراء والعلماء والعباقرة والقديسين [1] . ومن الأدباء المؤمنين برنارد شو إذ إنه يؤمن بقوة غير مادية يسميها القوة الحيوية [2] .

وكذلك الأديب فرانز ويرفل إذ يقول : (إن الله أعظم جداً من أن يحتوي كلام الإنسان برهاناً على وجوده) . ومن الأدباء أيضاً الدوس هكسلي صاحب النزعة الصوفية [3] .

هذه هي آراء بعض المؤمنين بالغيب وهي قليل من كثير [4] . لا يحصى وإنما اخترتها كنماذج على الموضوع ضارباً بها المثل على الإيمان .

ويلاحظ أنني أكثرت الإتيان بأقوال الفلاسفة والأوروبيين وذلك مقصود لأن الإلحاد أكثر ما يكمن في الذين يدعون الفلسفة والذين يدعون الحضارة والتقدم بينما رأينا أساطين

---

١ . ص ٥ الإنسان ذلك المجهول ترجمة عادل شفيق .

٢ . عقائد المفكرين للعقاد ص ١٠١ .

٣ . أنظر عقائد المفكرين للعقاد ص ١٠١ .

٤ . للتوسع أنظر كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) .

الفلسفة ورؤوس العلماء المعتبرين من أصحاب الحضارة يؤمنون بالغيب كما سبق في أقوالهم.

الفريق المنكر لعقيدة الغيب

الإلحاد مرض قديم وجد في الشعوب على مر التاريخ ، ولكن أصحابه قليلون ، لأن مبدأهم لا يرضي الغالبية العظمى ، وإنما هؤلاء القلة دفعتهم ظروف معينة إلى الإلحاد، وكثير من هؤلاء القليل ليسوا ملحدين عقيدة ، ولكنهم إما مستكبرون أو أصحاب ظروف خاصة . علما بأن الكثير من الملحدين يتراجعون عن هذا الإلحاد بعد فترة معينة وبخاصة عند الشيخوخة يقول أفلاطون(ولا أدري بأي يمين أقسم لك بأني قد شاهدت كثيراً ممن أصيبوا بهذه العلة في شبوبتهم وظنوا لا آلهة في الوجود ، فلم تلبث معهم تلك العلة في سن الشيخوخة)[1] ولعل فترة الشباب غير المستقرة التي يكثر فيها الإلحاد وذلك للميزات التي يمتاز بها الشباب من قوة وحمية وغرور واندفاع وتفلت من القيود.

وقد وجد الملحدون في كل عصر وفي كل مجتمع نسبياً ، والذي نقل إلينا بالطبع هو أقوال بعض الملحدين من الفلاسفة وكبار المذاهب ،وإنْ كان هذا لا يعني أنه لا يوجد غيرهم ،لكن شهرة هؤلاء بهذه الصفة لكونهم رجال مذاهب وفلاسفة لهم أتباع.

---

١ . أنظر ص ٧٧ الله والإنسان / للخطيب. دار الفكر العربي ط ٢ - ١٣٩١ هـ مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة .

ومن المفكرين القدماء الفيلسوفان اليونانيان ديمقريطس و أبيقورس . فديمقريطس من أقدم الفلاسفة الماديين بل هو رأسهم. يقول الشهرستاني(وأما أبيقورس فكان يرى أن مبادئ الموجودات أجسام تدرك عقلاً وكانت تتحرك من الخلا [1] في الخلا لا نهاية له إلا أن لها ثلاثة أشياء : الشكل والعظم والثقل ، بينما ديمقريطس كان يرى أن لها شيئين: العظم والشكل وأن الأجسام لا تتجزأ ولا تنكسر وهي معقولة غير محسوسة ، فاصطكت تلك الأجزاء في حركاتها اضطراداً واتفاقاً فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم ، فقالوا بالاتفاق فلم يثبتوا الصانع) [2] ويقول (وأما أبيقورس فقد خالف الأوائل في الأوائل وأنكر البعث وقال إن السعادة والشقاء صنع إنساني) [3]

وتنسب نظرية الفرد [4] إلى ديمقريطس فقال : إن المادة تتركب من جزئيات صغيرة لا نهاية لها هي جواهر فردة ، تتجمع وتتفرق فتتكون بها الأجسام ، والاختلاف الذي وقع أو يقع بين الأجسام هو نتيجة لاختلاف عمليات التجمع والتفرق كما وكيفاً ، وأن هذه الجزيئات قادرة على الحركة في كل اتجاه وعلى أي وضع وأنها لم تستمد حركتها من أي قوة أخرى أو أصل آخر ، وإنما ذلك من طبيعتها أو تحركها الضرورة العمياء [5] .

---

١ . أي الفراغ المطلق.

٢ . الملل والنحل ٢/ ١٨٣ .

٣ . المرجع السابق ٣/ ١٦، ١٧

٤ . أنظر هامش ص ٣٢٧ الملل والنحل ، وأنظر قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين وزكي نجيب محمد .

٥ . أنظر قصة الايمان لنديم الجسر . ما بعد ص ٣١ .

ويقول الشهرستاني : (كان ديمقريطس يقول إن المبدع الأول ليس هو العنصر فقط ولاالعقل فقط بل الأخلاط الاربعة .. وإنما شنع عليه الحكماء من جهة قوله إن أول مبدع هو العناصر وما بعدها أبدعت البسائط الروحانية فهو يرتقي من الاسفل إلى الأعلى ومن الأكدر إلى الأصفى [1].

وذهب ديمقريطس إلى إلحاده وعلل القول بالآلهة بالخوف من الظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين وما شابهها . وفي العهد الروماني حاول لوقريطس إحياء مذهب ديمقريطس [2] . وقد جاء الدهريون في العصر العباسي ومنهم ابن أبي العوجاء [3] . وأبو شاكر الديصاني [4] وعبد الملك البصري وابن المقفع [5] وغيرهم ، وكان هؤلاء الأربعة يقصدون مكة في الموسم لبث سمومهم ، وقد وقع نقاش بين ابن أبي العوجاء وبين الإمام جعفر الصادق في مكة وكان من كلامه : إلى متى تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدر وتهرلون حوله هرولة البعير إذا نفر [6]

---

١ . الملل والنحل ج ٢ ص٣٢٥ – ٣٢٧ .

٢ . أنظر (كيف نحارب الإلحاد) لمحمد أحمد باشميل ص ٨ .

٣ . اسمه عبد الكريم وأغلب الظن إنه من العرب لأنه كان خالا لمعن بن زائدة الشيباني القائد المعروف في الدولتين الأموية والعباسية . كان تلميذاً للحسن البصري واختلف معه فاعتزل الإسلام فألحد ، ثم تدهر وقتل بالبصرة بأمر واليها بأمر الخليفة المنصور .

٤ . قيل إنه تراجع وحسن إسلامه .

٥ . من الكتاب اللامعين والأدباء المشهورين جمع بين العربية والفارسية وبرع في اليونانية ترجم إلى العربية (كليلة ودمنة) من الفارسية قيل إنه قتل لإلحاده وقيل تاب .

٦ . أنظر كتاب (الحياة بعد الموت) لرضا المطوف السماوي ط ١ ص ٩٧ دار الزهراء .

ومن الملحدين أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الروانـدي أو ابـن الراونـدي وقيـل الصحيح ابن الريوندي .

أما الفلاسفة المحدثون فكما قلنا فإن منهم منكرين للبعث كنيتشة وهيدجر وسارتر .

فنيتشة هذا أعلن أن الله قد مات ، وهذا يعبر عن الصراع النفسي الذي كان يعيشه نيتشة لأن حياته كانت مليئة بالحزن والألم . وهيدجر وسارتر أقطاب الوجودية ينكرون الله ، وإن كان بعض الكتاب يحاول أن يفلسف كلامهم ليـدخلهم في دائـرة الإيـمان فيـدعي أن هنـاك وجودية مؤمنة ، وأن سارتر رغم أنه فقد إيمانه بالله فلم يفقد نزوعه نحو الله [1] وكل ما آمن به الوجوديون هو هذا الوجود ، فالإنسان هو الموجود الأول وعليه أن يهتم بوجوده ويـشبع رغباته لا غير .

وأكثر ما كان الإلحاد واضحاً في الفلسفة الماركسية . يقول هـوبز أسـتاذكارل مـاركس : (إن الأشياء المادية وحدها هي المحسوبة بالنسبة لنـا ، فأنـا لا أسـتطيع أن أعلـم شـيئاً عـن وجود الله ، فوجودي هو المؤكد وما عداه خرافة وخيال لا أصدقه) وإذا كان هذا هو كـلام الأستاذ فلا غرابة إذا قال التلميذ : (لا إله والحياة مـادة) ويقـول : (مـا الـدين والأخـلاق والقانون في نظر البروليتاريا إلا آراء برجوازية ، ورسالة البروليتاريا هي القضاء على الـدين والداعين إليه) ويقول : (إن الدين هو أفيون الفقراء) . وها هو صديق ماركس فريـدريك إنجلز يقول : (لا محل مطلقاً لوجود خالق في هذا الزمان الذي ظهرت فيه نظريـة التطـور التي يقوم عليها الكون ، وإن الحديث عن كائن أعـلى خـارج هـذا العـالم الموجـود يتـضمن

---

١ . أنظر في هذا الصدد (الفلسفة الوجودية) لزكريا ابراهيم . دار المعارف بمصر ص ١٢٦ .

تناقضاً في التعبير) ويقول : (الماركسية هي المادية ومن ثم فهي معادية للدين) وقد كتب الصديقان (ماركس وإنجلز) أفكارهما في البيان الشيوعي الذي أصدراه عام[1] ١٨٤٨ م .

ويقول مكسيم جوركي الأديب الروسي : (إن البحث عن الله لا فائدة منه ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ ، وبدون أن نزرع لا يمكن أن نحصد ، وليس لك إله لأنك لم تخلقه بعد ، فالآلهة لا يبحث عنها ولكنها تصنع) .

ويقول لينين رئيس أول دولة شيوعية في روسيا : (نضالنا ضد الدين وضد الجميع الرأسماليين حقيقة لا مراء فيها وهذا ألف باء الماركسية) .

ويقول أيضاً : (وإذا ناضلنا الدين فيجب علينا هدم الأسس الإجتماعية التي يقوم عليها ويجب ربط ذلك بمحاربة أنواع الطبقات) .

ومن المتنكرين للدين والعقائد أصحاب الفلسفة الوضعية وزعيمهم هو أوجست كونت الفرنسي (١٨٥٧) . وهذا المذهب يقسم المراحل التي مر بها العقل إلى ثلاث :

١ – الدور اللاهوتي .

٢ – الدور الميتافيزيقي .

٣ – الدور العلمي أو الوضعي .

ويقرر كونت أن العقائد ستختفي بسبب عدم صلاحيتها ، وأن العقائد الميتافيزيقية ستنهار لأنها لا يمكن لها أن تستمر بسبب تقدم المعرفة الوضعية ، وهو يطلق اسم اللاهوت

---

١ . أنظر هذه الأقوال في كتاب الإسلام والمبادئ المستوردة لعبد المنعم النمر ط ١ ص ١٧ .

ويعني به الخرافة ويسمى التفسير اللاهوتي بالخيال أو الأسطوري [1] ويرفض هذا المذهب نظرية الخلود الدينية ويأخذ بالخلود الذاتي أو الخلود في شعور الآخرين .

ومن الملحدين العرب المعاصرين الدكتور السوري صادق جلال العظم صاحب كتاب (نقد الفكر الديني) إذ يقول : لنقارن بين هذه النظرة العلمية الباردة القاسية وبين القصة الدينية الإسلامية الجميلة المريحة الدافئة التي تعودنا عليها . نجد أن الملائكة والغيبيات والصلوات والمعجزات والجن تؤلف جزءاً لا يتجزأ من التعليل الديني لنشأة الكون وطبيعته كذلك الأمر بالنسبة لتاريخ الإنسان ومصيره . أما النظرة العلمية فقد عبر عنها أحسن تعبير فيلسوف وعالم رياضي (لابلاس) عندما قدم كتابه (نظام الكون) هدية لنابليون فسأله الإمبراطور : وما المكان الذي يحتله الله في نظامك ؟ فأجاب لابلاس : الله فرضية لا حاجة بها في نظامي . فهل من عجب إذن أن نسمع نيتشة يعلن في القرن الماضي أن الله قد مات . وهل باستطاعتنا أن ننكر أن الإله الذي مات في أوروبا بدأ يحتضر في كل مكان تحت وقع وتأثير المعرفة العلمية والتقدم الصناعي ..) [2] .

---

١ . أنظر في هذا الصدد (كتاب فلسفة أوجست كونت) ليفي بريل وهو من أنصار هذا المذهب ترجمة د. محمود قاسم و د السيد محمد بدوي مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ . أنظر ص ٦١ كتاب البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني . جابر حمزة فرج ط ١ المكتب التجاري بيروت ١٣٩٠ هـ .

ومن الملحدين كذلك المدعو عبد الله بن علي القصيمي [1] وبث أفكـاره في كتابه (هـذه هي الأغلال) ودافع عن اليهود وحرف الآيات القرآنية ومدح الملحدين وذم المـؤمنين . ورد عليه صاحب كتاب (الرد القويم على ملحد القصيم) وغيره .

---

١ . من أهل القصيم ويقال أصله من صعيد مصر . كان في بادئ الأمر يدعو إلى الإصـلاح ثـم أخـذ يـدعو إلى الإلحـاد وتوفي في مصر .

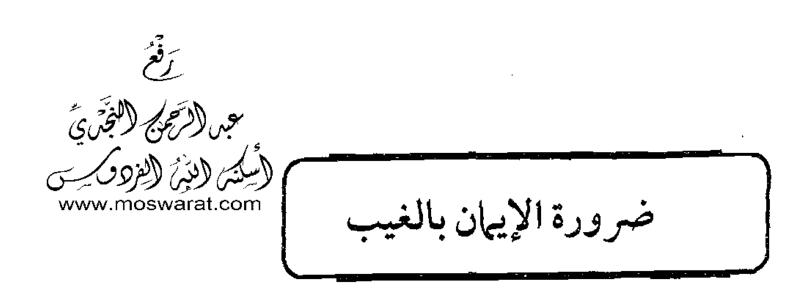

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الباب الثاني

الفصل الأول

ضرورة الإيمان بالغيب



ضرورة الإيمان بالغيب

الإيمان بالغيب ضرورة من جميع النواحي التي تمس الإنسان ، فهو ضرورة من عدة جهات نعرض لأهمها وهي :-

١ . الضرورة البشرية .

٢. الضرورة الاجتماعية .

٣. الضرورة الأخلاقية .

٤ . الضرورة السياسية .

٥ . الضرورة الاقتصادية .

٦. الضرورة القانونية .

٧. الضرورة العقلية .

٨. الضرورة الفطرية .

ونختم هذه النواحي بما يشملها ألا وهو الضرورة الإسلامية ، ونحن في هذا الفصل نحاول أن نبين وجه الضرورة في هذه النواحي – بإذن الله – .

الضرورة البشرية

ينتشر بين بعض الناس أن الإنسان حيوان ناطق [1] وهذا غير صحيح ، لأن بقية الحيوانات ناطقة بطريقتها الخاصة . وعرفه العقاد بأنه الكائن المكلف بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة أو العلم أو الحكمة [2] وهذا يعترض عليه بأن الجن مكلفون ، فالإنسان ليس هو الكائن الوحيد المكلف ، حيث أن خطاب التكليف في الشرع يخاطب الإنس والجن : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ومن الجن مؤمنون وكفار ، وقد قرأ عليهم الرسول ﷺ القرآن كما سبق .

فالتكليف ليس للإنسان وحده . ويمكن تعريفه بأنه كائن معتقد أو متدين عنده قابلية للخير والشر ومكلف بالخلافة في الأرض حيث قبل حمل الأمانة ، و فإسقاط (أل) التعريف تنفي تخصيص الإنسان بهذا ، وبذا نرفع الاعتراض الذي وجّه للعقاد .

وهذا التعريف لا يعترض عليه بقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الحديد: ١] وقوله : ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ

---

١ . أنظر كتاب (الإنسان في القرآن الكريم) للعقاد ص ١٩ دار الهلال .

٢ . المرجع السابق .

يُسَبِّحْنَ ﴾[ص: ١٨] وقوله : ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠] لأن الإنسان يتدين باختياره ، أما تدين وتسبيح الكائنات الأخرى فهو تسخيري حيث أنها غير مكلفة شرعاً .

وبناء على أن الإنسان كائن متدين ، كان الإيمان بالغيب ضرورة بكون الإنسان إنساناً وهذا هو معنى قولنا ان الإيمان بالغيب ضرورة بشرية إذ أن الإنسان لا يستقيم وضعه البشري كإنسان إلا بما يلزم الإنسان وهو التدين ، لأنه العنصر الرئيسي في هذا النوع من المخلوقات ، وبدون الإيمان بالغيب تفقد البشرية عنصراً رئيساً من تكوينها يجعلها تقع في التيه وتتخبط في الضلال .

وقد ادعى بعضهم [١] استغناء الإنسان عن العقيدة لما وصل إليه من علم وتقدم وفكر . وهذا الإدعاء لا يملك حجة واحدة على ذلك ، بل هي دعوى باطلة يكذبها الواقع ويبطلها تاريخ البشرية الطويل . فواقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان وفي أيّة ظروف وعلى اختلاف أحواله وتباين ظروفه ، لا يخلو من عقيدة أبداً سواء كانت تلك العقيدة حقاً أو باطلاً ، صحيحة أو فاسدة . يقول بازماك الإغريقي : قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور وبلا سدود ولا قناطر ولكن لم توجد مدن بلا معابد [٢] . واحتج الذين ادعو الاستغناء عن العقيدة بأن العقيدة نشأت لظروف معينة من خوف الإنسان من الطبيعة، أما وقد سيطر عليها فلا داعي للعقيدة . لكن المعروف أن هذا الخوف لا يزال مرافقاً للإنسان وأنه لم يسيطر على الطبيعة حقيقة . ودعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوى يبطلها الواقع المرير للشعوب التي تركت الدين .

---

١ . كالماديين والعلمانيين .

٢ . أنظر عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٢٢ ما بعدها ط ١ .

يقول الدكتور ألكسيس كاريل عن أمراض مجتمعه : إن شخصاً من كل (٢٢) شخصاً من سكان نيويورك يجب إدخاله أحد مستشفيات الأمراض العقلية بين حين وحين .. ففي عام ١٩٣٢ م كان عدد المجانين المودعين بالمستشفيات الحكومية ٣٤٠.٠٠٠ مجنون كما كان عدد ضعاف العقول والمصروعين المحجوزين في المصحات الخاصة ٨١.٥٨٠ ، وكان عدد مطلقي السراح بشرط كلمة الشرف من ضعاف العقلول ١٠.٩٣٠ ، ولا تشمل هذه الاحصائيات الحالة العقيلة التي تعالج في المستشفيات الخاصة .. ويوجد في البلاد ٥٠٠.٠٠٠ شخص من ضعاف العقول .. وعدد الأطفال الذين لا يسمح لهم ذكاؤهم بالاستمرار في الدراسة ٤٠٠.٠٠٠ طفل ، ويقدر أن عدة مئات من الآلاف لم تشملهم الاحصاءات الرسمية مصابون باضطرابات نفسية [1] وهذا قليل من كثير [2] مما كتب عن واقع هذه الشعوب ممّا سبّبه الغرق في الماديات والبعد عن الدين .

---

١ . بتصرف عن كتاب (الإنسان ذلك المجهول) ص ١٢٣-١٢٤ ترجمة عادل شفيق .

٢ . قال المودودي (رحمه الله) في الحجاب ( ) ص ١٠٧ (بأن البغاء في الغرب هو بمثابة الشغل التجاري الدولي المنظم .. وقد قدروا أن تسعين بالمئة من أهالي القطر الأمريكي مبتلون بالأمراض السرية وأن ٢٠٠ ألف مصابون بالزهري ، ١٦٠ ألف بالسيلان في كل سنة وأنه يوجد ٦٥٠ مستشفى مختصاً بهذه الأمراض وأن (٣٠ – ٤٠) طفلاً يموتون بمرض الزهري الموروث .. وإن الطلاق والانتحار منتشران ..) بتصرف .

وقد اتضح من الفصل السابق (موقف الناس من الغيب) كيف أن البشرية تصر على الإيمان بالغيب وإن اختلفت في مضمون هذا الغيب وهذا الإصرار من الناس عبر الزمان والمكان يؤكد كلامنا حول الضرورة البشرية للإيمان بالغيب .

ويرى الراغب الأصفهاني وجهاً آخر للضرورة البشرية وهو أن إحكام بنية الإنسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقصها وهدمها يدل على أن هناك حياة أخرى ، وخاصية النظر في العواقب التي امتاز بها الإنسان لم يجعلها الله فيه إلا لأمر جعله له في العقبى [1] .

وإن استمرار الحياة عبر العصور يدل على أن الخالق العظيم يرعى هذه الحياة بما فيها من مخلوقات كثيرة ونظام محكم عجيب قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالقيوم هو القائم بنفسه ، والقائم على مصالح خلقه فلولا أنه قيوم السماوات والأرض لما استمرت هذه الحياة ، فاستمرارها يدل على الغيب ويجعله ضرورة لأن المشاهد يرى استمرار الحياة ونظامها .

ومن مظاهر الضرورة البشرية تهافت الناس جميعاً ورغبتهم في معرفة المستقبل الذي هو من الغيب ، فهذه الرغبة تعبر عما في النفس البشرية من نزوع إلى شيء ضروري لها تحاول معرفته . وما المظاهر المنتشرة بين الشعوب قديماً وحديثاً إلا دلائل على هذا وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط مقالاً في هذا المجال تحت عنوان : (الأوروبيون يركضون وراء العرافين والمنجمين ويبحثون عن المشعوذين والضاربين بالرمل) وذكرت أن سبب هذا هو رغبتهم في التمسك بكل ما يمكن أن يساعدهم في معرفة المستقبل رغم العلم والحضارة و

---

١. بتصرف عن كتاب (تفصيل النشأتين) ص ١٠٤ تحقيق أحمد حسين كعكو المطبعة العربية / حلب .

(الكمبيوترز) ، والسبب في ذلك أن التشاؤم لا يزال منتشراً بينهم ، فهم يتخوفون من رؤية هرة تمر أمامهم من اليسار إلى اليمين ، لأن هذا إن وقع فإنهم يعودون إلى بيوتهم ، وبعضهم الآخر ينتظر عودة الهرة من اليمين إلى اليسار ليخرج . أما يوم النحس فهو يوم الجمعة [1] إن صادف الثالث عشر من الشهر ، فكثيرون لا يخرجون فهم يراقبون اليومية (الروزنامة) من بداية العام. وبعضهم لا يوقع أي عقد تجاري أو صناعي أو لا يفتحون الشركات والمؤسسات إلا إذا كان القمر في النصف الأول من عمره لمدة أسبوعين ، ولما كان الأمر كذلك فإن كثيرين لا يزالون يذهبون إلى العرافين الذين يخلطون لهم الورق أو يتطلعون لهم في الكرة الزجاجية أو في فنجان الزيت في محاولة لاستنتاج شيء في المستقبل ، ويقوم بهذه المهمة الغجر الأوربيون منذ مئات السنين ، وقد تطور لدى الغجر علم الفراسة وصاروا يتطلعون في الوجوه ويستنتجون الأفكار بحسب ما هو شبه معقول أو ما يخطر لهم . وصار الآن أحفاد الغجر في المنازل والدارات [2] الواسعة بدلاً من عربات الخيل التي كانوا يعيشون وينتقلون فيها . بعضهم أصبح الآن من أصحاب الملايين ، وبعضهم صار يخفي ثروته عن دوائر الضريبة تحسباً من خسارة جزء من الثروة التي يجنيها [3] ...

---

١ . أفضل الأيام عند المسلمين هو يوم الجمعة .

٢ . الدارة كل أرض واسعة بين الجبال وجمعها دارات ودور . أنظر لسان العرب ج ٤ ص ٢٩٦ .

٣ . الشرق الأوسط عدد ١٦٨ السنة الأولى .

وهذه الظاهرة موجودة في كل العالم ، ففي أوروبا لعب الورق والكرة الزجاجية ، وفي آسيا الضرب بالمكعب والرمل ، وفي أفريقيا استشارة الأرواح ، وفي القِدَم كانت استشارة النجوم في كل العالم .

ومن المظاهر التي نراها في اندفاع الناس لمعرفة المستقبل تهافتهم على قراءة زاوية الأبراج المنتشرة في الصحف اليومية ، وينتشر في بعض البلدان الفتح في الفنجان والكف ، وهذه كلها خرافات يرفضها الإسلام ، ولكنني ذكرتها لأبيّن أن الناس في نفوسهم حب معرفة المستقبل وإن كانوا وقعوا فيما هو خرافة وباطل . فهذه النزوع إلى معروفة المستقبل شيء بشري والمستقبل من الغيب فالبشر يتطلّعون إلى الغيب فهو شيء ضروري لهم ولولا كونه ضرورياً لما بحثوا عنه .

وحول الضرورة البشرية يقول وحيد الدين خان : هناك حاجة إلى الآخرة من عدة جوانب : الجانب النفسي : فإن كان الملحدون يعللون فكرة الآخرة بأن الناس اخترعوها لعيزوا أنفسهم من القهر الدنيوي والموت ، فمع هذا فإن هذه الفكرة تدل على شيء ، فكما أن الظمأ يدل على الماء ، فكذلك التفكير في الآخرة يدل عليها ، وهذا المطلب النفسي منذ أقدم العصور لا يمكن رفضه واعتباره باطلاً بكل سهولة ..[1] .

فهذه النواحي كلها تدل على أن الإيمان بالغيب ضرورة بشرية .

---

١ . الإسلام يتحدى / بتصرف . ص ٨٢ المختار الإسلامي ط ٦ وحيد الدين خان.

الضرورة الإجتماعية

أما ضرورة الإيمان بالغيب من الناحية الاجتماعية فلها صلة بما سبقها أي بالضرورة البشرية ، حيث أن المجتمع هو مجموعة من البشر .

وتتضح هذه الضرورة حين نعلم أنه منذ فجر التاريخ وقبل أن يعرف الإنسان كيف يطهو طعامه ، وكيف بنى لنفسه بيتاً أحس أنه لا بد أن يعبد شيئاً فكانت العبادة ضرورية أكثر من الطعام والشراب ، وكما يقول ابن القيم : إن الإنسان جسد وروح وإن أهمية الروح أكثر من الجسد لأن الجسد لا يعيش بدون روح بينما الروح تعيش بدون جسد ، فضرورة المحافظة على الروحانيات أولى من المحافظة على الحاجات الجسدية من الطعام والشراب .

ومن باب الضرورة الإجتماعية كانت العبادة منتشرة في كل المجتمعات ، فعبد الإنسان آلهة شتى كما سبق بيانه في (موقف الناس) .

وإذا كان المجتمع يريد أن يحافظ على تركيبه ونظامه فلا بد له من الإيمان بالغيب إذ أن الأسرة كشكل من أشكال المجتمع لا تتم الصلة المعقولة بين أفرادها بشكل سليم إلا إذا كان أفرداها يؤمنون بالغيب ، وها نحن أمام حقائق وواقع الأسر التي ابتعدت عن الدين واقتربت من المادة بل عاشت فيها ، نجد أن هذه الأسر قد انحلت وفقدت الرباط بين أفرادها والسبب هو طغيان التفكير المادي على الأفراد .

ومما يحسدنا عليه الأوروبيون وبعض الشعوب تماسك الأسرة في البلاد الإسلامية ، ويرجع هذا بالطبع إلى الدين المغروس في نفوس الناس مما يجعلهم يتماسكون في أسرهم وعائلاتهم .

إن الإنسان إذا فقد الإيمان بالغيب فإنه سيصاب بأمراض عديدة . إنه سيصاب بالخوف وتنزل به الآلام النفسية ، فلا يجد للحياة طعماً ، ولا يستطيع مع هذا القلق أن يقوم بدوره الرئيسي في إسعاد نفسه ونفع غيره ، فتتعطل قواه المادية والأدبية ، ويصبح شيئاً تافهاً لا قيمة له ولا غناء فيه . إن المؤمن يثق بالله ويتوكل عليه ، ولا يستغني عن التوكل العالم ولا العامل ولا الرجل ولا المرأة ولا المحكوم ولا الحاكم ولا الصغير ولا الكبير ، لحاجتهم جميعاً إلى يد قوية حانية تعينهم إذا أقدموا من جانب ، وتمسح آلامهم إذا أخفقوا من جانب آخر .

ويتساءل سيد سابق هل الدين ظاهرة اجتماعية ؟ ويقول[1] : من الظواهر التي تشاهد في المجتمعات على اختلاف درجاتها في سلم التطور ظاهرة التدين . فالمجتمع البدوي الذي لم يعرف شيئاً عن الحضارة ، له معتقداته وعباداته ، والمجتمع الحضري الذي بلغ شأوا في العلم والمدنية له كذلك إيمانه بالغيب وطقوسه الخاصة ، ولظهور هذه الظواهر وبروزها رأى العلماء أنه كلما وجد مجتمع وجد معه دين ،أيا كان هذا الدين وأيا كان مصدره. ولا يعترض على هذا بأن المجتمع الشيوعي قد أسقط الدين من حسابه ، لأن مثل هذا المجتمع لم يوجد حقيقة وإنما وجد هذا التفكير في ذهن أفراد لا في ذهن مجتمع كامل.ولا يمكن أن نطلق كلمة الإلحاد على مجتمع لمجرد أن الحاكمين لهذا المجتمع هم ملحدون . فقد حكمت الشيوعية روسيا وأوروبا الشرقية بالحديد والنار واختفت مظاهر التدين خوفاً من السلطة فلما انهار

---

١ . كتاب (إسلامنا) للسيد سابق . بتصرف . دار الفكر بيروت ص ٤٧ .

الاتحاد السوفيتي وأنظمة أوروبا الشرقية عاد الناس يعلنون عن دياناتهم سواء كانوا نصارى أو مسلمين أو غير ذلك .

ولأنه قلما تجد مجتمعاً يفكر أفراده بنفس تفكير القائمين عليه ، بل الغالب أن المسيطر في وادٍ والأفراد في وادٍ آخر ، وهذا ما يمكن أن يقال عن المجتمع الشيوعي . وعليه فلا يمكن أن يأتي يوم يعيش الناس فيه من غير دين بل ستبقى النفس تنزع إليه لأنه من طبيعتها ولهذا قرر الإسلام أن الدين فطرة فقال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠.

ويرى الشيخ الأفغاني أن الدين ضرورة للمجتمع حيث أن العقيدة الدينية تكفل للمجتمع الإنساني ثلاثة عناصر هي : الحياء ، الأمانة ، الصدق .

ويفيض في شرح هذه العناصر وضرورتها للسلوك المستقيم في المجتمع ويقول: إن وهم الدهري لا يجتمع مع فضيلة الأمانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولة وذلك لأن الإنسان له شهوات .. وطريقة تحصيلها إما بالسيف والقوة وهذا يفضي إلى سفك الدماء ، أو بشرف النفس وهذا محدود بالعرف والعادة وليس له مقاس عام ، أو الحكومة وهي لا تعرف إلا الاعتداءات الواضحة ، أما المفاسد المموهة فلا تعرفها ، على أن رجالها قد يكونون أيضاً من المفسدين ، أو الاعتقاد بمدبر للكون وبأنه مالك الجزاء في الحياة الأبدية وذلك هو المتعين [١] .

ويشكو الغربيون من الخطر الذي سيحل بمجتمعهم نتيجة طغيان المادة وذلك على لسان وزير خارجية أمريكا السابق (فوستر دالاس) إذ يقول : إن هنالك شيئاً ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية .

---

١ . أنظر ص ٥٧ – ٦٣ الرد على الدهريين للأفغاني تحقيق محمود أبو رية . دار الكرنك / القاهرة / مطبعة الوحدة .

لا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً وأن يتملكنا الذعر . إن ذلك أمر جديد في تاريخنا . إن الأمر لا يتعلق بالماديات فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية . إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي فبدونه يكون ما لدينا قليلاً . وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم ، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم ، أو القنابل مهما بلغت قوتها . فمتى شعر الإنسان بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة أمراً حتمياً [1] .

وهذا قليل من كثير مما تعاني منه المجتمعات مما يبين أن صلاحها يكون بلازمها وهو الإيمان ليسودها التقدم والرخاء والسعادة .

الضرورة الأخلاقية

قلنا إن الإيمان بالغيب ضرورة بشرية ، ومن مستلزمات البشر الأخلاق ، ولا يوجد على ظهر البسيطة إنسان دون أخلاق مهما كان نوع خلقه ، حسناً كان أو سيئاً ، المهم أنه يمتاز بالخلق ، وهذا يدل على أن الإنسان كائن يتصف بالخلق ، فإن كان تصرفه حسناً وصف بأنه حسن الخلق ، وإن كان العكس وصف أنه سيء الخلق . وإذا ارتبطت الأخلاق فلا بد أن ترتبط بما ارتبط به الإنسان ألا وهو الإيمان بالغيب .

إن الأخلاق يمتاز بها الأفراد وتمتاز بها الشعوب والجماعات ، ولكن كما ذكرنا فالأخلاق تتنوع إلى حسن وقبيح . وكمثال على الخلق الفردي الحسن نتذكر الرسول ﷺ ، وكخلق أمة

---

١ . ص ٣٣٧ بتصرف (كتاب حرب أم سلام – فصل حاجتنا الروحية) جون فوستر دالاس . طبع القاهرة .

نتذكر معاملة صلاح الدين الأيوبي للصليبيين بعد أن انتصر عليهم [١] . بينما نجد فارقاً لا يجعلنا ندع مجالاً للمقارنة حين نتذكر إلقاء القنابل الذرية على اليابان من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

إن تقسيم الأخلاق إلى حسن وقبيح لا بد أن يعتمد على شيء ثابت يعدّ ضابطاً للأخلاق البشرية لأن تقسيم الأخلاق واعتبارها حسنة أو قبيحة لو ترك هذا التقسيم لرغبة الأفراد لاختلف الناس فيما هو حسن وما هو قبيح . ولهذا وجد من يقول بأن العقل هو الذي يحسن ويقبح الأخلاق ، ولكن يؤخذ على هذا أن عقول الناس تختلف ، وحينئذ نعود إلى دائرة التفرق والاختلاف ولا نخرج منها إلا إذا قررنا أن ضابط الأخلاق هو الدين الحق ، فالحسن هو ما استحسنه الشرع ، والقبيح هو ما استقبحه الشرع كما يقول الغزالي [٢] .

وإذا تصفحنا كتب علماء الأخلاق أياً كانوا نجد أن القضايا التي طرقوها تعتبر جزءاً بسيطاً من الأخلاق الإسلامية ، فالأخلاق التي ذكرها القرآن كثيرة مثالها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

١ . أنظر (الكامل في التاريخ) لأبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين . مطبعة الاستقامة / القاهرة .

٢ . أنظر (المستصفى من علم الأصول) لأبي حامد الغزالي ج ١ ص ٥٥ ط ١ المطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٢ هـ .

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة لقمان: ١٣ - ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣ - ٧٧] .

هذا وإن المتصفح لأي كتاب من كتب الحديث سيجد باباً خاصاً بالأخلاق بعنوان باب الأدب كما في الصحيحين . والكتب التي تحدثت عن تهذيب النفس من قبل علماء الإسلام

مليئة بذلك ومثالها مدارج السالكين لابن القيم . فهو يتكلم عن الصدق والغيبة والنميمة والرضا ويتكلم عن أخلاق العبد مع ربه ومع غيره من الناس ومع نفسه .

وقد أثنى القرآن على محمد ﷺ بقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم:٤] وتقول عائشة رضي الله عنها في وصف خلق رسول الله ﷺ : كان خلقه القرآن [1] وقال ﷺ : ((إن خياركم أحسنكم أخلاقاً)) [2] وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾[سورة الإسراء: ٣٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة النساء: ١٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [سورة الحجرات: ١٢] وقال عليه الصلاة والسلام " (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء) [3] وقال ﷺ : ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) [4]، وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ((كل معروف صدقة ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلِق وأن تفرغ

---

١ . أنظر مسلم ط ١ ج ١ ص٥١٣ دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ورواه البيهقي في سننه ط ١ الهندية ج ٣ ص ٣٠ .

٢ . البخاري مع الفتح ٦ / ٥٦٦ ومسلم ٤ / ١٨١٠ .

٣ . سنن الدارمي . مطبعة الاعتدال ص ٢٤٧ ج ٢ وانظر الترمذي ط ١ ج ٥ ص ٢١٣ قال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الثوري عن أبي حمزة اسمه عبد الله بن جابر وهو شيخ بصري .

٤ . أنظر مسند الإمام أحمد ٣/ ١٥٤ المكتب الإسلامي قال في الفتح الرباني ١٩/ ٢٣٣ : (تخريجه : رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبراني في الصغير والبيهقي في السنن والضياء المقدس في المختارة وعبد بن حميد وسنده حسن) .

من دلوك في إنائه [1])) وفي الحديث القدسي : ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى به ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره)) [2].

وعن أبي ذر [3] قال: قال رسول الله(ﷺ) تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر ، وإرشادك في أرض الضلال لك صدقة ،وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك عن دلوك في دلو أخيك لك صدقة [4] وفي مجال الأخلاق مع الله تعالى قال(ﷺ) معرفاً الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)[5] وفي الأخلاق مع الغير(المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه....) [6] قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ وقال﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة: ٨] ولتوضيح

---

١ . المسند للإمام أحمد ٣/ ٣٤٤ المكتب الإسلامي .

٢. البخاري في الفتح ٤/ ٤١٧ .

٣ . قال في الإصابة ج ٤ ص ٦٣ (أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة هو جندب بن جنادة بن سكن من السابقين إلى الإسلام علم بخبر النبوة فجاء يبحث عن الحق فأسلم ، وطلب منه الرسول(ﷺ) أن يعود إلى قومه لكنه صمم أن يجهر بالحق في مكة فذهب للمسجد وصرخ بالشهادتين فضربه القوم وكرر الفعل في اليوم التالي وضرب ، توفي سنة ٣١هـ بالربذة قال عنه الرسول (ﷺ) يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده.

٤ . سنن الترمذي بشرح بن العربي ج ٨ ص ١٣٤ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

٥ . رواه مسلم ط ١ ج ١ ص ٣٧ ورواه البخاري مع الفتح في الطبعة السلفية ج ١ ص ١١٤.

٦ . البخاري مع الفتح ج ٥ ص ٩٧ ومسلم ط ١ ج ٤ ص ١٩٨٦ .

ارتباط الأخلاق بالإيمان ، نذكر على سبيل المثال الخلق الإسلامي الأصيل ((الصدق)) قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] فقد خاطبهم بصفة الإيمان وأمرهم بالصدق بأن يكونوا مع الصادقين ، ومفهومه أن لا يكون مع الكاذبين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠] .

فمنطوقه أصدقوا ، ومفهومه أن لا تقولوا قولاً غير سديد . والكذب من القول غير السديد . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣]. وجعل الصادق والمصدق للصدق من المتقين . وقد لُقب أبو بكر بالصديق حيث أن إيمانه دفعه إلى تصديق ما قيل عن الرسول محمد ﷺ فقال : إن قالها فقد صدق ، إني لأصدقه بأكثر من ذلك ، أصدقه بخبر السماء . وقد وضع الإسلام قواعد أخلاقية للفرد والأسرة والمجتمع والدولة .

فأمر الفرد بالتحكم بشهواته وكظم غيظه وأمره بالصدق والرقة والتواضع والتحفظ في الأحكام واجتناب سوء الظن والثبات والصبر وأن يكون قدوة حسنة وأن يكون من المعتدلين في كل شيء وأن يبادر إلى الصالحات ، وينافس في الخيرات ، ويستمع للخير ويتبعه ، وينتهي عما يؤذي نفسه من انتحار وتشويه للجسم ، وتبديل لخلق الله ، ونهاه عن الكذب والنفاق وتناقض الأعمال والأقوال ، والبخل والإسراف ، والرياء والاختيال ، والكبر والعجب ، والتنفخ والتفاخر بالقدرة والعلم ، والتعلق بالدنيا والحسد والطمع والأسى على ما مضى ، والفرح بما يأتي ، ونهاه عن الخمر والزنا واللواط ونهاه عن تعاطي الكسب الحرام .

وفي مجال الأسرة أمر بالإحسان إلى الوالدين وطاعتهما وبين واجبات وحقوق كل من الزوجين ، وبين المحرمات من النساء ، وبين واجب الوالدين نحو الأولاد وتربيتهم وبين

أمور الزواج وشروطه وبين أخلاق المعدد للأزواج في ضرورة العدل ، وبين بغض الله للطلاق وجعل العلاقة الزوجية مبنية على المودة والرحمة وملؤها السكينة ، وأمر أن تتحلى المعاشرة بالمعروف وأن الإمساك مع الكره أفضل من الإنفصال ، وبين أحكام الناشز والتحكيم بين الطرفين وأحكام العدة والتوارث والوصية .

وللمجتمع أمر باحترام الجار وحرم القتل إلا بالحق ، وحرم النظر إلى عورات الناس ، وحرم السرقة والغش والربا والاختلاس وكل تملك غير مشروع ، وحرم أكل مال اليتيم وخيانة الأمانة والظلم والإيذاء والتواطؤ على الشر ، والدفاع عن الخونة وأمر بالوفاء بالعهد والأمانة ، ونهى عن الغدر وسوء معاملة اليتيم وأمر بإصلاح ذات البين إلى غير مما لا حصر له. ووضع أخلاقاً للدولة نذكرها في الفقرة التالية لأهميتها .

الضرورة السياسية

السياسة مصدر ساس يسوس . وساس الراعي غنمه ساقها إلى المرعى الخصب الذي ينفعها ، وسمي الحاكم سائساً لأنه من الواجب عليه أن يقود الرعية وهم الشعب إلى حيث السلامة والأمان والمصلحة . فالسياسة هي الطريقة التي يتبعها الحاكم ومن يساعده في الحكم ليصل بشعبه وأمته إلى حيث السلامة والمصلحة والقوة والعزة ، ويدخل فيها الأساليب التي يتبعها في معاملة الناس والأمم المجاورة والبعيدة . ولكن هذا المفهوم انحرف عند بعض الناس حيث فهموا السياسة بمعنى الخداع والدسيسة ونصب الفخاخ ، والإيقاع بالغير والتجسس على الناس ، واتباع الطرق التي تؤمن سلامة الحاكم وتثبيته على كرسي الحكم ، بغض النظر عن الأمة وأين تكون مصلحتها ، وأين هي العزة والرخاء والسلامة

والأمان . وهذا المفهوم الأخير يرفضه الإسلام ويرفضه الذوق السليم والفطرة الأصلية . إن الإسلام باعتباره دينا ربانياً يلزم الحاكم (وهو سائس الأمة) أن يسوسهم بما يرضى الله تعالى ولا يجوز لهذا الحاكم أن يفرد السياسة عن العقيدة ، وإننا نرفض الفصل بين الدين والسياسة كما وقع في أوروبا ، لأن الدين في أوروبا يختلف عن ديننا فلا رهبانية ولا كنسية ولا صكوك غفران ، وإنما الحرية في العبادة لله رب العالمين ، ولا واسطة في رفع دعائنا ولا غفران ذنوبنا ، وإنما التوبة الخالصة النصوح بين العبد وربه .

على الحاكم المسلم أن يخط سياسته كما أراد الله ، ومن هنا كانت السياسة نابعة في الإسلام من صميم الإيمان ، فلا دجل ولا نفاق ولا خوف ولا خداع ولا حب للمنصب والكرسي ، بل كل خطوة يخطوها الحاكم بحثاً عن رضا الله عز وجل ، ويحاسب نفسه على كل تقصير ، ويربط هذا بحساب الله تعالى فقد ورد عن علي بن أبي طالب قال : رأيت عمر بن الخطاب على قتب يعدو ، فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ فقال : بعير ندّ[1] من إبل الصدقة أطلبه فقلت : لقد أذللتَ الخلفاء بعدك ، فقال : لا تلمني يا أبا الحسن فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً[2] ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة وفي رواية أخرى (لو ماتت شاة على بشاطىء الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلي عنها يوم القيامة) وفي رواية ثالثة (لو مات جدي بطرف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمراً)[3] والحاكم لا يفرط في القانون لمصلحة قرابته ، بل يكون حازماً في تطبيقه مع الجميع كما قال ﷺ : ((والله

---

١ . ندّ : نفر وذهب على وجهه شارداً .

٢ . عناقا : الأنثى من ولد المعز .

٣ . أنظر هذه الروايات في كتاب (تاريخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزي) تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي دار إحياء علوم الدين ص ١٨٥ .

لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1] والقائد لا يرى له سلطة في ظلم الناس، بل إن أخطأ فعليه أن يعود ويعطي الحق لصاحبه وهذا ما حدث قبيل بدر حين وكز الرسول ﷺ أحد الجنود لأنه لم يسوّ الصف فقال الجندي : لقد أوجعتني يا رسول الله فكشف النبي ﷺ عن بطنه فأخذ الصحابي يقبل ما انكشف له وقال : ما أردت أن أستقيد ولكني مقبل على معركة وأحببت أن يكون آخر عهدي بالدنيا أن يمس جسدي جسدك[2] . ومن أخلاق الحاكم المسلم المشورة مع أصحابه ولا يستبدُّ برأيه ، وأن يعدل بين الرعية ويقر النظام ويصون الأموال والأعراض ويقيم الحدود وينشر الإسلام ، ويسمح بل يطالب ويقرر كلمة الحق على نفسه ، وأن يقرب الصالحين ويبعد المفسدين ، وأن يكون قدوة في كل شيء وأن يضع الصراط بين عينيه ليقيم العدل كما أراد الله عز وجل ، وعليه أن يفرح إذا رد عليه أحد الرعية بعض قوله ولا يغضب لنفسه بل لله ، وأن يعد للأمة الجيش القوي الذي يدفع عن الأمة مكر أعدائها لا أن يكون مخصصاً لحمايته هو ، وأن يحافظ على الأخلاق السالف ذكرها عند الفرد والأسرة والمجتمع ، وأن لا يوالي أعداء الله ، وأن يستأصل الكفر والفساد إلى غير ذلك مما قرره العلماء في هذا المجال .

إن الإيمان بالغيب وراء كل هذا ، وبدونه يمكن التحايل والتلاعب ، وعندها تقع الفوضى التي لا يعلمها إلا الله .

ومما يدعو إلى الإيمان بالغيب والالتزام بالدين من الناحية السياسية الأوضاع الحالية ، فالسياسة العالمية جعلت الأمم معسكرات وأحلافاً كل يهدد الآخر ويتوعده ، مما يجعل

---

١. رواه مسلم ط ١ ج ٣ ص ١٣١٥ ، ورواه أحمد ٦ / ١٦٢ والدارمي ٢ / ١٧٣ .

٢ .أنظر غزوة بدر الكبرى محمد أحمد باشميل ط ١ ص ٧٦ وقال اسم الجندي سواد بن غزية .

الطرف الآخر في حالة قلق وخوف ، ثم هذه المناورات العسكرية الضخمة التي تثير الرعب في الناس لضخامة أسلحتها المتطورة تستطيع أن تفتك بالملايين في وقت قصير كما حدث في الحرب العالمية الثانية حين ضربت أمريكا اليابان فدمرت مدينتي (هيروشيما وناغازاكي) .

إن هذه المأساة تدعو الناس إلى الإيمان الذي يمنع الإنسان من حرق وتدمير أخيه الإنسان . وها هو الإنسان غير المؤمن يعد الأسلحة الفتاكة وكل يوم يظهر سلاح جديد ذري أو عادي ، وبخاصة أن دولاً محدودة تملك هذا السلاح بينما معظم دول العالم لا تملكه فتكون هذه الدول تحت الخطر والتهديد . فالقوي يأكل الضعيف ، يأكله باستغلال الثروات والتهديد بالقوة العسكرية والسلاح الذري وبعمل الفوضى الداخلية والانقلابات العسكرية والتحريض وعدم التعامل الاقتصادي .

ومن المظاهر الفاسدة التي برؤيتها يتذكر الإنسان الإيمان وأثره ما اختص به بعض زعماء دول العالم من الكذب والدجل والنفاق واستغلال شعوبهم .

وكل هذا من أجل مصلحته الخاصة حتى أن بعضهم على استعداد أن يفني عشرات من أمته للمستعمر في سبيل أن يبقى حاكماً على هذا البلد .

ويذكرنا بالإيمان ما يحدث في الدول الظالمة اليوم في تزوير الانتخابات والرشوة لأعضاء البرلمانات للتصويت على قانون معين يدعونا هذا إلى التمسك بالإيمان بالغيب ، لأن هذا الإيمان سينتج لنا أفراداً لا يتصفون بالصفات الحقيرة التي تذهب مصالح الأمة هباء منثوراً .

ولا ننس دور الإعلام في تربية الشعوب ونشر الأفكار والآراء والأخبار وتزور الحقائق ونشر الرذيلة ونفخ الباطل ، وجعل القزم بطلاً ، واللص أميناً ، والمستلم منتصراً ، والزاني شريفاً والمقامر اقتصادياً ، والأرنب أسداً .

إن الإعلام من أهم الوسائل التي تغير الحقائق وتحيل الحق باطلاً والباطل حقاً .

ولهذا كان من الضروري جداً أن يكون المسؤولون عن هذا الإعلام مؤمنين بالله واليوم الأخر والجنة والنار ، وضروري أن يكون هؤلاء مؤمنين بالغيب ليتقوا الله فيما يقولون ويكتبون ويصورون ويعرضون حتى يكون ذلك كله كما أراد الله وفي طاعة الله تعالى .

الضرورة الاقتصادية

ومما يدعو إلى الإيمان بالغيب ويجعله ضرورة ، النّاحية الاقتصادية فالسرقة لم تنتشر بشكل ذائع إلا في المجتمعات التي طغت عليها المادة ، وإن ما حدث من سرقة في المجتمع الإسلامي مثلاً يعدّ حوادث فردية لا تذكر إذا ما قيست بما يحدث الآن ، وبخاصة إذا راعينا المساحة وعدد السكان . ولا ننسى أن جميع النواحي تتكامل ، فإذا لم يكن هناك ظلم للأفراد من قبل الدولة ، والمجتمع لا ينسى الفرد ، فإن هذا الفرد لن ينزل إلى مستوى اللصوص السارقين إلا إذا كان يهوى هذا ، وبالتالي فإن العقوبة الإلهية الرادعة تكون لتلك الأيدي الماهرة في السرقة فيقطعها الإسلام ولا يبالي بها لأنها لم تُرِد البناء بل الهدم ، والإسلام لا يقطع اليد الجائعة إذا امتدت لتأكل ولهذا لم يقطع عمر في عام المجاعة [1] .

---

١ . قال ابن القيم في أعلام الموقعين ج ٣ ص ١٣ : أسقط عمر القطع في عام المجاعة ، قال السعدي حدثنا هارون بن اسماعيل الخزاز ثنا علي بن مبارك ثنا يحيى بن أبي كثير حدثنا حسان بن زاهر أن ابن حدير حدثه عن عمر : قال لا نقطع اليد في غدق ولا عام سنة . قال السعدي سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال : العذق النخلة وعام سنة:المجاعة، فقلت لأحمد تقول به؟ فقال أي لعمري قلت ان سرق في مجاعة لا تقطعه؟ قال لا اذْ حملته الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة . قال السعدي: وهذا على قضية عمر في غلمان حاطب ثنا أبو النعمان عارم ثنا حماد بن سلمة عن

وإن اتصاف الأفراد بالاعتدال في كل شيء ، ونخص هنا النفقة ، أمر مطلوب فالله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ويقول تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[الإسراء: ٢٧] ويقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧] فالإيمان يطلب من صاحبه أن يكون معتدلاً في إنفاقه ، وهنا نتذكر ما يحدث في المجتمعات من الإسراف في مجتمع بحاجة إلى كل فلس وبين أفراده من لا يجد القوت الكافي ، بينما المسرفون يلقون الطعام في القمامة ويلقون النقود فيما هو ضروري أو غير ضروري يجارون في ذلك (الموديلات) المتجددة من سيارات وملابس وأثاث كل هذا لأنهم فرّغوا قلوبهم من حقيقة الإيمان بالغيب وملؤوها بحب الدنيا والشهوات.

وها هو الربا ينتشر في المجتمعات التي ابتعدت عن روح الدين متمثلاً هذا الربا في المؤسسات الربوية مثل البنوك ، وإنه لا يشك باحث اقتصادي في ضرر الربا على المجتمع ، وأنه من عوامل تفتيته ونشر الحقد والجريمة بين أفراده، ولهذا يهاجم الإسلام الربا واعتبره

= ابن عروة عن أبيه عن أبي حاطب أن غلمة لحاطب بن أبي بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فقال له إن غلمان حاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر : يا كثير بن الصلت : إذهب فاقطع أيديهم ، فلما ولّى بهم ردهم عمر ثم قال: أما والله لولا إني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم وأيم والله اذ لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك ثم قال يا مزني بكم أريدت منك ناقتك؟ قال : باربعمئة قال عمر اذهب فأعطه ثمانمئة . وذهب أحمد إلى موافقة عمر في الفضلين جميعاً في مسائل اسماعيل بن سعيد الشافعي التي شرحها السعدي بكتاب سماه المترجم قال: سألت أحمد بن حنبل عن رجل يحمل الثمر من أكمامه فقال فيه الثمن مرتين وضرب نكال ، وقال وكل من درأنا عنه الحدوالقود أضعفنا عليه الغرم ، وقد وافق أحمد على سقوط القطع في المجاعة الأوزاعي . قال ابن حجر في الفتح ج ٤ ص ٤٨٩ وفي حديث أبي هريرة والجني (حديث الصدقة) أن السارق لا يقطع في المجاعة .

جريمة كبرى يحارب الله فاعلها قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩]

وقـال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[البقرة: ٢٧٥] .

وعن جابر قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء[١].

وإن المجتمع الفاضل يحارب الربا ويأخذ بالصدقة والقرض الحسن ونظـام الزكـاة وقـد ثبت في التاريخ كيف عاشت الأمة في رخاء اقتصادي حين تركت الربـا والتـزمن الاقتـصاد الرباني حتى ان الدولة بحثت عمن يأخذ أموال الزكاة فلم تجـد فردوهـا إلى بيـت المـال[٢]، أضف إلى هذا أن الإسلام ربط بين الإيمان والاقتصاد ، فجعل من تكفير الذنوب ما يـساعد عل حل المشكلة الاقتصادية ، فالسيئة تمحوها الحسنة[٣] ومنها الـصدقة ، والـصدقة تطفـئ الخطيئة كما يطفيء الماء النار[٤]، وكفارات بعض الذنوب الصدقة كالحلف ومجامعة الزوجة

---

١. رواه مسلم ط ١ ج ٣ ص ١٢١٩ ورواه البخاري بروايـات أخـرى ج ١٠ ص ٣٧٩ ، ص ٣٩٣ ورواه الـدارمي في السنن ج ٢ ص ٢٤٦ ورواه الترمذي ج ٤ ص٢٠٤ .

٢. أورد ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٧ مطبعة المؤيد (قال حدثني ابن زيد بن عمر بـن الـسيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين وبضعاً– ثلاثين شهراً – لا والله مات عمـر ابن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون الفقراء فما يبرح حتى يرجـع بمالـه قد أغني عمر بن عبد العزيز الناس) .

٣. قال تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال ﷺ (وأتبع السيئة الحسنة تمحوها) رواه أحمد ٥ / ١٥٣ والـدارمي ٣/ ٣٢٣ والترمذي مع ابن العربي ٨/ ١٥٥ ط ١ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

٤. رواه البخاري بالمعنى ١٣/ ٣٠١ ورواه أحمد في مسنده ١٣/ ٣٢١ والنص عند الترمذي ٧/ ٣٦٢ وابن ماجة ٢١٤.

في نهار رمضان والظهار ، وإن نظام الحج مليء بـما يجعـل الناحيـة الاقتـصادية في رخـاء لـو التزمت الدولة بروح نظام الإسلام ، فمن تمتع بالعمرة إلى الحـج فعليـه دم ، ومـن ارتكـب محظوراً من محظورات الإحرام فعليه فدية ، ومن حجَّ قارناً فعليه دم ، وهكذا نجـد الإسـلام حتى في أخص عباداته يمارس الاقتصاد ، لأن الإسـلام نظـام متكامـل لا رهبانيـة ، فهـو لا يحتاج إلى نظام اقتصادي بشري يكمله لأنه نظام من رب العالمين .

وها نحن في شهر رمضان ننهي صيامنا بإخراج صدقة الفطـر ، ليـتمكن الفقـير مـن أن يفرح بالعيد كما يفرح غيره ، وبخاصة إذا عرفنا أن العيد للصائمين ، حيث فرحوا لأنهم أدوا الطاعة وهذه في مقدور الغني والفقير على السواء ، ومع هذا يرى الإسلام أن المظاهر المادية يجب أن يشترك فيها الجميع .

وحض الإسلام الأغنياء على مواساة الفقراء بأموالهم التي اعتبرها مال الله وقد استأمنهم الله على هذا المال ، فليؤدوا الأمانـة إلى أهلهـا كـما أراد الله ، وليـسألنّ هـؤلاء الأغنيـاء عـن أموالهم أين أنفقوها ومن أين اكتسبوها ؟ [1] ومع هـذا فقـد طلـب مـن الفقـير أن يتـصف بالقناعة والحاجة إلى الله وحده ، وأن يبذل جهده ليحصل على رزقه ، وألا يـشكو لمخلـوق،

---

١ . أنظر سنن الترمذي بشرح ابن العربي ط ١ ج ٩ ص ٢٥٣ وقال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مـن حـديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس ، وحسين بن قيس يضعف في الحـديث مـن قبـل حفظـه وفي الباب عن أبي بزرة وهو حسن صحيح .

وأن اليد العليا خير من اليد السفلى[1] ولئن يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع خير له من أن يسأل الناس[2]

وبهذا يكون المجتمع المؤمن يعيش في رخاء واطمئنان ، لا يحقد الفقير على الغني ، ولا يظلم الغني الفقير . وبالمقارنة مع المجتمعات الحالية وانقسامها إلى مجتمع رأسمالي ومجتمع اشتراكي ، والنزاع القائم والحقد بين الغني والفقير ، ومظاهر استغلال الناس من قبل دولهم من كثر الضرائب ونهْب المسؤولين للأموال ورفاهيتهم بها ، والمعيشة المريرة التي يحياها الناس الآخرون من فقر مدقع وحال لا يرضى عنها الله ، كل هذا يجعلنا نقول إن الإيمان ضرورة للإقتصاد كي يعيش الناس في أمن ورخاء في ظل الحب في الله تعالى .

الضرورة القانونية

ومن الأشياء التي تدفعنا للقول بأن الإيمان بالغيب ضرورة ، قضية التقنين . فالقانون الذي لا بد منه للمجتمع يحتاج إلى من يوجده ويكتبه ويقننه ، ولكن البشر عاجزون عن هذا لأن الذي يضع القانون للبشر لا بد أن يكون خالقهم ، لأنه أعلم بما يناسبهم وأن البشر إذا تولوا هذا الأمر فإنه سيكون الفساد والدمار ، حيث إن هذا القانون لن يصلح من حيث التطبيق ، وسنجد عند التطبيق أن منافذه واسعة لكل من يريد التلاعب بمصائر الناس ، وإن

---

١ . رواه البخاري ج ٣ ص ٣٣٥ ومسلم ط ١ ج ٢ ص٧١٧ والدارمي ج١ ص ٣٨٩ .

٢ . رواه البخاري ج ٣ ص ٣٤١ .

عنصر الأنانية سيتدخل فيه ، فكاتب القانون سيضع هذا القانون بحيث لا يتعارض مع مصالحه ، ولهذا نجد في القانون الوضعي (الملك أو رئيس الجمهورية فوق القانون) ونجد الرشوة في المحاكم القضائية ليتحول الحق باطلاً والباطل حقاً ، ونجد الظلم والاضطهاد لمجرد أن هذا الشخص قد عارض القانون الذي وضعه شخص مثله راعى مصلحته ومصطلحة عشيرته وطبقته .

وإن من المهازل في القانون الوضعي ما يحدث حين يتعارض قانون مقر مع مصلحة الرئيس فنجد هذا الرئيس يستبدل هذا القانون بآخر عن طريق البرلمان الذي هو كاللعبة في يده . فلكي نتخلص من هذه العيوب في القانون الوضعي لا بد من استبعاده وتطبيق القانون الإلهي الذي هو من عند الله عز وجل ، حيث لا يخل به اجتهاد الفقهاء لأن اجتهادهم راجع إلى سند في الكتاب أو السنة ، وهذا الاجتهاد ضرورة لصلاح الشريعة لكل زمان ومكان، لمواجهة ما يستجد من الأحداث والمسائل ، فهذا الاجتهاد لا يخرج الشريعة عن كونها من عند الله تعالى ، فحق التشريع لله وحده من حيث القواعد الكلية ، أما التفريع على هذه القواعد فإن العلماء يجتهدون فيما لا نص فيه من المسائل قياساً على فرعية مشابهة ، أو تطبيقاً لقاعدة الكلية ، وهكذا فاجتهاد العلماء لا يخرج بنا عن إطار الشريعة [1] فالمهم أن يكون التشريع من عند الله ، وبهذا نكفل العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة أمام القانون ، قال عليه الصلاة والسلام : ((والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) [2]

---

١ . أنظر كتاب الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر وهي رسالة دكتوراه للطالب الأفغانستاني (سيد محمد موسى) ص ١٥١ .

٢ . رواه مسلم ط ١ ج ٣ ص ١٣١٥ رواه أحمد في مسنده ٦/ ١٦٢ والدارمي في سننه ٢/ ١٧٣ .

ولهذا قصر الله الحكم له فقال : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف: ٤٠] وللمرحوم سيد قطب كلام طيب حول هذا إذ قال :

إنَّ الحكم لا يكون إلا لله فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته .

إن الحاكمية من خصائص الألوهية من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه وتعالى أولى خصائص الألوهية ، سواء ادعى هذا الحق فرد أو طبقة أو حزب أو هيئة أو أمة أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية ، ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادّعاها فقد كفر بالله كفراً بواحاً يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة حتى بحكم هذا النص وحده . وادعاء هذا الحق لا يكون بصورة واحدة هي التي تخرج المدعي من دائرة الدين القيم وتجعله منازعاً لله في أولى خصائص ألوهيته سبحانه ، فليس من الضروري أن يقول (ما علمت لكم من إله غيري) ولكنه يدعي هذا الحق وينازع الله فيه بمجرد أن ينحي شريعة الله عن الحاكمية ، ويستمد القوانين من مصدر آخر ، وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحاكمية هي الأمة أو مجموع البشرية . والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بشريعة الله ، ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعية ، إنما مصدر الحاكمية هو الله [١]

---

١. أنظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٧ دار الشروق ج ٤ ص ١٩٩٠.

الضرورة العقلية

وكذلك فالإيمان بالغيب ضرورة عقلية لأن العقل أدرك من الغيبيات بل رأس الغيبيات وهو وجود الله عز وجل ، ثم إن هذا العقل قد أدرك أن الحواس الإنسانية محدودة وحتى ضمن هذه الحدود نجدها مختلفة بين الناس من حيث النصيب .

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامةْ

أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامة

فهناك أعمى البصر ، وهناك الذي يبصر ولكن بصعوبة ، ثم هناك الإنسان العادي ، ثم هناك خوارق الناس كزرقاء اليمامة التي ترى كما يقال على مسافات بعيدة . ومع هذا تبقى هذه الحاسة محدودة . وكذلك الأذن تسمع على مسافة محدودة واهتزازات صوتية ذات قوة معينة ، وهناك من الأصوات وهي كثيرة ما لا تدركها حاسة السمع . وهكذا بقية الحواس ، فهذه الحواس محدودة ، وإن عدم إدراك الحاسة لشيء معين لا يعني أن هذا الشيء غير موجود ، وبكلمة أخرى إن عدم الإدراك لا يدل على عدم الوجود ، ثم إن العقل محدود ، ولهذا قرر الفيلسوف (كانت) أن العقل ليس هو الوسيلة لمعرفة الله تعالى ، بل الفطرة والشعور الداخلي هو الذي يدرك ذلك .

وكمثال على أن العقل محدود أنني أستطيع أن أدرك بعض المسائل الرياضية ، ولكن قد أعجز عن إدراك غيرها لصعوبتها ولعدم مقدرتي العقلية على الاستمرار في محاولة فهم تلك

المسألة ، وقد يستطيع غيري أن يتابع الفهم لتلك المسألة ويدركها ، ولكن قد يعجز عن غيرها وهكذا .

ولقد عجز العلماء مع ما يبذلونه من جهد ، عن تفسير كثير من القضايا العقلية وقرروا أن لا تفسير لها . مما يدل على محدودية العقل .

وإن هذا العقل الذي منحنا الله إياه يقتضي مناً أن نحافظ على الضرورات السابقة (البشرية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، الاجتماعية ، القانونية) لما قد تبين لنا من مصلحة في تلك الضرورات . فالعقل يقتضي الإيمان بالغيب لأنه ضرورة من الضرورات، ولأن العقل أيضاً لا يملك حجة واحدة تنفي عالم الغيب .

الضرورة الفطرية

قال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[الروم: ٣٠] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم ، كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها)) [١] . ولها نقول إن الفطرة في الإنسان أن يكون متديناً وهذا يعني أنه يؤمن بالغيب ، ونلاحظ قول الرسول ﷺ (كل إنسان) حيث أن (كل) تفيد العموم ، أي ما من مولود إلا ويولد على الفطرة وهي الإسلام .

١. رواه مسلم ط ١ ص٤ ص ٢٠٤٨ .

إن الفطرة تميل إلى اكتشاف المجهول ، ولهذا يحاول كل إنسان أن يعرف كل ما خبئ عنه ، مما يدل على أن هذه الفطرة تسعى وراء الغيب ، والسعي وراء الشيء يدل على وجوده ، فالفطرة تقتضي أن هذا عالمنا ليس هو وحده العالم ، بل هناك ما أخفى عنا وهو أكبر وأكثر وأوسع ، وأن هذه الحياة تعيسة إذا لم يكن هناك حياة أخرى تزيل عنا الأحزان وترفعنا من هذه الأحوال المحزنة في الدنيا إلى حيث الراحة والسعادة والاطمئنان .

الضرورة الإسلامية

أما الضرورة الإسلامية فهي أولاً وقبل كل ما سبق ، وما التفصيل السالف إلا بيان هذه الضرورة الإسلامية حيث أكد الإسلام على الضرورات السابقة جميعاً . فالإسلام يخاطب البشر ورسول الإسلام يقول عن نفسه في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف: ١١٠] وهذا الإسلام لم يأت ليخاطب أفراداً منفردين منعزلين عن بعضهم البعض بل جاء يخاطب الجماعة ، ووضع لها التشريعات التي تنظم علاقاتها ببعضها البعض . والإسلام دين اهتم بالأخلاق حتى أن الرسول ﷺ جعل دعوته وكأنها للأخلاق فقط فقال : ((بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[1] . ولما جاء الإسلام استبدل النظام القبلي بنظام الدولة ورسم سياستها الداخلية والخارجية ، ووضع لها نظامها الاقتصادي بتفصيل دقيق ، وجعل هذا التشريع غير قابل للتبديل لكنه يقبل الاجتهاد ، واحترم بذلك العقل ولم يصادم الفطرة ، وهكذا نجد

---

١. الموطأ لمالك . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٦٤ قال ابن عبد البر هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره .

وهكذا نجد الإسلام دائماً مع الضرورات التي ذكرناها بتفصيل يدعمها ويؤكد عليها لما لها من أهمية في ميزان الإسلام .

ووجه آخر للضرورة الإسلامية وهو أن الإيمان بالغيب ركن الإيمان ، فأركان الإيمان لا تتحق إلا به ، وكذلك يثني الإسلام على المؤمنين بالغيب ثناء ما بعده ثناء إذْ جعل الله تعالى أول صفة من صفات المتقين الإيمان بالغيب فقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] . وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : ذكرنا عند عبد الله أصحاب محمد ﷺ وإيمانهم قال : فقال عبد الله : إن أمر محمد (ﷺ) كان بينا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب .

ثم قرا : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[1] وإن إنكار الغيب من صفات الملحدين فلا ينبغي للمسلم أن يتصف بهذا ، بل يجب أن يخالفهم بتقرير الإيمان بالغيب ، وإلا فإنه لن يعتبر من المسلمين إذ لا إسلام لمن لا إيمان له .

وهكذا رأينا أن الإيمان بالغيب ضرورة من جميع النواحي وسنعرف أنه ضرورة أكثر حيث نستعرض آثار هذا الإيمان في فصل سيأتي بإذن الله .

---

١ . أنظر المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري الإمام الحافظ أبي عبد الله وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ج ٢ ص ٢٦٠ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وعبد الله المقصود هو ابن مسعود .


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني

الفصل الثاني

تكوين الإنسان وعلاقته بالغيب

تكوين الإنسان وعلاقته بالغرب

وفي هذا الفصل إضافة أخرى للتأكيد على المعنى الذي نهدف إليه وهو إثبات الغيب ، حيث أن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم: ٨] ، ويقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ، ويقول : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١] . ومن هذا المنطق نحاول أن نتبين تكوين الإنسان ، ثم نربط هذا التكوين بالهدف الرئيسي ألا وهو إثبات الغيب . الإنسان في نظر الإسلام جسد وروح (وقد ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ، ونبه على أنه جعله إنساناً في سبع درجات . وأشار إلى ذلك في مواضع مختلفة حسب ما اقتضته الحكمة فقال في موضوع : ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] . إشارة إلى المبدأ الأول . وفي آخر ﴿ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] . إشارة إلى الجمع بين التراب والماء . وفي آخر ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨]، إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير . وفي آخر ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة . وفي آخر ﴿ مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨] إشارة إلى يبسه وسماع صلصلة منه . وفي آخر ﴿ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤]

وهو الذي أصلح بأثر من النارفصار كالخزف ، وبهذه القوة النارية حصل في الإنسان أثر من الشيطنة . وعلى هذا المعنى دل بقوله ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ .

فنبه على أن الإنسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من أثر النار، وأن الشيطان ذاته من المارج الذي لا استقرار له ، ثم نبه الله على تكميل الإنسان بنفخ الروح فيه فقال : ﴿ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢.

إنْ قبضة الطين هذه تشير إلى مادية الإنسان ، بينما النفخة تشير إلى روحانيته ، وقد فصل الرسول ﷺ مراحل خلق الإنسان في الحديث عن عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد . ثم ينفخ فيه الروح ، فوالله إن أحدكم _أو الرجل _ ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها[1] .

---

[1] . بتصرف عن الراغب الأصفهاني في كتابه (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) تحقيق أحمد حسين كمكو ص ٧ المطبعة العربية / حلب .

وفي الحديث أن الإنسان جسد وروح ، وأنه لم يعتبر إنساناً يكتب له الرزق والأجل والشقاء والسعادة إلا بعد نفخ الروح فيه مما يدل على أن الروح جزء لا يتجزأ من الإنسان ، وبدونها لا يطلق عليه لفظ الإنسان. يقول الراغب الأصفهاني:

ولما كان الانسان جزئين بدن محسوس وروح معقول ، كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة ، فصورته المحسوسة البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الشعر والضحك ، وصورته المعقولة الروحانية العقل والفكر والروية والنطق .. والإنسانية هي تعاطي الفعل المختص بالإنسان[1].

ويقول محمد قطب : أبرز ما في الكيان البشري أنه كيان مزدوج ، وهو بهذا الازدواج كائن متفرد في كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون التي تمثل طبيعة واحدة ذات وجهة واحدة. فالحيوان من جانب ، والملك من جانب(وهما المخلوقان اللذان تجمعهما بالإنسان صلات) كلاهما ذو طبيعة واحدة ووجهة واحدة.. الإنسان وحده فيما نعلم من الكائنات هو الكائن المزدوج الطبيعة القادر على أكثر من اتجاه[2]. ويقول سيد سابق(الانسان مركب من جسد وروح فبالجسد يتحرك ويحس، وبالروح يدرك ويعي ويفكر ويعلم ويريد ويختار ويحب ويكره..)[3] حقا إن الإنسان كائن متفرد لازدواج طبيعته ، وإن تفرد الإنسان بين بقية المخلوقات أمر يدركه كل من بحث بانصاف في هذه المخلوقات ، وها هو جوليان هكسلي من ألد أعداء الدين ، ومن الملحدين يقر بتفرد الإنسان ويقول في فصل له بعنوان(تفرد

---

١ . تفصيل النشأتين ص ٢٥

٢ . دراسات في النفس الإنسانية ص ٤١ ..

٣ . العقائد الإسلامية ص ٢٢٤ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الإنسان) لقد تفرد الإنسان بقدرته على التفكير التصوري واستخدامه للكلام الواضح ، وهذه الميزة تؤدي إلى نمو التقاليد ، وإن هذا الإنسان قابل للتغير ، ولا مثيل له في طريق تطوره وحتى تاريخ تطوره فريد، ومما جعل الإنسان كائناً متفرداً نموه البطيء غير المألوف، ليصل الى البلوغ وقدرته على التفكير المعنوي . ثم استعداده لأداء العملية الجنسية في أي وقت خلافاً لغيره من الكائنات التي لها موسم خاص للإخصاب. وينفرد الإنسان بتباينه نتيجة التكاثر ثم طول المدة بين البلوغ وتوقف النسل ثم هذا الذكاء العجيب الذي جعل الفارق كبير بينه وبين الحيوان عقلاً. وينفرد الإنسان أيضاً بتعرضه للصراع النفسي وميله للضحك[1].

يستفاد مما سبق أن الانسان جسد وروح ، وهذا ينبني عليه إثبات الغيب ، فالروح أولا أمر غيبي لأن أحداً منا لم يرها ولا يعرف كنهها ، وكم من الأبحاث الفلسفية التي كتبت حول الروح لبيان حقيقتها لكن دون جدوى . فإذا كانت الروح ملازمة للإنسان ، والروح أمر غيبي ، فالغيب أمر واقع لأن الإنسان موجود ، وفي وجود الإنسان وجود الروح.

ثم إن هذا التكوين للإنسان يقتضي أن تكون للإنسان أعمال جسدية وأعمال روحانية ، وهذه نقطة ثانية في إثبات الغيب. فالإنسان يأكل ويشرب ويمارس شهوته الجسدية وله أعمال روحانية كالحب والبغض والعزة والكرامة والضعف والاستسلام وقبل ذلك كله العبادة ، وإذا أقررنا هذا ، فالعبادة لا تكون إلا بالإيمان بالغيب .

---

١ . بتصرف عن :(الإنسان في العالم الحديث) ترجمة حسن خطاب مكتبة النهضة المصرية ص ١ ـ٣٩.

ثم جسدية الإنسان وروحانيته تقتضي وحياً يخبره عن النظام الجسدي والنظام الروحاني، وبخاصة أنه قد تبين عجز الإنسان في مجال الحق في الروحانيات، فبعضهم يغالي في الروحانية والتمسك بها، وبعضهم يهضمها حقها، والوسط هو النظام الرباني الموحى به من العليم الخبير﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤] يقول أبو بكر الجزائري: وضرورة الوحي وحاجة الإنسان إليه تظهران بوضوح إذا عرفنا أن الإنسان مكون من روح وجسد، وأن العالم عالمان علوي وسفلي، وأن الحياة حياتان أولى تنقص، وثانية تدوم ولا تنتهي وتبقى أبداً ولا تنقص .. إن كون الإنسان روحاً يقتضي وحياً إلهياً يخبره عن الروح وصفاتها..

وإن كون الإنسان جسماً يقتضي كذلك وحياً يبين له المحافظة على جسمه [١]، ويقول وحيد الدين خان: إن بحوث علماء النفس قررت الجانب الروحي في الإنسان وسمته بـ(اللاشعور) وأن هذا الجانب لا يفنى وأن الموت لا يأتيه بل يقع على مجرد الجسم المادي، فلا بد أن لذلك الجزء الآخر استمراراً في الحياة وهي الآخرة [٢]، وإذا كان الإنسان كائناً مزدوج الطبيعة وهذا الازدواج جعله كائناً متفرداً كما سبق، فإن هذا الازدواج في الطبيعة يظهر واضحاً في الإنسان، بل هو متغلغل في كل أعماقه، فلا يوجد عمل ولا شعور ولا فكر ولا تصرف لا تبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المتميزة [٣]. إن جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان نستشعر منها الطبيعة المزدوجة للإنسان (المادة والروحية) فإذا أكل الإنسان أو شرب نجد

---

١ . عقيدة المؤمن ص ٢٥٧ وما بعدها ط ١ بتصرف .

٢ . أنظر (الإسلام يتحدى) ط ٦ ص ٨٢ دار المختار ١٣٩٦ هـ القاهرة .

٣ . دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب ص ٤١ .

المادية واضحة في هذا ، ويستطيع إن أراد أن يجعل هذا العمل المادي عملاً مادياً وروحانياً وذلك بإيمانه الغيب ، فالمسلم مثلاً وهو أول المؤمنين بالغيب ، يمارس هذا العمل المادي وهو الأكل لكنه يحسب له عملاً روحانياً أيضاً ، فنراه يبتدئ طعامه بذكر اسم الله عليه ويتمسك بآداب الإسلام [1] في الطعام فيأكل مما يليه ويمضغ الطعام جيداً ويمص الماء مصاً ولا يعبُّه عباً و يأكل ولا يملأ بطنه ويتجنب الشراهة ، فيحسب له هذا العمل عبادة روحانية وخاصة أنه ينوي بهذا الطعام أن يتقوّى على طاعة الله ، ولهذا ورد في الحديث أن الله يكتب للمسلم الصدقة حين يضع اللقمة في فيّ زوجته [2] . وأبعد من هذا القضية الجنسية (الجماع) عمل شهواني محض ، لكنه عند المسلمين عبادة وقد استغرب الصحابة من هذا فاستفسروا : أيأتي أحدنا شهواته ثم يكون له الأجر ، فيجيبهم الرسول ﷺ ما معناه : أرأيتم لو وضعها في الحرام أعليه وزر ؟ قالوا : نعم ، قال : كذلك لأنه وضعه في الحلال [3] .

نعم إن الإنسان قبضة من طين الأرض [4] ونفخة من روح الله . قبضة منى طين الأرض تتمثل في حقيقة الجسد (عضلاته ووشائجه وأعضائه وأحشائه) وتتمثل في مطالب الجسد ونشاطاته وشهواته ودوافعه . وهو كذلك نفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحي للإنسان من وعي وإدراك وإرادة وقيم كالخير والبر والرحمة والتعاون والإخاء والمثل العليا والعمل لها . وهذان اللونان من النشاط البشري حقيقة واضحة مشهودة .

---

١ . كالتسمية والأكل مما يليه والأكل بثلاثة أصابع وعدم ملء المعدة وغيرها .

٢ . البخاري مع الفتح ٥/ ٣٦٣ .

٣ . رواه مسلم ٢/ ٦٩٧ .

٤ . والعلم يقول إن جسم الإنسان مكون من ذات العناصر التي يتكون منها طين الأرض (أكسجين / هيدروجين / كربون / حديد / نحاس / كالسيوم / زرنيخ / صوديوم / بوتاسيم / مغنسيوم .. إلخ .

الحقيقة الجسدية لا تحتاج إلى توكيد فهي ظاهرة أمامنا .. وإن كانت العلوم التي تبحث فيها تقر بعجزها عن استكناه كنهها الحقيقي وتكتفي بوصف مظاهرها .. وإلا فأي سر يمنح الخلية الحياة فتتحول من مادة ميتة إلى خلية حية ؟ ومئات الأسرار وألوف كلها مغلف بستار الغيب .

أما الحقيقة فهي الخفية . نعم ولكن أي شيء في الإنسان ليس بخفي . إننا لا نستطيع تحديدها ولا قياس أبعادها ، ولكننا نرى آثارها ، نراها متمثلة في الرغبات والأشواق وغير ذلك . وليس من الضروري أن يمارس الإنسان كل المعاني الروحية ليثبت الروح ، وليس ضرورياً أن يمارس كل الناس هذه المعاني لتثبت الروح أيضاً . بل يكفي أن يمارسها بعضعهم في أية لحظة وأي زمان ومكان ، بل يكفي أن تكون موجودة في لغة البشر ، ومعلوم أن كل اللغات تتضمن الاصطلاحات الدالة ، على الناحية الروحية[1] .

إن كون الإنسان جسداً وروحاً أمر يدركه كل عاقل منصف لأن الأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، وإن أول دليل هو أن ينظر الإنسان إلى نفسه ويتفكر فيها كما قال ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] إن الإنسان مخلوق عجيب كما يقول سيد قطب (رحمه الله)[2] لكنه يغفل عن قيمته.

وتزعم أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

---

١ . بتصرف عن (دراسة في النفس الإنسانية) لمحمد قطب ص ٤١ .

٢ . في ظلال القرآن ج ٦ ص٣٣٧٩ دار الشروق ط ٧

قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم ﴾[الروم: ٨] فطبيعة تكوينهم هم أنفسهم وطبيعة هذا الكون كله من حولهم توحي بأن هذا الوجود قائم على الحق ثابت على الناموس[١]..(إن الإنسان كالمعادن من حيث ما هو جسم ، وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى، وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويتلذذ ويتألم، وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده، وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم ، وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الأشياء في قلوب الناس[٢])).

فالإنسان ليس هو هذه الأشياء لأن فيه من صفاتها فهو مزيج من الصفات أخرجت كائناً جديداً فريداً كما سبق في ذكر تفرده.

ومن تفرد الإنسان أن هاتين الطبيعتين(المادية والروحية) ليستا طبيعتين منفصلتين عن بعضهما البعض ، بل اختلطتا فكونتا طبيعة جديدة متفردة ، فالإنسان ليس روحاً فقط، وليس مادة فقط، ولكنه روح ومادة.

إن النفخة الروحانية سرت في الطين ولم تتحيز في جانب معين منه ، سرت فيه من أوله إلى آخره ، فأصبح كياناً جسمياً روحياً ، إنه لم يعد طيناً بحتاً ، ولا روحانياً بحتاً ، وإنما هما معاً ممتزجين ، وهذه حقيقة كبرى لها أثرها في أعمال الناس وتصرفاتهم ، فالإنسان يؤدي نشاطه الجثماني على طريقة الإنسان الذي يمتاز بالروح ولا يؤدي ذلك على طريقة الحيوان ، ويؤدي نشاطه الروحي على طريقته كذلك لا على طريقة الملائكة ، وهذا يتضح من المثال المتقدم وهو

---

١ . الظلال ج ٥ ص٢٧٥٩ .

٢ . أنظر (تفصيل النشأتين) للراغب ص ١٨ .

حديث رسول الله ﷺ في الأجر الذي يحوزه المسلم وهو يمارس شهوته الجنسية . إن الإنسان الذي يعرف نفسه ، لا يمارس الطعام لذات الطعام بل يستطيع أن يمتنع عن الطعام إذا أراد ، هو يمارس نشاطه الروحي ولكنه لا يتحول إلى ملك لأن طبيعته تأبى ذلك ، فالملائكة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) بينما الإنسان يمل ويكسل (ساعة وساعة) وفي الحديث نهي عن الاستمرار في قراءة القرآن إذا استعجم فهمه . إن الإنسان ليس كما رأته الحضارة الروحية (الهندوكية) ولا كما رأته الحضارة المادية (الأوربية) ، بل هو كما في الإسلام وكما خلقه الله وكما هو مشاهد في واقع الناس[1] .

إن خلقة الإنسان وتركيب جسده يدل على الغيب فها هي الروح قد أرشدتنا إلى أن الغيب حق لا بد منه ولا بد لكل من يسلم بروحانية الإنسان أن يسلم بالغيب . لكن الروح ليست وحدها في تركيب الإنسان الدالة على الغيب ، فها هي الحواس تدلنا على ذلك . الإنسان العاقل يقرر الحقيقة القائلة ليس كل مالا تدركه الحواس غير موجود ، فالحواس أولاً محدودة فأنا أرى على مسافة معينة ، وأسمع أصواتاً ذات اهتزازات معينة ،وهكذا بقية الحواس ، وبعد ذلك لا أرى ولا أسمع ، فهل يعني هذا أن الشيء الذي لا يصل إليه بصري أنه غير موجود ؟! . إن الإيمان بما وراء الحواس إيمان عن وعي لا عن خرافة ، وهذا الإيمان يسميه الإسلام الإيمان بالغيب . إن العلوم تقرر محدودية الحواس وتقرر وجود الروح فهاهم يستعملون العلاج النفسي ، وها هي الاختراعات العلمية بل العسكرية تستفيد من محدودية

---

١ . اقتباسات من (دراسات في النفس الإنسانية) ص ٤١ .

الحواس فاخترعوا نوعاً من الدبابات يلقي أشعة [1] لا يراها الخصم في الليل وترى هي كل ما حولها . إن كثيراً من الناس يظن أنه مصاب بمرض معين ، ولا يكون ذلك إلا حالة نفسية تحل بعلاج نفسي ، وحتى أن بعضهم يكون مصاباً فعلاً بمرض فلا يشفى من العلاج المادي ويعالج بطريقة نفسانية ، وأضرب مثلاً على ذلك من أوروبا مركز المادية . هناك امرأة في أوروبا تسمى (كاترين كولمان) تدعي أنها وسيطة أولية تعلم الغيب ، هذه المرأة لها قاعة يزورها فيها المرضى والمصابون ، وتبدأ بعلاج حالات مما أمامها وكان من جملة الحاضرين يوماً ما شابة مصابة بمرض جلدي (حَبِّ الشباب) ولقد تركت الدمامل الصغيرة في وجهها آثاراً منفرة ، وعندما أعيتها الحيلة وطال العلاج ، لجأت إلى (كاترين كولمان) التي أشارت بدورها إلى الناحية التي تجلس فيها الفتاة وقالت : هناك في الركن السادس توجد حالة مصابة بمرض جلدي وسوف يذهب هذا المرض بعد أيام ثلاثة . وعندئذ نظرت الفتاة حولها لترى إن كان أحد غيرها سوف يعلن عن نفسه ، وعندما لم تجد أحداً شعرت بأنها لا بد أن تكون هي المقصودة وأن الشفاء لا محالة ، وبالفعل تحسنت حالتها بعد أيام ثلاثة [2] لكن ذلك لم يكن بسبب معجزات (كاترين كولمان) بل لأن الفتاة كانت لديها الرغبة الشديدة في الشفاء واستجابتها القوية للتماثل للشفاء ، وهذا يعرفه الأطباء النفسانيون بأنه نوع من الإيحاء النفسي قد يستجيب وقد لا يستجيب ، وكل ذلك يتوقف على درجة المريض النفسية. المهم في القضية ليس مناقشة كاترين والرد عليها ، ولكن الاستفادة من كون الإنسان يعالج نفسياً ، وهذا يدل على وجود الجانب الروحي في الإنسان . ومما يدعم وجود

---

١ . الأشعة تحت الحمراء .

٢ . أنظر (الإنسان الحائر بين العلم والخرافة) د. عبد المحسن صالح .

الروحانية عند الإنسان إصرار الشعوب عبر التاريخ على وجودها ، فالفراعنة والهندوس والإغريق والرومان والفلاسفة القدماء والمحدثون كلهم يؤمن بالروح إلا قلة قليلة اتبعت الشهوة والهوى ولم تملك الدليل على قناعتها .

إن تقريرنا لتكوين الإنسان وإنه جسد وروح يجعلنا نؤكد على سيادة الإنسان على المخلوقات وأفضليته ، إن الإنسان لم يفضل المخلوقات الأخرى بقوة جسمية فالفيل والبعير أقوى منه جسماً ، ولا بطول العمر فالنسر والحية أطول منه عمراً ، ولا بشدة البطش فالأسد والنمر أشد منه بطشاً ، ولا بحسن اللباس فالطاووي والدّراج أحسن منه لباساً ، ولا بالقوة على النكاح فالحمار والعصفور أقوى منه نكاحاً ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن والجبال أكثر منه ذهباً وفضة [1] وما أحسن قول الشاعر :

لولا العقول لكان أدنى ضيغهم	أدنى إلى شرف من الإنسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت	أيدي الكماة عوالي المران

وإنما فضل الإنسان بهذا العقل الذي منحه الله إياه وبهذه الطبيعة المزدوجة الممتزجة .

ومع هذا الوضوح في طبيعة الإنسان وتكوينه إلا أن هناك من انحرف في تصوره للإنسان فهاهم الداروينيون يرجعون الإنسان إلى قيمة الحيوان ، وأنه كأي قط أو فأر ، بينما جعله فرويد مخلوقاً شهوانياً لا يعمل عملاً إلا انطلاقاً من شهوته الجنسية ، فالجنس أساس العمل حتى إن الولد يرضع من أمه بشهوة جنسية

---

١ . أنظر تفصيل النشأتين للراغب ص ٣٤ بتصرف

وجاء ماركس فاعتبر الإنسان مادة فقط ، فالتاريخ هو تاريخ البحث عن الطعام والشراب وأن أي عمل يقوم به الإنسان لا يكون الدافع وراءه إلا المادة ، وها هم الماديون يعرفون الإنسان بأنه كلتة مادية ويزنون الإنسان بميزانهم المادي ، فقد رد أحدهم جسم الإنسان إلى العناصر الأساسية فيه فخرج بالنتائج الآتية :

إذا جئنا بإنسان زنته مائة وأربعون رطلاً وجدنا بدنه يحتوي على المواد الآتية "

قدر من الدهن يكفي لصنع (٧) قطع من الصابون .

قدر من الكربون يكفي لصنع (٧) أقلام رصاص .

قدر من الفسفور يكفي لصنع رؤوس (١٢٠) عود ثقاب .

قدر من ملح الماغنسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات .

قدر من الجير يكفي لتبييض بيت للدجاج .

قدر من الماء يملأ برميلاً سعته عشر جالونات .

قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره .

وهذه المواد تشترى من الأسواق بمبلغ من المال يساوي خمسين أو ستين قرشاً مصرياً [١]

إن هذه التصورات المنحرفة لا تستند إلى علم ولا معرفة ولا واقع ، وإنما قام أصحابها بوضع فروض أولية وقناعات مسبقة ثم صبوا الإنسان في نظرياتهم وفروضهم فخرجت الصورة المشوهة التي ألصقوها بالإنسان .

---

١ . نظرات في القرآن لمحمد الغزالي ط ٣ / ١٣٨٢ هـ دار الكتب الحديثة بالقاهرة ص ٦٠ .

أما المؤمنون والمنصفون من غيرهم فهم يرون الطبيعة المزدوجة للإنسان مادية وروحية ، وقد عرفوا هذا من النظر في أنفسهم وما حولهم ، وبمعرفة الإنسان لنفسه فإنه يستفيد أموراً كثيرة ، إنه يستطيع أن يعرف غيرها من المعارف والذي يجهل نفسه فسيتخبط في غيرها .

وإن نفس الإنسان مجمع المخلوقات إذ فيها من صفات المخلوقات جميعاً ، فمن عرف نفسه فقد عرف المخلوقات . إن من عرف نفسه عرف العالم ، ومن عرف العالم صار كالمشاهد لله تعالى إذ الكون يعكس وجود الله تعالى .

وإذا عرف الإنسان أن جسده يفنى وروحه تبقى عرف فضل الباقيات ودناءة الفانيات فيستمسك بالباقيات الصالحات .

ويستطيع الإنسان بمعرفته أن يعرف عدوه إذ أعدى أعدائه نفسه التي بين جنبيه ، وبمعرفة النفس تعرف طريقة سوسها فيستقيم السلوك ويصبح خليفة حقاً .

ومن الناحية الاجتماعية فالذي يعرف نفسه يترك عيوب الناس وذكرها ، لأنه يرى عيوبهم في نفسه [1]

إن الإنسان لا يصير إنساناً إلا بالعقل ، ولا يكمل العقل إلا بعد الاهتداء بالشرع ، ولهذا نفى الله العقل عن الكفار ، فالإنسان في الحقيقة هو الذي يعبد الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فكل ما أوجد لفعل فلم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم ، ولذلك كثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصاً كقولهم للفرس الرديء ليس بفرس ، وللإنسان ليس هذا بإنسان ، ويقال فلان لا عين له ولا أذن له إذاً بطل فعل عينه وأذنه وإن كان شبحهما باقياً قال تعالى : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾

---

١ . بتصرف عن (تفصيل النشأتين) للراغب ص ٧ .

[البقرة: ١٨] ، فمن رفض العبادة فهو كالحيوان أو دونه قال تعالى : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] ، وقال : ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥] ، وأخرجهم كلامهم عن جملة البيان قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥] تنبيهاً على أنهم كالطيور التي تمكو وتصدي (التصفير والتصفيق) . والكافر لا يمسي إنساناً إلا مجازاً وعلى سبيل تعارف العامة كلفظ الغني في كثرة المال (ليس الغنى بكثرة المال وإنما الغنى غنى النفس) [١] والله تعالى أعلم [٢]

---

١ . البخاري مع الفتح ١١/ ٢٧١ .

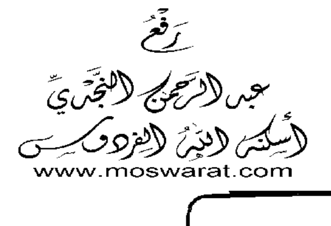
٢ . أنظر تفصيل النشأتين للراغب ص ٦٨ .



الباب الثاني

الفصل الثالث

مصادر معرفة الغيب



مصادر معرفة الغيب

إن لكل غاية وسيلة ، والإيمان بالغيب وسيلة من وسائل الموصلة لغاية وهي رضى عز وجل ، ولكن هذه الوسيلة هي غاية قريبة تحتاج إلى وسيلة الوصول إليها فما الوسيلة للوصول إلى الإيمان بالغيب ؟ .

إن الإنسان يملك وسائل كثيرة للتعامل مع ما حوله من أشياء ومفاهيم ، فلديه الحس والتجربة والعقل والفطرة ، وهذه وسائل يشترك فيها كل الناس تقريباً ، وهناك وسائل ينفرد فيها ناس دون غيرهم كتحضير الأرواح والكشف والوحي . وإننا إذ نناقش هذه الوسائل ونبين الحق فيها بإذن الله تعالى فلن ننسى أن نتعرض لكل من نظرية الاستذكار ونظرية الانتزاع ، متوصلين في النهاية إلى الطريق الموصل إلى الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به وهذه الدراسة نعنونها بـ (مصادر معرفة الغيب) .

إن موضوع (مصادر معرفة الغيب) هو ما يسمى عند الفلاسفة بنظرية المعرفة ، حيث دار حوله نقاش حاد بين الفلاسفة وخاصة المحدثين . (ونظرية المعرفة هي نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم ، فما لم تحدد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها[1]) وهذا صحيح كل الصحة إذ

---

١ . فلسفتنا لمحمد باقر الصدر ط ٤ دار الفكر ١٣٩٣ هـ / ص ٥٥ .

أن اختلاف البشر مبني على اختلافهم في تحديد مصادر معرفتهم ، فإذا اتفقوا على المصادر فمن الممكن جداً أن يتفقوا على قواعد الأشياء . ومن هنا تأتي أهمية هذا الفصل . ونحن إذ نستعرض الوسائل السالفة الذكر نبدأ بها على النحو التالي :

١ – الحس

لعل مكانة الحواس لم تدع مجالاً لأحد لينكر أهميتها ، بل إن هذه الأهمية ازدادت حتى إن بعض الناس جعل الحواس [١] كل شيء ، وبنيت على هذا الأساس النظرية الحسية ونشأت لها مدرسة كثر روادها ورفع لواءها في الفلسفة الحديثة البريطاني (جون لوك) في كتابه (مقالة في التفكير الإنساني) .

وتقوم النظرية الحسية على اعتبار الحواس هي المصدر الوحيد للذهن البشري المزودة له بالتصورات والمعاني ، والقوة الذهنية هي القوة العاكسة للإحساسات المختلفة في الذهن [٢] . وقد تأثرت بهذه النظرية فلسفات خطيرة مثل فلسفة باركلي ودافيد هيوم وماركس . وبهذه الفلسفة الحسية قال السوفسطائيون [٣] .

---

١ . قال في لسان العرب ٧/ ٣٤٩ فصل الحاء بعد السين (حس : الحس والحس الصوت الخفي قال تعالى (لا يسمعون حسيسها) والحِس بكسر الحاء من أحسست بالشيء . حسّ بالشيء يحسّ حسّاً وأحس بهِ وأحسه شعر به) .

٢ . بتصرف عن (فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر ص ٥٩ .

٣ . أنظر ص ١٥٣ قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين وزكي نجيب طبع القاهرة ١٣٦٨ هـ قال في قصة الإيمان ص ٣٦ (من كلمة السوفسطائية جاءت السفسطة فالسوفسطائية هي طريقة الجماعة الذين برعوا في تعليم الناس قلب الحقائق بالجدل الكاذب ، واسمهم هذا من كلمة سوفسيت وهي تدل في اليونانية على المعلم من أي فرع من الصناعات والعلوم ثم صارت تطلق على هؤلاء المعلمين . وليس للسوفسطائين مذهب فلسفي معلوم ولا آراء تربطها روح الفلسفة التي تبحث عن الحق ولكنهم جماعة من المعلمين ظهروا في بلاد اليونان في ظروف اجتماعية كانت تطغى =

فالحسيون لا يؤمنون إلا بما تقع عليه حواسهم ، وما لا يدخل في دائرة الحواس فغير مصدق ولا موجود .

ونحن لا ننكر أهمية الحواس ، ولكننا نرفض أن تعطى الحواس هذا السلطان ، وذلك لأنها لا تستطيع أن تصل إلى كل شيء فهي محدودة ، محدودة من حيث عددها ، ومحدودة من حيث قوتها .

فإذا اعتبرنا الحواس هي الأصل في المعرفة فإننا حينئذ سنسقط من حسابنا أشياء كثيرة جداً بالنسبة لما قد نقره لإقرار الحواس له .

فمن حيث العدد هي خمس أو ست وهذا غير كاف لإدراك كل شيء ، ومن حيث القوة لا تمتاز بذلك ، وضعفها ظاهر ، فالإنسان يرى على مسافة معينة ، ويسمع بعض اهتزازات الأصوات ذات الموجات المناسبة للجهاز السمعي ، وكذلك بقية الحواس .

والواقع يقول إن وراء نقطة التي تقف عندها الحواس توجد أشياء كثيرة بل أكثر مما دخل في دائرة هذه الحواس ومجالها . فلو فرضنا شخصاً جالساً في غرفته وعنده مذياع مغلق ، فإنه لن يسمع أي صوت لأن قوة الحاسة السمعية لا تستطيع أن تجمع الأصوات المنتشرة في الغرفة فإذا قام الشخص وفتح المذياع فإنه سيجد الأصوات الكثيرة بلغات شتى فكيف حصل هذا ؟ كل ما في الأمر هو أن المذياع قد جمع هذه الأصوات لامتلاكه القوة الكافية واعطاها اهتزازات مناسبة لسمع الإنسان فسمعها .

= فيها على البلاد موجة من الشك والكفر بآلهة الأساطير ، وموجة من الديمقراطية فمهر هؤلاء في تعليم الناس الخطابة والجدل وكانوا يفخرون بأنهم يستطيعون أن يؤيدوا الرأي ونقيضه وأشهرهم بروتا غوراس وغورجياس) .

والبصر يخدع فإننا نرى القلم الموضوع في كأس من الماء مكسوراً ، ومع العلم أنه غير مكسور . ونرى عن بعد الماء في الصحراء فإذا اقتربنا لم نجد شيئاً وإنما هو سراب ، ويتعطل الإبصار في الظلام . وإذا اقتربت من شجرة تجدها كبيرة فإذا ابتعدت عنها صغرت في عينك . والكتاب وزنه خفيف بالمقارنة مع وزن المواد وثقيل بالمقارنة مع وزن القلم .

والورقة مربعة إذا نظرت إليها من أعلى ، بينما غير ذلك إذا نظرت إليها من جانبها . فإذا كانت المعرفة الحقة هي ما تنقله الحواس ، فقد نقلت الحواس متناقضين عن شيء واحد ، فإما أن يكون الاثنان حقاً أو باطلاً . وهذا لا يمكن أن يقول به عاقل .

وإذا أخذنا بالنظرية الحسية فإننا سنجعل الصغير والراشد في إداركهما للأشياء مثل بعضهما لأن كليهما يملك الحواس ، وهذا باطل إذ يبطل التعليم والتفوق العقلي والذهني .

ثم إن النظرية الحسية تجعلنا مساوين للحيوانات إذ هي تملك الحواس أيضاً [1]

فالحواس قليلة ومحدودة كما وكيفاً . وإذا كانت هذه طبيعتها في الماديات ، فالأولى أن لا تعتمد في إدراك المغيبات ، فالحواس لا نستطيع الاعتماد إليها .

وأقرب ما يقال للحسيين إنكم لم تروا عقولكم فكيف تقولون بوجودها ؟ فإن قالوا هي موجودة فقد أبطلوا نظريتهم ، وإن قالوا غير موجودة فلا نتعب في نقاش من لا عقل له .

ومما يردّ على النظرية الحسية أن هناك معانٍ جديدة بسيطة لم تُدرك بالحس وهي متولدة من المعاني المحسوسة يولدها الذهن على عكس كلام النظرية [2] .

---

١ . بتصرف عن قصة الفلسفة اليونانية ص ١٥٤ .

٢ . بتصرف فلسفتنا ص٥٩ .

وقد فشلت هذه النظرية أيضاً في إرجاع جميع المفاهيم التصورية إلى الحس ، ويتضح فشلها عند دراسة بعض المفاهيم (العلة والمعلول والجوهر والعرض والإمكان والوجوب والوحدة والكثرة والوجود والعدم) حيث إن الإحساس لا يدرك الصلة بين العلة والمعلول وهو ما يسمى بالعلية وقد اعترف بها دافيد هوم[1] .

والخلاصة أننا نستفيد من الحواس في المجال الذي تصل إليه أما غير ذلك فله وسائل أخرى .

والله سبحانه وتعالى هو الذي أعطانا الحواس ، وبنفس الوقت كلفنا بالإيمان بالغيب فدلنا هذا على أن هناك وسائل أخرى للمجالات التي لا تصل إليها الحواس ، ولو أردنا أن نعتمد على الحواس لبقينا على جهلنا بما وراء المادة . ثم إن تكليف الله لنا بالإيمان يدل على أن لا تعارض بين استعمال الحواس والإيمان بالغيب إذ لكل مجاله ومصدره .

٢ – قوة التخيل

أما ((قوة التخيل)) فهي تعتمد على ما تدركه الحواس ولا يمكن للإنسان أن يتخيل شيئاً إلا إذا كان قد سبق له رؤيته أو رؤية أجزاءه ، فأنا أستطيع أن أتخيل حيواناً له خمس عيون ، أربع تتجه إلى الجهات الأربع وواحدة إلى السماء ، وأستطيع أن أتخيل أن له خمسة أجنحة وعشرة أرجل وثلاثة ذيول ، كل هذه مجتمعة ، أستطيع أن أتخيل هذا الحيوان لكنني وإن لم أره في هذه الحياة فقد رأيت أجزاءه ، فأنا أعرف العين والرجل والذيل والجناح ، وعليه فالخيال لا يتصور إلا ما يقع تحت الحواس جزئياً أو كلياً . ثم إن هذه القوة تختلف من

---

١ . نفس المرجع .

شخص إلى آخر ، فإذا اعتمدت على أنها مصدر معرفة فإن الحتمية هي الاختلاف لاختلاف القوة التخيلية التي يمتلكها أفراد الجنس البشري .

٣ – العقل

أما العقل فلا يشك عاقل أن العقل محدود بين الزمان والمكان ، وهو محدود إذ يعجز في بعض الأحيان أن يرجح أحد الاحتمالين ولهذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله : (إن للعقل حدّاً ينتهي إليه كما إن للبصر حدّاً ينتهي إليه)[1] . ومن دلائل محدودية العقل اختلاف عقول الناس ، فلو ترك الناس لعقولهم لأختلفت أراؤهم وأحكامهم وهنا تكون الفوضى . وإذا كانت عقول الناس تختلف في عالم الشهادة فهي في عالم الغيب أشد اختلافاً ، ولهذا فالعقل لا يصلح مصدراً وحيداً لإدراك الغيبيات ، ولا يفهم من هذا تقليل قيمة العقل بل إن الأساس الأول للغيبيات (وهو وجود الله) يدرك بالعقل بسهولة ولكن هذا الإدراك للوجود لا يعني الإدراك للذات ، لأن العقل المحدود لا يحيط بالله تعالى ، ولهذا نرى سخافات في كلام بعض الفلاسفة الذين بحثوا بعقولهم في الغيب فقدموا لنا تخيلات لا يقبلها العقل .

ثم لا ننسى ارتباط العقل بالحس ، فالعقل يعتمد في كثير من الحالات على الحواس ، وقد تقدم الكلام عليها وأنها محدودة كماً وكيفاً .

---

١ . أنظر العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٩ ط ١ ١٣٨٥ هـ .

وقد عرف عن كبار فلاسفة أوروبا رفضهم لإعطاء العقل مجالات واسعة فها هو ((كانت)) يشبه العبارات الغيبية (الميتافيزيقية) بورق نقد بدون ضمان حيث يهدف إلى بيان أن صنعة العقل فيما بعد الطبيعة لا تأتي بيقين واقعي إذا اجتاز مرحلة الإنسان ودائرته الحسية إلى دائرة أعلى منها فوقها ، ولأن ما يأتي به هو الظن والتخمين ، إذ العقل بحكم أنه محدود بالبيئة والمكان والزمان والثقافة الخاصة والجو الطبيعي والاجتماعي والسياسي لا يستطيع أن يأتي بيقين عن الله ، لأن الله مطلق في وجوده لا تحدده شهوة ولا رغبة ، ولا يحدده زمان ولا مكان ، ولا شيء مما يحدد به الإنسان ، ولذلك لا يستطيع الموجود أن يتصور غير المحدود تصوراً تاماً ، وكل ما يفعله أن يستدل على وجوده بوجود نفسه وذلك ظن وليس بيقين ، ومن ثم طالب (كانت) في فلسفته بإفساح مجال القلب للإيمان وإبعاد العقل البشري عن الظن والتخمين ، وعلى هذا النحو طالب الغزالي ومن قبله الباقلاني والجويني [1] بإبعاد الصنعة العقلية من مجال الألوهية ووضع الإيمان وتركيزه في القلب بدلاً من تركه في مركز المناقشة العقلية [2] ومع هذا فالمسلمون لا يتنكرون للعقل لأن عقيدتهم مبنية عليه ، وقالوا بالمعارف الأولية وهي التي لم تنشأ عن معارف سابقة فهذه المعارف الأولية هي العلّل الأولى للمعرفة وقسموا هذه العلل إلى نوعين :

(أ) ما كان شرطاً أساسياً لكل معرفة إنسانية بصورة عامة كمبدأ عدم التناقض

---

١ . أنظر كتاب الجويني إمام الحرمين للدكتورة فوقية حسين محمود ط ٢ / ١٣٩٠ هـ المطبعة الثقافية تقول الدكتورة نقلاً عن مخطوطة للجويني بعنوان (البرهان في أصول الفقه) (يحدثنا إمام الحرمين عن الأصول فيقول : (إن السمعي منها يحصل عن طريق المرشد والأدلة السمعية) .

٢ . بتصرف أنظر (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) لمحمد البهي ص ٢٦٦ ط ٨ .

(ب) ما كان سبباً لقسم من المعلومات [1]

فالعقل وإن كان لا يصل إلى الغيب كله يدعو إلى الإيمان به كما سبق في الفصل الأول من هذا الباب (ضرورة الإيمان بالغيب – الضرورة العقلية) . ولأن العقل لا يصل إلى الغيب أخرج العلماء الغيب من دائرة الاجتهاد وأطلقوا عليه اسم (السمعيات) أي التي تؤخذ بالسماع من الوحي . ورغم هذا فإن بعض العصريين حاولوا إثبات أن لا تعارض بين الإسلام والعقل ، وهذا نؤمن به لكنهم لإثبات عدم التعارض تجنوا على النقل وأخرجوا النصوص عن معناها [2] .

ومن كان دقيق الملاحظة أدرك أنه لا يمكن أن يتعارض العقل والنقل بخاصة إننا نجد الإسلام – وهو دين بني على الاعتقاد بالغيب – يأمر اتباعه باستعمال العقل والنظر والفكر قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾[يونس: ١٠١] وقال ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ... ﴾[سبأ: ٤٦] ولم يقيد الإسلام أتباعه في استعمالهم للعقل إلا حيث لا جدوى ، ولا فائدة إلا التشويش والزيغ قال

---

١ . أنظر فلسفتنا ص ٦٦/ ٦٧ بتصرف .

٢ . أنظر كتاب القرآن محاولة لفهم عصري .

ومن أمثلة زلاته إن حديث رؤية النبي ﷺ جبريل في صورته الحقيقة مرتين يمكن أن يشك في صحته وقوله إن يأجوج ومأجوج وذا القرنين وصهر الحديد والنحاس كلها رموز للعلم والصناعة التي كانت تحجزهم وراء حاجز الجهل والتخلف . وقوله إن جنة آدم جنة الطاعة والناموس الإلهي وإن الأكل من الشجرة يعني مخالطة زوجه بالجسد . وقوله إن غض البصر في عصر الميني جوب والديكولتيه والجابونيز والباروكات أمر صعب في مثل شارع سليمان باشا ولا ضرر منه إلا أن تكون النظرات خبيثة . وبالمثل حكاية الفستان الطويل الأكمام والقصير حيث لا يمكن أن تكون الفضيلة أمتاراً من القماش . (هذه الأمثلة عن كتاب شطحات مصطفى محمود . لعبد المتعال الجبري . دار الاعتصام ص ١٢١، ١٤٧، ١٦١، ٢٢٦) .

ﷺ : ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله))[1] وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً في هذا الموضوع سماه (درء تعارض العقل والنقل) . أو (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) .

٤ – التجربة

تعتبر التجربة مصدراً من مصادر المعرفة ، ولكن أية معرفة ؟ إن لكل علم مصدراً . والعلوم المادية كمعرفة من المعارف تتبع بدقة في التجربة ، ولهذا يمكن الاستفادة من التجربة في هذا المجال أي في علوم الكون والحياة فيما يتصل بأحوال المادة وشئون الناس ، أما ما يتعلق بما وراء المادة فلا سبيل للاستفادة من التجربة ، لأن المنطلق التجريبي يقصر عن نيل المعرفة في هذا المجال ، وسبب قصوره أنه لا يستطيع إحضار عناصر التجربة ليقيم تجربته . والتجربة يستعمل فيها المادة المجرب عليه وحس المجّرب وعقله ، وقد أبطلنا كون الحس والعقل من الوسائل المستعملة في إدراك الغيب ، ونفس الغيب لا يجتمع كمادة أمام المجرب ليقيم تجربته ، فبطلت التجربة لبطلان عناصرها الثلاثة . فالتجربة قامت على العقل ، وما قام على غير معتمد أصبح غير معتمد . وتتبجح أوروبا بالمذهب التجريبي الذي يقرر أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية ، ولا يعترف بمعارف ضرورية سابقة على التجربة[2]

---

١ . أنظر مجمع الزوائد ١ / ٨١ قال رواه الطبراني في الأوسط وفيه الوازع بن نافع وهو متروك .

٢ . فلسفتنا ص ٤١ بتصرف .

وهذا المنهج إنما يصلح معتمداً للعلوم الطبيعية إذ أنها لا تدرك إدراكاً يقيناً إلا بهذا الطريق . فتبدأ بموضوعات في التجربة الخارجية البعيدة عن وحي العقل والتفكير وتفرض نفسها وعلى العقل بعد ذلك أن يفسرها . وظن بعض الحمقى أن المنهج التجريبي يطبق في كل شيء حتى في وجود الله تعالى [1] .. حتى إنهم كتبوا المؤلفات في هذا المجال فللأستاذ روبيرهار كتاب سماه (الأبحاث التجريبية على الظواهر الروحية) وهذا المذهب يبطل نفسه بنفسه ، فمن أين عرفوا هذا المبدأ ؟ .

فإن قالوا بدون تجربة فقد أبطلوا مذهبهم لأنهم لا يؤمنون بما يسبق التجربة . وإن قالوا بالتجربة فهذا يعني أننا لا ندرك في بداية الأمر أن التجربة مقياس منطقي مضمون الصدق فلسنا متأكدين منة كمبدأ [2]

ويعجز المذهب التجريبي عن إثبات المادة ، حيث أن الحواس لا تدرك إلا ظواهر المادة ، فالوردة نلمسها ونشمها ونذوقها ولكن لا نحس بالجوهر الذي تلتقي عنده هذه الظواهر ، ولهذا أنكر بعض الفلاسفة الحسيين التجريبيين وجود المادة ، ومن هنا يمكننا أن نعترض عليهم بأن ليس الغيب وحده الذي يحتاج إلى إثبات بل الماديات نفسها تحتاج إلى ذلك .

ثم إنه ليس للتجربة سلطان في الحكم على المستحيل (بمعنى عدم إمكان الوجود) لأنه لا يدخل تحتها وكل ما يمكن أن يقال (عدم وجود)، وعدم وجود لا يدل على الاستحالة ، وهذا المذهب يجعلنا لا نفرق بين قولنا (اصطدم القمر بالأرض) وهي قضية غير موجودة

---

١ . بتصرف . كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٥ الحاشية .

٢ . فلسفتنا ص ٣٧ بتصرف .

لكنها ممكنة ، وقولنا (مثلث له أربعة أضلاع) وهي قضية غير موجودة ومستحيلة ، مع أن الفرق واضح . وعليه فلا بد أن يعترف التجريبيون باستحالة أشياء معينة (كمثلث له أربعة أضلاع) . أو أن ينكروا الاستحالة من جميع الأشياء فإن اعترفوا باستحالة لم يبق فرق بين قولنا (اصطدم القمر بالأرض) وقولنا (مثلث له أربعة أضلاع) وعليه لا يكون التناقض مستحيلاً وهذا يؤدي إلى عدم قدرة التجربة على إزالة الشك .

والمذهب التجريبي لا يتمكن من إثبات مبدأ العلية كما تقدم اعتراضنا على الحسيين ، وإذا انهار مبدأ العلية انهارت جميع العلوم .

ومع كل ما سبق فإن النظرية التجريبية ترتكز على معارف لا تخضع للتجربة مثل :

(أ) مبدأ العلية بمعنى امتناع الصدفة .

(ب) مبدأ الانسجام بين العلة والمعلول.

(ج) مبدأ عدم التناقض .

وهذا الاعتماد على هذه المعارف يبطل مبدأ التجربة كمصدر كلي للمعرفة .

٥ – نظرية الفطرة

سبق أن تحدثنا عن الفطرة وكون الإنسان مفطوراً على الإيمان بالله تعالى قال سبحانه : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وقال ﷺ : ((وكل إنسان تلده أمه على الفطرة)) [1] فالفطرة هي الطبع السليم والسلوك القويم الذي لم تشبه

---

١ . وفي رواية لمسلم ٤ / ٢٠٤٧ (ما من مولد إلا يولد على الفطرة) .

شائبة ولم يتعكر صفوُ صاحبها ، إن الفطرة تتقبل كل ما هو صحيح وسليم وحق ، ولكن هذه الفطرة ليست مصدراً لمعرفة الغيب ، وهذا من حكمة الله تعالى إذ لو كان الأمر كذلك لأدّعى الكثيرون علم الغيب باسم الفطرة ، وعندها تقع الفوضى . ولهذا فأخبار الغيب لا تأتي من داخل النفس بل من خارجها ولا يتدخل في هذا الحدس النفسي ولا الإلهام الروحي ولا الوميض الذهني [1] .

نعم يمكن أن نفهم الفطرة على أنها الوضع النفسي السليم لاستقبال الحق ، ويكون هذا أمراً مقبولاً لا يعني بالضرورة علم الغيب لصاحب هذه الفطرة ، لكن قد يعلم من الغيب بإطلاع الله له كما سبقت الإشارة إليه .

إننا نرفض كلام بعض الفلاسفة الذين جعلوا النبوة مجرد فطرة سليمة انبعث منها الخير ذاتياً لا عن طريق الوحي . وهذا فرق دقيق . فنحن نقول كما يقولون من أن النبي ﷺ له فطرة سليمة ، لكننا نختلف معهم في أننا نقول إن الفطرة لم تكن هي مصدر ما أخبر به الرسول عليه السلام بل الوحي هو الذي أخبر الفطرة السليمة بذلك بينما هم يقولون إن الفطرة السليمة عندما تشف تصل إلى الغيوب فتخبر عنها وبهذه النقطة يشبه المتصوفة الفلاسفة.

وقد تقدم الكلام حول الضرورة الفطرية للإيمان بالغيب ولم نقل هناك إن الفطرة وسيلة لمعرفة الغيب. بل قلنا إن الفطرة تقتضي الإيمان بالغيب

---

١ . أنظر تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي ص ١٦٦ – ط ٦ مؤسسة الرسالة ١٣٩٤ هـ .

٦ – الكشف

ذكرت فيما تقدم قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سارية القائد المسلم وذلك حين قلت أن بعض الغيب قد يعلمه بعض الناس ، وقصة عمر هذه هي من قبيل ما يسمى بالكشف. فالكشف حالة من الشفاف الروحي يصل إليها الإنسان الصالح التقي فينكشف له بها بعض الغيب كما حدث لسيدنا عمر رضي الله عنه. وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: هل ترون قبلتي ها هنا ؟ فوالله ما يخفي عليّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري)[1] قال ابن حجر[2] في شرحه لهذا الحديث والصواب المختار أنه محمول على ظاهره ، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة. قال الشاطبي[3]في الموافقات : فهذا حكم بين على الكشف[4] .

وقال الشاطبي(فلكل من كان من أهل الكشف والاطلاع أن يحكم بمقتضى اطلاعه وكشفه، ألا ترى إلى قضية أبي بكر الصديق مع بنته عائشة فيما نحلها إياه ثم مرض قبل أن تقبضه قال فيه: وانما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله ، قالت: فقلت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هي أسماء فمن الأخرى قال ذو بطن بنت خارجة أراها

---

١ . البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٥١٤ الطبعة السلفية.

٢ . قال في الأعلام ١/ ١٧٣ (أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ولد بالقاهرة ٧٧٣ هـ وتوفي فيها ٨٥٢ هـ من الحفاظ المحدثين وهو صاحب الفتح)

٣ . قال في الأعلام ١ / ٧١ (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي القرطبي الشهير بالشاطبي . أصولي حافظ من ائمة المالكية. توفي ٧٩٠ هـ) .

٤ . ج ٤ ص ٤٤ المطبعة السلفية بمصر. بتصرف.

جارية)[1] فالكشف من الكرامات التي يقر بها أهل السنة والجماعة وهي دليل ولاية لله عز وجل إنْ حدثت مع إنسان صالح ، ومعلوم أن الوليّ لا يدعي الولاية، وبالتالي فصاحب الكشف لا يدعي الكشف، إذْ ليس صفة مستمرة مع الإنسان لكنها صفة تعرض وقد تتكرر.

إذاً فالكشف حالة من الصفاء يصل من اليها القلب ، فيقذف الله فيه شيئاً من غيبه. وقد وضح الغزالي هذه الفكرة بقوله: (إعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها : فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً ، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً. ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى مالا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل ، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب.

---

1 . الموافقات . المطبعة السلفية بمصر ج ٤ ص ٤٤ وفي الموطأ ص ٤٦٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت إن أبا بكر نحلها جادّ عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلى غنى بعدي منك ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك وإني كنت نحلتك جادّ عشرين وسقاً فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك واختاك فاقتسموه على كتاب الله ، قالت عائشة : فقلت : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية) وكان كما ظن وسميت أم كلثوم .

والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع، والثاني يسمى وحياً وتختص بـه الأنبيـاء. والأول يختص به الأولياء و الأصفياء. والذي قبلـه وهـو المكتسب بطريـق الاستدلال يختص بـه العلماء.

وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها ، وإنما حيـل بينه وبينها بالأسباب [1] الخمسة التي سبق ذكرها ، فهي كالحجاب المسدل الحائل بـين مـرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب أيضاً هي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها.

والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركـه. وكـذلك قـد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هـو مسطور في اللوح المحفوظ. ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل . وتمام ارتفـاع الحجاب بالموت ، فيه ينكشف الغطاء . وينكـشف أيـضاً في اليقظـة حتـى يرتفـع الحجـاب بلطف خفيّ من الله تعالى ، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم .. ولهذا مال أهل التصوف إلى العلوم الإلهية دون التعليمية فلم يحرصـوا عـلى العلـم وقـدموا

---

١. الأسباب الخمسة هي التي ذكرها ص ٢٣ ج ٨ قال : كما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور:

الأول: نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل

والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل

والثالث: لكونه معدولاً به عن جهة لصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة

والرابع: لحجاب مرسل بين المرآة والصورة

والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة. فكذلك القلب)

المجاهدة)(1) ورغم أننا نؤمن بالكشف إلا إن هذا لا يدفعنا إلى الإعراض عن العلم كما فعل المتصوفة لأنه لا تناقض بين العلم والوصول إلى الكشف .

والكشف الذي نؤمن به هو الذي لا ينفرد عن الدين ولا يسقطه من حسابه.

٧_ تحضير الأرواح

ينتشر بين الكثيرين ما يسمى بتحضير الأرواح وبخاصة عند بعض المنتسبين إلى التصوف ، وعند أدعياء الروحية(2) الحديثة ، وبعض السذج من المسلمين الذين أرادوا بدافع الذب عن الإسلام ضد المادية وبيان أن الإسلام فيه كل شيء . يقول طنطاوي جوهري وهو من المؤيدين للفكرة: إن هذه الحركة بدأت مع ظهور الإنسان على الأرض وعاشت مع الأمم دهوراً وأحقاباً فلما كانت هذه القرون الحاضرة وأظلمت الدنيا واسوّد وجه الحقيقة وأخذ الناس يجهرون بالإلحاد أرسل ربك لهم عجائب. وأشرقت الأرض بنور

---

١ . إحياء علوم الدين. تحقيق العراقي. طبع لجنة الثقافة الإسلامية ج ٨ ص ٣٢.

٢ . قال التهامي نقره في (عقيدة البعث في الإسلام ص ٨٨ وبعدها) الروحية الحديثة تأسست بلندن عام ١٨٨٢ م جمعية المباحث الروحية وامتد عملها في إنجلترا وأمريكا ومن أعضائها أعلام في الفلسفة والعلوم الطبيعية والفيزياء والكيمياء والرياضيات ولا تزال هذه الجمعية في بريطانيا وأمريكا وتقبل في عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لها وكل ما تشترطه الإلمام بالروح كظاهرة طبيعية هدفها القيام ببحوث ودراسات عن الروح وعن عالم ما وراء الطبيعة في النطاق العلمي بواسطة التجربة وأقامت المؤتمرات وألفت المجلدات وتأسست كراسي للأستاذية في المباحث الروحية)

ربها في ١٨٤٦ م)[١] . وحدثنا المؤمنون بهذه الفكرة وكيف بدأ انتشارها عند الغربيين وذلك أن رجلاً يدعى فيكمان كان يسكن في قرية هيدسفيل في نواحي ولاية نيويورك ، سمع طرقات متكررة في منزله فدبّ الرعب في أفراد الأسرة مما دفعهم للهجرة من ذلك البيت . فسكنت البيت أسرة أخرى تدعى أسرة جون فوكس، فعادت الطرقات في البيت، وهرع الجيران يبحثون عن السبب فلم يصلوا إلى شيء ، وتجاسرت ربة البيت مرة وقالت للطارق إن كنت روحاً فأحدث طرقتين ففعل ، فسألته عن سن ابنتها فطرق طرقات مساوية لعدد سنيّ ابنتها وسألته: إن كنت أوذيت من شيء فأحدث طرقتين فأحدثهما ولم تزل به حتى علمت أنها روح رجل كان ساكناً في ذلك البيت فقتله جاره ليسرق ماله ودفنه فيه فكررت العملية أمام الجيران وضبطت الحكومة الجريمة[٢].

هذا عن تاريخ الروحية الحديثة التي تؤمن بتحضير الأرواح . أما نفس الفكرة فيقول أصحابها إن للروح جسماً مادياً شفافاً لطيفاً ألطف من هذه المادة بكثير ولذلك لا تسري عليها قوانينها ، وأن الموتى بعد الموت مباشرة يكونون في عالمنا هذا بين أيدينا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يزالون كذلك مدة تختلف باختلاف درجتهم الروحية ثم ينتقلون إلى حال أرقى من هذا وإن كانوا لا يبرحون هذا العالم ، فإن العوالم في نظرهم اختلاف حالات ومقامات لا اختلاف جهات ومكانات . ويمكن مكالمة الروح[٣] بعد خروجها من الجسم

---

١ . الجواهر في تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ٨٦ ط ٢.

٢ . أنظر دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ط ٣ ج ١ ص ٣٤٩ بتصرف.

٣ . ويتبع محضرو الأرواح عدة طرق في تجاربهم فيستعملون القفة والدلو والسلة والفنجان والقلم ، ويقولون كلاماً ينادون فيه الروح التي يريدون تحضيرها ، فإذا أحضر القرين بدأ القلم بالكتابة بين الوسيط أو يكتب من غير أن يمسكه الوسيط . وأحياناً يكتبون الأحرف الأبجدية على أطراف لوحة رخامية مربعة ويوضع في وسطها فنجان سهل الانزلاق

ورؤيتها مجسمة بواسطة شخص يكون فيه الاستعداد لأن يقع في خدر عام عند إرادته تحضير الروح ، فتستفيد الروح من استعداده فتكلم الناس بفمه بلغات يجهلها كل الجهل وتنبيء عن أمور الحاضرين من أقاربه وتكشف عن أسرار العلم والفلسفة والرياضيات العويصة[1]

وتقول الروحية الحديثة إن الأرواح تستأنف عملها بعد الموت فبعضها يعظ ويرشد، وبعضها يطبب ، وبعضها يتسكع بدون عمل ، وبعضها يدخن، وعمل الأرواح بعد الموت هدفه طلب المزيد من الدرجات وتكفير الذنوب[2] ويستدل المسلمون الذين يؤمنون بتحضير

الأرواح ببعض الآيات القرآنية يقول طنطاوي جوهري[3] قال تعالى﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾ [البقرة: ٧٢ – ٧٣]

قال وأما علم تحضير الأرواح فانه من هذه الآية استخراجه.وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً

=ويجلس أمامها وسيطان يضع كل مهما أصبعه في الفنجان ويطلبون الروح فإذا جاء وتكلم تحرك الفنجان على الأحرف بحيث يتكون الجواب من مجموع الأحرف (أنظر العقائد الإسلامية لنديم الملاح ص٤٣) مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس .

١ . بتصرف عن دائرة معارف القرن العشرين ص ٢٤٥ ج ١ .

٢ . ركائز الإيمان ص ٣٤٥ لمحمد الغزالي .

٣ . قال في الأعلام ج ٢ ص ٣٣٣ (طنطاوي بن جوهري المصري ولد في قرية الشرقية بمصر درس في الأزهر وفي المدارس الحكومية ودرس الإنجليزية وفي دار العلوم له مؤلفات كثيرة أشهرها تفسير القرآن توفي بالقاهرة عام ١٣٥٨ هـ) .

﴿مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[البقرة: ٢٦٠] وقد فعل إبراهيم ذلك وقطع الطير ودعاها فأجابت فاطمأن ، وإذا كان الأنبياء أمرهم أن يتعلموه كما هو مع إبراهيم فكيف نحن الذين نحتاج إلى دلائل أكثر لتطمئن قلوبنا[1] . ومما يدل على تحضير الأرواح قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾[البقرة: ٢٤٣] ، وقوله : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾[البقرة: ٢٥٩])[2] وعضد إيمانه بتحضير الأرواح بقوله إنه ورد في الحديث ، وفي التوراة (سفر صموئيل الأول) وحوادث الأوربيين وقصصهم)[3] وقد وضع كتاباً في هذا المجال سماه كتاب الأرواح[4] .

ومن الآيات التي استند إليها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا ﴾ [الأنعام: ١١١][5] ويعلق بعد إيراد هذه الأدلة بقوله (والأولى بأمة الإسلام أن تكون السابقة في مضماره المجدة في تعلمه)[6] .

ومن المؤيدين لتحضير الأرواح محمد فريد وجدي إذ يقول تحت مادة اسبرتزم : هو فن استحضار الأرواح[1] . فاعتبره فناً من الفنون . ويعلق على حادثة منزل فيكمان بقوله :

---

١ . الجواهر في تفسير القرآن الكريم ص ٨٤ ج ١ ط ٢ مصطفى البابي الحلبي بمصر بتصرف .

٢ . الجواهر ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ . الجواهر ج ٩ ص ٤٨/ ١١٤ ج ١٠ ص ١٠ .

٤ . الجواهر ج ١ ص ٨٥ .

٥ . الجواهر ج ٤ ص١٠٥ .

٦ . الجواهر ج ١ ص ٨٤ .

(وتألفت في أوروبا لجنة عام ١٨٦٩ م للحكم الفصل في هذه القضية وتألفت اللجنة من كبار رجال الفكر والعلم واستمرت دراستهم للموضوع ثمانية عشر شهراً وكانت النتيجة تأكيدها على صحة تلك المشاهدات الخارقة للعادة [٢] .

ويؤكد على أن عدد المؤيدين للفكرة بلغ الملايين وأن أكثر من (٢٠٠) مجلة تدافع عنها[٣] . ولا يقف عند هذا الحد بل يعتبر فكرة تحضير الأرواح خنجراً طعن المادية طعنة لا برء لها منها إلى يوم الدين على حد تعبيره[٤]

ومن المؤيدين كذلك الدكتور رؤوف عبيد[٥] الذي عمل أستاذاً بكلية الحقوق بجامعة عين شمس، وقد دافع عن الفكرة في كتابه (الانسان روح لا جسد) الذي يقع في ثلاثة مجلدات ضخام وبدأ كتابه بقصيدة قال إنها من روح أمير الشعراء أحمد شوقي تحيي فيها الأبيات كتاب(الإنسان روح لا جسد) .

ومن معتنقي فكرة التحضير الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير المراقب بوزارة المعارف المصرية وكان قد فتح منزله للجلسات والوسطاء كما يقول عنه الدكتور رؤوف عبيد [٦] وكان قد

---

١ . ج ١ ص ٢٤٥ دائرة معارف القرن العشرين .

٢ . المرجع نفسه بتصرف .

٣ . دائرة معارفه ص ٢٤٩ ج ١.

٤ . المرجع نفسه .

٥ . دكتور مصري له عدة مؤلفات وبخاصة في القضايا التشريعية والجنائية وله في الفلسفة (التسيير والتخيير) وله في الروح (الإنسان روح لا جسد) و (عروس فرعون وشوقيات جديدة في عالم الغيب) وغيرها . وله بالفرنسية بعض المؤلفات .

٦ . الإنسان روح لا جسد ٤٤٣/ ٤٤٤ ط ١ .

ألف عدة كتب في الموضوع منها (ظواهر الطرح الروحي) و (السيكولوفيا والروح) و (العجيبة الثامنة) . ومن المعاصرين الذين ذكرهم الدكتور عبيد في كتابه الدكتور علي عبد الجليل راضي الأستاذ بكلية العلوم بعين شمس ، وقد أنشأ دائرة الأهرام الروحية وألف (حياة محمد الروحية) و (العالم غير المنظور) و (أرواح مرسلة) و (سفير الأرواح العليا) و (أضواء على الروحية)[١].

وممن يؤيد تحضير الأرواح الشيخ محمد حسنين مخلوف في كتابه (المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية) إذ يقول : (ما أظن ذا فهم مستقيم يرتاب في كرامات الأنبياء وتصرفات أرواحهم حال الحياة وبعد المات ، أو يستغرب حوادث التنويم والتحضير[٢] . وكذلك الأستاذ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر سابقاً في مقدمة كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل إذ يقول (.. وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون ..)[٣] . ويوجد كثير غير ما ذكرت ممن آمن بالفكرة ودافع عنها .

أما أهل الغرب فمن زعماء الروحية الحديثة عندهم سلفربرش وهوايت هوك إذ بث الأول أفكاره في كتابيه (التوحيد والتعديد) و (الحكمة البالغة) .

مما تقدم علمنا أن تحضير الأرواح مبدأ له أتباعه في الشرق والغرب من المسلمين والنصارى ، وأنهم دعموا مذهبهم بالتجارب العلمية لتحضير الأرواح ثم دعم المسلمون

---

١ . ج ١ ص ٤٤٦ المرجع السابق

٢ . المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٧ .

٣ . مقدمة حياة محمد الورقة الثالثة (ن) السطر الخامس حياة محمد ط ٩ مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٥ هـ .

منهم الفكرة بآيات من القرآن الكريم . وبعد أن عرفنا فكرتهم نود أن نحكم عليها بالحجة والبرهان لا العاطفة والجهل وأهم ما يمكن أن يقال عن الفكرة ما يلي :

أولاً : إن الأفكار التي تنتج كرد فعل على وضع معين هي أفكار غير أصيلة ولا ثابتة ، فلا يمكن لأحد أن يدعي تحضير الأرواح لمجرد طغيان الفكر المادي ، وكون هذا الفكر خطأ لأن ردود الفعل لا تلبث أن تزول بزوال ما أثارها إذ الإيمان بعداوته للفكر المادي لا يقتضي من المسلم أن يخلط الحق بالباطل ، ولا أن يرد على أهل الباطل إلا بما هو حق ، فلا يخلط الدليل الصحيح بالدليل الباطل ، لمجرد هذا الدليل يساند فكرته إذ الإخلاص للحقيقة أمر أصيل لا بد منه للإنسان وخاصة المسلم قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[الكهف: ٢٩]

ثانياً : إننا نقول ببقاء الأرواح بعد الممات إذ أن هذا أمر لا شك فيه فالأرواح لا تموت ، وإنما يقع الموت على الجسد فقط أما الروح فتبقى ، وهذا أمر نتفق فيه مع أدعياء تحضير الأرواح ، لكن نقطة خلافنا معهم هي قولهم إن الأرواح تستأنف عملها بعد الموت ، وهذا لا نقول به لأن الإسلام يقرر أن مجال العمل والكسب هو ما قبل الموت أي الحياة الدنيا أما بعد الموت فقد انتهى كل شيء . إن الموت هو باب ينهي العمل ويفتح باب الجزاء ولهذا قال ﷺ : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له))[١] فلا مجال لتكليف ولا تعرض لامتحان[٢] ولا فرصة جديدة ،وهذه شواهد

---

١ . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم ج ٣ ص ١٢٥٥ ط ١ عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢ . بتصرف عن ركائز الإيمان لمحمد الغزالي ص ٣٤٥ .

من القرآن الكريم على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧] .

وقال تعالى أيضاً على لسان الكافر : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠] . وقال علي بن أبي طالب : (ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الدار المقبلة ، ولا تكونوا من أبناء الدار المدبرة ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل) [١] .

يتبين من النصوص السابقة أن الروح بعد الموت إما أن تكون في نعيم المؤمن ، إذ أن روحه ترقب مجيء الأقارب وهي تسبّح كالتنفس لا تكلفاً ، أو في السجن الموحش القاسي مما يدفع قول الروحية الحديثة وأهل تحضير الأرواح [٢].

ومما يدل على هذا ما أورده ابن القيم في كتابه الروح (وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الأشبيلي على هذا فقال : ذكر ما جاء أن الموتى يسألون عن الأحياء ، ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم ذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ، ويروى هذا من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام . قال ويروى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا

---

١ . أنظر (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي ط ٢/ ١٣٨٧ هـ .

٢ . بتصرف عن (ركائز الايمان) ص٣٥٠.

استأنس به حتى يقوم ، وقال وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به أن النبي ﷺ وآله حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلو لأخيكم التثبيت فإنه الآن يسأل .. وقد صح عن النبي ﷺ أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا منصرفين .[1]

ثالثاً: أما بالنسبة للتجارب العلمية التي أيدوا فيها مذهبهم ، وشهد بها الكثير من الناس ، فهذا أمر لا يستطيع أحد أن ينكره لكننا نختلف معهم في تحضير الروح التي تكلمنا فهم يقولون إنها روح الميت نفسه .

ونحن نقول إنها روح القرين الجني الذي كان مرافقاً لذلك الميت الذي ادعوا تحضير روحه ، قال تعالى على لسان القرين الجني : ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧] وقال تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فصلت: ٢٥] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ٢٣] وقال : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦] وقال : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] فكل إنسان على وجه هذه الأرض له شيطان[2] ، من الجن يسمى قريناً ، لأنه لا ينفك عن الإنسان إلا بالموت .. فيكون خلال هذه المدة الطويلة قد عرف كل ما يتعلق بهذا الإنسان . فإذا جاء محضرو الأرواح وحضّروا روح زيد من الناس ، فإنما هم في الحقيقة يتكلمون مع القرين الجني لزيد لا مع زيد نفسه فيخبرهم عما يسألونه مما كان يعرفه عن زيد في هذه الدنيا ، وإن سألوه عن أمور تتعلق بما بعد الموت فلا مجال للحكم

---

١ . الروح لابن القيم ص ١٢ / ١٣٧٦ هـ مطبعة محمد علي صبيح . ط ٢ .

٢ . أحمد ١ / ٢٥٧ (عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعن ولكن الله أعانني عليه فأسلم .

عليها بالصدق أو الكذب إلا إذا كانت تخالف النصوص الشريعة . وهذا هو تفسيرنا للحوادث الكثيرة التي جعلها محضرو الأرواح سنداً لفكرتهم ، أما الصور [1] التي التقطوها للأرواح أثناء عملية التحضير فلا مانع أن تكون صورة للجني الذي يكلمهم إذ الجن كالملائكة في قدرتهم على التشكل .

رابعاً: المتتبع لكلام الروحانية الجديدة يجد أنها قامت على وحدة الوجود ، يقول سلفر برش : (فالله والعالم شيء واحد) وتناسخ الأرواح وخلود الحياة فلا فناء ولا يوم بعث ولا حساب . ويقول سلفر برش في التوحيد والتعديد : (تذكروا أنكم دائماً في الله وأن الله فيكم) [2] ويتضمن كلامه التكذيب برسالة محمد ﷺ إذ يقول : (لا زال المسيح في عالمنا هو أعظم من نعرف ولم يحدث قبل يومه أو بعده تنزل الإلهام الإلهي إلى الأرض بقدر الذي نزل عليه وهو آخر الأنبياء والمعلمين) ولهذا نجد الروحية الحديثة تحمل طابعاً مسيحياً [3] ، كالصلاة من أجل الخطايا ، ومع هذا نجده يقول بصلب المسيح ويتعبره من أبوين يهوديين ، ويؤكد على أن الروحية هي الدين المناسب وأن مناسك الأديان يجب تركها لأنها تفرق .

خامساً: ومن أحسن ما يرد به على أهل تحضير الأرواح ما تحداهم به الشيخ محمد عبده حين طلب منهم أن يحضروا روح المصطفى ﷺ فعجزوا ، وقالوا إن هذه روح عالية لا

---

١ . نشرها الدكتور رؤوف عبيد في كتابه (الإنسان روح لا جسد) .

٢ . ركائز الإيمان للغزالي ص ٣٤٣ بتصرف .

٣ . عقيدة البعث الإسلامي – للبهائي نفرة ص ٩٤ طبع الشركة التونسية للفنون الرقم ٥١٣٩٥ .

يمكن إحضارها [1] . وهذا يثبت أن الروح التي تكلمهم هي روح القرين الجني وهو من الشياطين إذ الشيطان لا يتمثل بالرسول محمد ﷺ كما ورد في الحديث [2] .

سادساً : إن تحضير الأرواح لم يثبت أن فعله الأنبياء أو الصحابة [3] . والخير كل الخير في الاتباع ، والشر كل الشر في الابتداع . ولو كان التحضير حقاً لأمر به الشرع وحث عليه . وكثير من المشاكل الاجتماعية التي تقع وضع لها الشرع حلولاً عدة ، ولو كان التحضير جائزاً وحقّاً لكان أفضل حل في هذا المجال .

ثم لو كان التحضير يوافق الشرع لما وجدت المراوغة وإخلاف الموعد والرضى بالمنكرات [4] في مجالس التحضير ، مما يدل على أن الأرواح المحضّرة هي أرواح شياطين الجن . ومما يجعلنا نقول إن الشرع يرفض تحضير الأرواح أنهم حضّروا أرواح الكافرين فوجدوها في نعيم مقيم .

سابعاً : ومما يجعلنا نرفض تحضير الأرواح أن الكثيرين ممن حاولوا الاتصال قد أصيبوا بالجنون والهوس .

ثامناً : أنه لا سند لهم في الآيات التي ذكروها كأدلة على شرعية التحضير ، وإنما هي تأويلات بما يتفق مع مذهبهم .

---

١ . ص ١٥٨ التصوف الإسلامي والإمام الشعراني – طه عبد الباقي سرور مطبعة نهضة مصر .

٢ . البخاري مع الفتح ١٢ / ٣٨٣ (عن أبي هريرة سمعت النبي ﷺ يقول : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي) .

٣ . أنظر (تبسيط العقائد الإسلامية) لحسن أيوب بتصرف ط ٣ / ١٣٩٨ هـ ص ٢٠٢ .

٤ . المرجع نفسه .

٨ـ نظرية الاستذكار الأفلاطونية

وتقوم هذه النظرية على اعتبار أن الإدراك هو عملية استذكار المعلومات السابقة [١] .

وبنيت هذه النظرية على نظرية المثل التي قال بها أفلاطون أيضاً . فهو يعتبر أن العلم الصحيح هو الإدراكات الكلية التي يصل إليها العقل ، وأن هذه المعرفة لا بد أن يكون لها مدلول في الخارج أو لها حقيقة خارجية مستقلة ، فنحن ندرك عدداً عظيماً من الجياد بواسطة الحواس ، لكن العقل يقدم لنا صورة واحدة للحصان هي الإدراك الكلي للنوع بصفة عامة . وهذه الصورة هي المقياس لكل الجياد . ففي الذهن تكون الفكرة التي يقيس بها الإنسان الأشياء الخارجية . فكل شيء يحيط بالإنسان له في الذهن صورة مثالية تعتبر مقياساً لهذا الشيء بل لكل نوعه ، فهذه الصورة الموجودة في الذهن تعتبر حقائق وهي ما يسميها أفلاطون بالمثل [٢] .

ويقول أفلاطون إن نفس الإنسان قبل ولادته كانت مجردة عن الأجساد وكانت تعيش في عالم المثل تتأمل وتفكر ، فلما حلت بالجسم وانغمست في عالم الحس نسيت عالم المثل ، فإذا وقع النظر على شيء جميل مثلا تذكرت مثال الجمال الذي كانت تعيش فيه وهكذا . ويرجع أفلاطون الوله والهيام والفرح والعواطف الحادة ونحوها إلى نظرية المثل حيث إن هذه الأشياء تظهر عند النظر إلى الشيء الجميل [٣]

---

١ . فلسفتنا لمحمد باقر الصدر ط ٤ دار الفكر ١٣٩٣ هـ ص ٥٥ .

٢ . قصة الفلسفة اليونانية (أحمد أمين وزكي نجيب محمود) ص ١٥٨ – ١٧١ بتصرف .

٣ . قصة الفلسفة اليونانبة ص ١٥٨ – ١٧١ بتصرف .

يتبين مما سبق أن أفلاطون كان يعتقد أن النفس الإنسانية موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل وجوده ، ولما كان وجودها متحرراً من المادة فقد اتصلت بالمثل العليا (الحقائق المجردة) وعلمتها . ولما هبطت إلى البدن فقدت ما كانت عملته وذهلت عنه ولكنها تستطيع استذكاره بمجرد الإحساس به ، فالتصورات سابقة على الإحساس ولا يقوم الإحساس إلا بعملية استرجاع واستذكار لها [1]

وهذه النظرية منقوضة لقيامها على أساس أن النفس موجودة قبل البدن وهذا لا دليل عليه . بل هو مجرد تخيل ورجم بالغيب .

ومما ينقض النظرية كذلك أن الواقع يقول إن الإنسان لا يستذكر كل ما تحسه الحواس على عكس كلام النظرية [2]

وأخيراً فإنه يمكن إيضاح الإدراك العقلي دون اللجوء إلى نظرية المثل هذه [3]

٩ – نظرية الانتزاع

وهي النظرية التي قال بها الفلاسفة المسلمون ، وهي تقسّم التصورات الذهنية إلى قسمين:

(أ) تصورات أولية : وهي الأساس التصوري للذهن البشري وتتولد هذه التصورات من الإحساس بمحتوياتها .

---

١ . فلسفتنا ص ٥٧ / ٥٨ بتصرف .

٢ . المرجع السابق نفسه ص ٥٨ بتصرف .

٣ . فلسفتنا ص ٥٨ بتصرف .

(ب) تصورات ثانوية : وهي ما يتشكل من التصورات الأولية وهنا يبدأ دور الابتكار وهو ما تسميه النظرية بالانتزاع [1]

١٠ – النظرية الإسلامية

لا نقصد بالنظرية الإسلامية أنها مجرد خيالات ليس لها بالواقع صلة ، ولا نقصد بفصل هذا العنوان كعنوان مستقل أنه يتضارب مع العقل والتجربة والحس ، بل يعني أن الإسلام له موقفه المستقل ، وأن فكرته لا تختلط بغيرها بل هي متكاملة لا تحتاج إلى ما يكملها . ثم إن تضارب الإسلام ليس مع العقل والتجربة والحس ، بل مع النظريات الفكرية التي حجرت على الحقيقة وأرادت إنقاصها حقها .

إن الحقيقة علم فيجب أن يكون المنهج لإدراكها علماً ، ولا مجال للظن ولا الوهم ولا الحدس [2] .

لا بد من التفريق بين الدعاوى المتعلقة بالماديات والدعاوى المتعلقة بالمجردات والدعاوى المتعلقة بالحقوق والأحوال المدنية . فالدعاوى المتعلقة بالماديات لا تنهض بغير البراهين العلمية التجريبية المحسوسة أما الدعاوى المتعلقة بالمجردات (كالأرقام والنفس

---

١ . باختصار عن فلسفتنا لمحمد باقر الصدر ص ٦٦ .

٢ . كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣ بتصرف .

والمنطق) لا تنهض إلا بالبراهين القانونية المسلّمة ، بينما الدعاوى المتعلقة بالحقوق والأحوال المدنية فهي لا تنهض إلا بالبينات والحجاج [1] .

والغيب يدخل في المجردات فلا بد لإثباته من البراهين المسلمة ، والغيب نوعان :

(أ)نوع يصل إليه العقل كوجود الله .

(ب) نوع لا يصل إليه العقل .

أما الأول فلا غبار ولا حرج أمام العقل في أن يصل إلى هذه المغيبات ، بل أمره الإسلام بذلك . وأما النوع الثاني وهو ما يسمى عند العلماء بالسمعيات حيث لا يصل إليها العقل ولكنها تدرك بالنقل المسموع وإليك بيانه .

١ . القرآن الكريم وهو المصدر الأول لهذه المغيبات ، حيث أنه قطعي الثبوت إذ نقل إلينا بالتواتر بطريق لم يعرف له مثيل بين الأمم من جهة المحافظة على السنة والحرص على التحقق ، ولم ينقل عن السلف أي اختلاف حول ثبوت النصوص القرآنية ، ومن شك في هذا فقد خرج من الإسلام ، فلا بد من اعتقاد أن القرآن الذي بيننا هو نفسه الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ . وعليه فلا مجال لمن آمن بالله إلا إن يؤمن بالقرآن .وكلاهما أي الإيمان بالله والإيمان بالقرآن مبني على العقل . فإذا تفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض والمخلوقات ودقة الصنع وصل إلى وجود الله تعالى وعلم ذلك علم اليقين ، ثم أيقن أنه لا بد أن تكون ثمة علاقة بين الله وبين الناس [2] وهذه العلاقة تتمثل فيما أنزل الله من كتب ،

---

١ . المرجع نفسه ص ٣٦ بتصرف .

٢ . من المعاصرين الذين كتبوا كتباً متسلسلة في البحث المتدرج لوجود الله وصدق الرسول وصحة القرآن والإسلام الشيخ سعيد حوى في كتابه (الله جل جلاله) (الرسول ﷺ) جزءان (الإسلام ٤ أجزاء) .

وحتى لا يكون أي كتاب من عند الله فلا بد من البحث في سيرة [1] الرسل وصدقهم وصحة الكتب السماوية من جهة السند ومن جهة المضمون . وكل قارئ للكتب السماوية بإنصاف يجد أن غير القرآن لا يتفق مع العقل ويستحيل أن يكون قد قاله الله تعالى لما تضمنته تلك الكتب من شرك وخرافات خلطوها مع بقية من الحق لم تحرف عن أصلها . والمحرفون لهذه الكتب هم الأحبار والرهبان الذين فعلوا ذلك لمصالحهم الخاصة . هذا من حيث المضمون . أما السند فلا أحد يقول إن السند الذي وجد عند المسلمين قد وجد عند غيرهم ، بل لا سند [2] عند الأمم الأخرى غير المسلمين إذ هو فن إسلامي [3] في التحقق من الأخبار نابع من عقيدة المسلمين وحرصهم على قول الحق وعدم اتباع الظن وحبهم لنبيهم ﷺ وكلام ربهم في القرآن أو السنة الصحيحية ، ثم إن الإسلام أمر أتباعه بقول الحق ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[الكهف: ٢٩] وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [الحجرات: ٦] فنهى عن الأخذ من الفاسقين ، ومن هنا تشدد أهل

١ . قال عبد الحليم خفاجي في كتابه (حوار مع الشيوعيون في أقبية السجون ط ٢ ص ٤٥ دار الانتصار ١٣٩٧ هـ) ومن هنا اتجه البحث لدى الأقوام قديماً اتجاهاً منطقياً حول التحقق من صدق الرسول المبعوث .

٢ . شاع عند الغربيين ما يسمى بالمنهج الاستردادي (أو منهج التوسم) حيث استعملوه في تحقيق الأخبار ، ويقوم هذا المنهج على جهد الباحث في تجميع المعلومات ثم درسها باستعمال الملاحظة والوجدان والخيال ثم يستنتج الباحث ما يطمئن إليه . وهذا المنهج منهج استنتاج فكري بل غيبي مجرد ولا يصلح لأن يوصف بالمنهج العلمي) انظر ص ٥١ كبرى اليقينيات الكونية . بتصرف .

٣ . وقد فصل علماء الإسلام الطريقة العلمية في تحقيق الأخبار فكان خلقهم أولاً الصدق وطلبهم في البحث في رضى الله فكانت هذه ضوابط وضع الطريقة العلمية . لقد صنفوا المؤلفات الكبيرة في تراجم الرجال حتى أنك تستطيع معرفة دقائق الأمور المتعلقة براوي الحديث .

الإسلام في موضوع السند حتى إن بعضهم لم يأخذ عمن أكل في الشارع أو كذب على دابته . هذا في مجال الأحاديث فكيف بنصوص القرآن . ومما يدعم الإيمان بالقرآن دراسة سيرة النبي محمد ﷺ وسلوكه وأخلاقه مع أهله والناس جميعاً مما يدل على استحالة كون القرآن من كلامه الخاص ﷺ .

وإذا آمن الإنسان بالقرآن فلا بد أن يعتبره المصدر الأول في كل شيء وبخاصة في الأمور الغيبية ، لأن القرآن كلام من لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء وما كان وما سيكون . وإذا آمن العقل بالقرآن فلا حرج عليه أن يمارس نشاطه في المجال الذي حدده الله له إياه ، ولا يوصف عندئذ بأنه قصر في البحث لأنه يكون قد اعتمد على اليقين [1] ولأن ربه يعلم ما يصلح له العقل وما لا يصلح له .

إن الذين خالفوا هذه القاعدة وبحثوا فيما وراء الطبيعة أو الغيب لم يصلوا إلى شيء يذكر بل خيالات وأوهام . وكل إنسان قادر على التخيل لكن الحق لا يؤخذ في هذا المجال إلا من الحق تبارك وتعالى .

ومن العجيب أن الوحي يخبر [2] عن كل ما ليس في طاقة البشر معرفته بوسائلهم العلمية [3] ولنأخذ قوله تعالى مثالاً على ذلك ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

---

١ . عقيدة المسلم . مطبعة حسان . ص ٢١٦ لمحمد الغزالي .

٢ . قال البوطي في كبرى اليقينيات ص ٤٠ (إنه يفصل القول في الأمور الغيبية ويقطع فيها بحكم مبرم إذ لا مجال لاجتهاد البشر أن يكمل أو يوضح) بتصرف .

٣ .حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون ص ٤٥ .

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢] فأنى لوسائل البشر أن تصل إلى هذا المشهد العظيم حين أخذ الله ذرية آدم من ظهره وهم في عالم الذر وأشهدهم على أنفسهم بسؤاله لهم ألست بربكم ؟ فشهدت الذرية أنه ربها .

٢ – السنة المتواترة : وهي ما روي عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بطريق قطعي حيث رواها جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب إلى أن دونت السنة حيث لم يبق مجال للشك والتحريف . وهذا النوع من السنة كالقرآن من حيث أنه قطعي الثبوت ، وهي من الله أيضاً : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم: ٤] ، وقال ﷺ : أوتيت القرآن ومثله معه [1] أي السنة . وهذا النوع من السنة يؤخذ به في الأمور الاعتقادية كالقرآن لأنه يفيد القطع واليقين . وتجدر الإشارة إلى أن الأحاديث المتواترة قليلة العدد .

أما السنة التي رواها العدل الضابط عن مثله إلى عصر التدوين فهي ما تسمى بخبر الواحد ، ومعظم السنة التي نقلت إلينا هي من هذا القبيل .

والمشهور أن هذا النوع لا يؤخذ به في المسائل الاعتقادية لأنها تبنى على اليقين بينما خبر الواحد يفيد الظن . وقد نهانا الله عن اتباع الظن قال تعالى : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[يونس: ٣٦] قال الشوكاني : (الآحاد وهو خبر لا يفيد بنفسه العلم سواء كان لا يفيده أصلاً أو يفيده بالقرائن الخارجة به فلا واسطة بين المتواتر والآحاد وهذا

---

١ . في كتاب سنن الترمذي بشرح ابن العربي ١٠ / ١٣٣ (عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ ألا هل عسى رجل يبلغ الحديث عني وهو متكيء على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله قال ابن عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه)

قول الجمهور)[1] ولا تعارض بين الصحة والظن ، فخبر الواحد صحيح ظني يؤخذ به في الأحكام العلمية دون الاعتقادية . يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : (الخبر الصحيح الظني لا يعتد به في بناء العقيدة لأنه يفيد الظن ونهى القرآن عن اتباع الظن فالعقيدة لا تبنى إلا على المتواتر)[2]

لكننا نذكر خلافا للعلماء في هذا الصدد ، إذ قال أهل الظاهر وفي إحدى الروايتين عن أحمد أنه يفيد العلم اليقيني من غير قرينة ، وقال النّظام[3] لا بد من القرينة . قال الآمدي : (ومنهم من قال إن خبر الواحد يفيد العلم اليقيني من غير قرينة وذلك مطرد كل خبر ، كما قال أهل الظاهر وهو مذهب أحمد في إحدى الروايتين عنه ، ومنهم من قال إنه يوجد في بعض أخبار آحاد لا الكل ، وإليه ذهب أصحاب الحديث ، ومنهم من قال إنه يفيد العلم إذا اقترنت به قرينة كالنظام ومن تبعه . وذهب الباقون إلى أنه لا يفيد العلم اليقيني مطلقاً لا بقرينة ولا بغير قرينة . والمختار حصول العلم بخبره إذا احتفت به القرائن)[4] .

وأرى أن خبر الواحد المتعلق بالاعتقاد يؤخذ به إذا كان له قرائن وشواهد وبخاصة إذا تلقته الأمة بالقبول وأصبح مشهوراً عندها كعذاب القبر مثلاً ، لا يصح إنكاره لمجرد أن أحاديثه أحادية حيث أن عذاب القبر أصبح من الأمور المسلمة عند جماهير المسلمين ثم إن

---

١ . أنظر ارشاد الفحول ص ٤٨ ط ١ طبعة الحلبي ١٣٥٦ هـ .

٢ . بتصرف (كبرى اليقينيات الكونية) ص ٣٨ .

٣ . قال في الأعلام ١ / ٣٦ (إبراهيم بن هانيء البصري أو اسحاق النّظام من أئمة المعتزلة توفي ٢٣١ هـ) .

٤ . الأحكام للآمدي . بتصرف مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ج ١ ص ٢٣٤ / ١٣٨٧ هـ.

أحاديثه لها قرائن في القرآن كقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[إبراهيم: ٢٧] لا يصح الإنكار خوفاً من انتقادات أعداء الإسلام .

وقد وضع علماء الإسلام منهجاً لمعرفة الحق إذ قالوا في الأمور التي لم يرد فيها نص بدلالة الالتزام والقياس [١] .

أما دلالة الالتزام فهي أن يطرد ترابط بين شيئين بحيث إذا تأملت أحدهما تصورت الآخر ، كالنحول يدل على المرض ، والعربدة تدل على السكر ، وصفير سيارة الإسعاف يدل على أن بداخلها مريضاً ، وكرؤيتك لمدينة تعلوها المآذن فتستنتج أنهم مسلمون ، أو تعلوها الصلبان فتستنتج أنهم نصارى . ويؤخذ بدلالة الالتزام بعد الاستقراء . وتنقسم دلالة الالتزام إلى ثلاثة أقسام :

الأول : اللزوم غير البين وهو ما يتوقف الجزم به على إقامة برهان آخر كالتزام زوايا المثلث للقائمين .

الثاني : اللزوم البيّن بالمعنى الأعم : وهو ما يتوقف إدراك اللزوم بين شيئين على تصور كل منهما كقولك (الممكن حادث) إذ يتطلب منك هذا أن تكون متصوراً للممكن والحادث .

الثالث : اللزوم البيّن بالمعنى الأخص : ما يكون تصور اللزوم وحده كافياً في الجزم كدلالة السيارة الإسعافية على المريض .

---

١ . أنظر ص ٤٣ وما بعدها . كبرى اليقينيات الكونية . بتصرف .

وأقوى هذه الأنواع الثلاثة هو النوع الثالث (اللزوم البيّن بالمعنى الأخص) ثم الثاني (اللزوم البيّن بالمعنى الأعم) أما غير البيّن فلا يعتبر إلا إذا جاءه برهان آخر .

أما القياس وهو المعروف عند الأصوليين (حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من حكم أو صفة) أو (هو استخراج مثل حكم المذكور لما لم يذكر بجامع بينهما) [1] . وتقوم فكرة القياس على أساسين : الأساس الأول : قانون العلية . الأساس الثاني : قانون التناسق والنظام في العالم وينقدح القياس بين هذين المبدأين بواسطة الاستقراء التام .

وبالنسبة لقانون العلية فيجب أن يكون بين العلة والمعلول علاقة مطردة ، كلما فقدت العلة فقد المعلول ويجب أن يكون تأثير العلة يقيناً لا لمحض الصدفة أو لعامل آخر .

وإذا تدانت العلة عن هذا المستوى فهو قياس ظني لا يقبل في الأحكام الاعتقادية والعقلية ، ويقبل في الفقه . فالقياس في الفقه يختلف عن القياس في العقيدة وكمثال على القياس القطعي قولك : (وجود الناس يدل على الماء) بينما مثال الظني العكس أي قولك : (وجود الماء يدل على وجود الناس) .

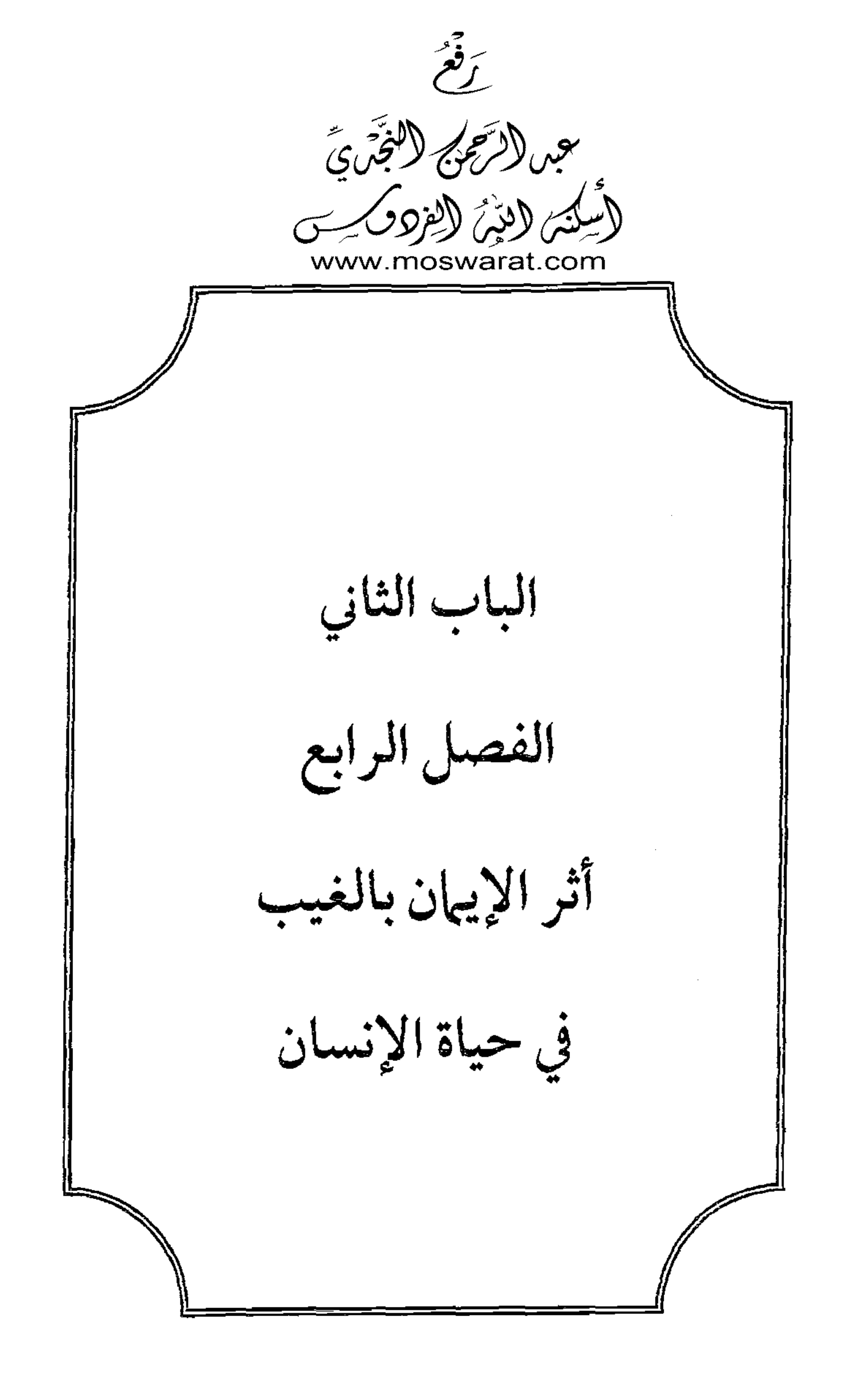
إن هذا المنهج في الالتزام والقياس يختلف عن منهج اليونانيين في الاستنتاجات الغيبية والتأملات المجردة .

إن علماء الإسلام لم يقيموا أي حكم عقلي أو عقدي إلا على أساس الحقيقة واليقين ، أما الدراسات التاريخية والآثار المكتشفة فلم يبنوا عليها شيئاً ، وتركوا الباب فيها مفتوحاً للبحث .

---

١ . التعريف الأول لأبي بكر الباقلاني ، والثاني للشوكاني . أنظر التعريفين ص ١٩٨ إرشاد الفحول .

والغيب الذي لم تذكره النصوص في الكتاب والسنة ولا مجال للعقل الوصول إليه عن طريق دلالة الالتزام والقياس فيبقى مستوراً في علم الله وهو مما استأثر بعلمه والله تعالى أعلم.



الباب الثاني

الفصل الرابع

أثر الإيمان بالغيب في حياة الإنسان


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أثر الإيمان بالغيب

كثيرة هي الأشياء التي تؤثر في حياة الإنسان ، فهو يتأثر بالمناخ والتضاريس والبحار والشمس والحروب والفقر والغنى ... إلخ ، وأهم المؤثرات في نظري هي العقيدة وبخاصة العقيدة الغيبية الإسلامية ، حيث نجد مظاهر التأثير أقوى وأعمق وأكثر ، وإليك بيانها ، نبدؤها ببيان التأثير في حياة الفرد ثم في حياة الجماعة ضاربين الأمثلة لتوضيح الآثار الطيبة التي يتركها الإيمان بالغيب في حياة الإنسان .

أثر الإيمان بالغيب في حياة الفرد

الفرد هو الكائن الأول الذي اهتم به الإسلام – الإسلام بمعنى دين الأنبياء – فقد أكرمه الله وجعله في الأرض خليفة قال تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] وسخر له ما في السماوات وما في الأرض ، وخلق فيه روحاً ،وأنزل لهذه الروح ما يشبعها من عقائد وروحانيات فكان الإيمان بالغيب أساس حياة الروح ، بل الروح نفسها كانت من الدلالات على الغيب .

والأصل في الفرد الفطرة السليمة ، لكنه قد يتعرض لمؤثرات تجعل فوق فكرته حجاباً فلا يتأثر إلا بالشرور ، وهذا الحجاب هو الران [1] الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[المطففين: ١٤] . أما الذي لم يقع الران على قلبه ، فإن نفسه قابلة للتأثر وهذا هو الفرد الذي نقصده(إنه الفرد السوي لا الشاذ ، السليم لا المختل المشوه المشوش) [2]

لأن هذا الذي يريد أن يكون كالأنعام حياة وموتاً ليس مقياساً للبشر .

وأهم النواحي التي تبرز ظاهرة حين نتكلم عن تأثر الفرد بالإيمان بالغيب هي : العقيدة ، النفس ، الأخلاق . وهذا التقسيم لا يعني انفصال هذه الأشياء عن بعضها البعض فالعقيدة تحملها النفس ، والأخلاق ثمرة الاعتقاد ، وإنما القصد بسط الموضوع وتسهيل دراسته . ونفصل القول في الاعتقاد من جهتي القدر والآخرة وإن كانت كل أركان الإيمان لها دورها في التأثير .

وفي النفس نتوسع في الطمأنينة والسعادة وراحة الضمير وشرح الصدر والرضا ثم نفصل كلا من خلق الرحمة والصبر والتصدق والتحرر والحب والقوة والانقياد والعمل .

---

١ . في الحديث عند مسلم ١ / ١٢٨ (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ..) وفي البخاري مع الفتح ٨/ ٦٩٥ وقال مجاهد : ران ثبت الخطايا . قوله (وقال مجاهد : بل ران ثبت الخطايا) وصله القريابي ، وروينا في فوائد الدياص من طريق عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (بل ران على قلوبهم) ثبتت على قلوبهم الخطايا حتى غمرتها انتهى . والران الرين الغشاوة وهو كالصدى على الشيء الصقيل وروى ابن حبان والحاكم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه فإن هو نزع واستغفر صقلت ، فإن هو عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله تعالى)) .

٢ . بتصرف عن الإيمان والحياة للقرضاوي ص ٥٣ ط ٥ .

أثر الإيمان بالغيب في حياة الفرد
من جهة عقيدة القدر والأسباب

القضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة التي إذا فقد أحدها فقد القلب إيمانه وأصبح قلبه كافراً . ومضمون هذا الركن الإيماني أن الله عز وجل قد سبق في علمه وتقديره وخلقه ما هو كائن ، فهو عز وجل يعلم أن فلاناً شقي أو سعيد ، وأن فلاناً سيكون له كذا وكذا من الأرزاق والأولاد . ويوضح عقيدة القدر الحديث الصحيح عن عبد الله قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : ((إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ، فو الله إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها))[1] . وهذه العقيدة لا تتصادم مع العمل بل تحض عليه فعن أنس بن مالك قال : ((قال رجل : يا رسول الله

---

١ . أنظر البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٧ الطبعة السلفية .

وفي مسألة القدر أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب فعند أبي داود (٢/ ٢٥٦ ط ١ الحلبية) قال ابن عمر حين سُئل عن القدرية : (لو كان لأحدكم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر)

أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : اعقلها وتوكل))[1] فلا بد من بذر الحَب والتوكل على الرب . وبذر الحَب أو عقل الناقة يسمى بالأسباب ، وهذه الأسباب لا تتناقض مع القدر ، إلا أن بعض الجهلة[2] اتخذ من عقيدة القدر دافعاً إلى الكسل والخمول، وقالوا بعد جلوسهم عن العمل للدنيا والآخرة : إن ما كتبه الله سيحدث . وهذا حق أريد به باطل ، فما كتبه الله سيقع لا محالة ، لكن من منا يعرف ماذا كتب الله له أو عليه ؟ الجواب بالطبع لا أحد . إنَ عقيدتهم هذه تتضمن سوء الظن بالله تعالى ، ولهذا لا بد من العمل وفي الطريق يكتشف الإنسان ما كتب الله عليه ومن سار في طريق الخير ييسر الله له ذلك ، ومن أراد الشر يسر له ذلك وفي الحديث عن ذي اللحية الكلابي أنه قال : ((يا رسول الله نعمل في أمر مستأنف أو في أمر قد فرغ منه ؟ قال : بلى بل في أمر قد فرغ منه . قال ففيم نعمل إذاً ؟ قال : فكل ميسر لما خلق له))[3]

فمن عقيدة القدر تنطلق قوة الإنسان للبناء والتعمير فهو قوة باعثة حيث تصطبغ النفس بالقوة والشجاعة لصلتها بالله القوي . يقول المودودي رحمه الله : (إن المتوكل على الله يصبح عزمه مماثلاً للحجر في صلابته واستحكامه ، ولا تستطيع كل مصائب الدنيا وآلامها

---

١ . أنظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩/ ٣٢٠ ط ١ مطبعة الصاوي بمصر .

٢ . في الحديث (يكون في آخر الزمن قوم يعملون المعاصي ثم يقولون الله قدرها علينا ، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله) أورده سيد سابق في العقائد الإسلامية ولم أجده .

٣ . قال في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٤ (رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات . وفي رواية أخرى عند البزار ورجاله رجال الصحيح) .

ومضارها وخسائرها وقواها المعادية أن تزل قدمه أو تزحزحه قيد شعرة عما يكون قد عقد عليه عزيمته)[1] .

نفهم مما سبق أن الله تعالى لا يظلم أحداً كما قال : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥١] والله لا يجبر أحداً على عمل الشر ، بل إرادة الإنسان ضمن إرادة الله ، فالإنسان يكسب ولهذا يحاسب على كسبه ، وإذا أجبرت الدولة بعض الناس على عمل الشر ثم عاقبتهم على فعلهم قيل إنها دولة ظالمة فتنزه الله عن ذلك .

فالإحاطة بموضوع القضاء والقدر تنحصر في عدة نقاط :

أولاً : علم الله للمستقبل ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٣] ، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤] ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ ﴾ [الفتح: ٢٧] .

ثانياً : عدم ظلم البشر ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

ثالثاً : كسب واختيار الإنسان ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٢] ، ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١] .

رابعاً : لا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئاً من غير إرادة الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] ، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾

---

١ . أنظر كتاب الإيمان ص ١٣٩ وما بعدها . طبع دار الخلافة .

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف: ٢٣ – ٢٤] ، وقال : ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١] .

خامساً : الدعاء يرد بعض القدر ففي الحديث عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، و لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا البر))[1] .

إن الإيمان يفرض على الإنسان بمبدأ التوكل (واستخدام الأسباب والاعتماد على رب الأرباب) وترك التواكل (وهو القعود بحجة أن المكتوب سيقع) فيبدأ بالعمل والنشاط وينتهي بالصبر والرضى . الإيمان بالقدر يجعل الإنسان لا يحزن على ما لم يحصل عليه ولا يفرح فرحاً غير عادي إذا أصابه خير قال تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[الحديد: ٢٣] وعن صهيب[2] قال : قال رسول الله ﷺ : ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له))[3] وعن عبادة بن الصامت[4] – رضي الله عنه – قال لابنه : يا بني إنك لم تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما

---

١ . رواه أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٧٧ المكتب الإسلامي .

٢ . أنظر صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٩٥ ط ١ . دار إحياء الكتب العربية . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣ . رواه أبو داود ج ٢ ص ٥٢٨ ط ١ .

٤ . قال في الإصابة ج ٢ ص ٢٦٠ (عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بم قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الأنصاري أبو الوليد أحد النقباء بالعقبة . شهد المشاهد كلها . روى كثيراً من الأحاديث، ولي قضاء فلسطين وتوفي في الرملة ٣٤ هـ وقال بعضهم توفي ببيت المقدس).

أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من مات على غير هذا فليس مني)) وفي حديث ابن عباس : ((واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك)) [1] مع أخذ المسلم بالأسباب إلا أنه لا يعتقد أنها هي الفاعلة الموجدة ، بل الله تبارك وتعالى ، فكثيراً ما يبذل الإنسان الأسباب ثم لا تحصل النتائج ، فهذا يتزوج لكنه لا ينجب لأن ذلك بيد الله : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠] ، وآخر يبذر فلا يخرج الزرع لأن الله ، ﴿ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ [الأنعام: ٩٥] فالأسباب لا تؤدي إلى النتائج المطلوبة لكن الأخذ بها واجب وتركها حرام .

وقد بين رسول الله ﷺ أن الأسباب المشروعة هي القدر قال سفيان [2] مرة سألت رسول الله ﷺ أرأيت أدوية نتداوى بها ورقي نسترقي بها وتقى نتقيها ، أترد من قدر الله تبارك وتعالى ؟ قال : إنها من قدر الله تبارك وتعالى [3] ، فالأسباب من القدر لكن اعتبارها مؤثرة هو المحظور بل هو شرك في التوحيد . والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع . لذا أمر الرسول بالتداوي ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : ((ما أنزل

---

١ . رواه أحمد ج ١ ص ٢٩٣ .

٢ . قال سفيان بن عيينة عن أحمد والراوي الأصلي هو أبو خزامه .

٣ . رواه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٣٤ .

الله داءً إلا أنزل له شفاء))[1] وكان أفضل المتوكلين ﷺ يلبس لامة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب .

وقصة عمر مع أبي عبيدة[2] بالنسبة للطاعون معروفة ، حين قال له نفرٌّ من قدر الله إلى قدر الله [3] . وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يجرع إليّ شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً[4] .

وقال سهل بن عبد الله : (من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان)[5] والتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته . إن عقيدة القدر ترفض الكسل والخمول ، بل تحض على العمل الجاد ، وعلى المسلم أن يبذل كل ما في وسعه من الأسباب بالإضافة إلى الإتقان لقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

---

١ . البخاري مع الفتح ج ١٠ ص ١٣٤ .

٢ . قال في الاعلام ج ٤ ص ٢١ (عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد الفاتح ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقبه أمين الأمة . ولد بمكة قبل الهجرة بأربعين سنة . ومن السابقين إلى الإسلام شهد المشاهد كلها . توفي بالطاعون عام ١٨ هـ ودفن في غور بيسان روى حوالي ١٤ حديثاً) .

٣ . فتح الباري ج ١٠ ص ١٧٩ .

٤ . البخاري ط ١ المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٨ هـ ج ١ ص ١٣٧ .

٥ . مدارج السالكين / دار الكتاب العربي / تحقيق محمد حامد الفقي / ج ٢ ص ١١٦ .

إن القدر يدفع بالقدر ، فقدر الجوع يدفع بقدر الأكل ، وقدر الظمأ بقدر الري ، وقدر المرض بقدر العلاج ، وقدر الكسل بقدر النشاط وهكذا ..

إن القدر إذا فهم بالفهم الإسلامي الصحيح فإنه سيؤدي ثماره الطيبة الكبيرة والتي سيأتي شرحها تحت باب الأخلاق .

إن الخوض في القدر منهي عنه ، فعن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كأنما فقيء في وجنتيه الرّمان فقال : ((أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه))[1] .

وفي هذا يقول أبو هريرة حين سئل : طريق مظلم لا تسلكه ، فكرر عليه السؤال فقال : بحر عميق لا تمجه ، وكرر عليه السؤال فقال : سر الله قد خفي عليك فلا تفشه[2] .

---

١ . رواه الترمذي ج ٨ ص ٢٩٥ وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي السند صالح المري له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها .

٢ . العقائد الإسلامية – سيد سابق .

أثر الإيمان بالغيب في الفرد
من جهة الآخرة

إن الإيمان بالغيب يجعل للمؤمن تصوراً عن حياة أخرى هي ما تسمى في الاصطلاح الإسلامي بالدار الآخرة ، وإن هذا التصور ليس لمجرد الرياضة الذهنية ، بل هو تصور ينبني عليه العمل والسلوك ، فمن آمن بالآخرة وأحب لقاء الله ، فلا بد أن يعمل ويسلك الطريق الموصلة إلى ذلك ، ومعلوم أن طريق الآخرة تجعل سالكها إنساناً ربانياً ، فهو بعيد عن الطمع لأنه يطمع في الآخرة ، وهو لا يخاف إلا سوء الآخرة ، وهو لا يحب الدنيا لأنها [1] تبعده عن الآخرة ، وفي الحديث : ((اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ..)) [2] .

إن المؤمن بالآخرة بعيد عن الجزع لأن مالا يدركه في الدنيا ، فهناك فرصة أخرى وأوسع وأرحب . إن تصور المؤمن ليس ضيقاً ، إن هذه الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة ، ولو كانت تساوي شيئاً ما سقى الكافر منها شربة ماء كما في الحديث [3] . ولهذا نجد أهل الله لا يعبأون بهذه الدنيا ، ولا يهتمون بها إلا بقدر ما يعينهم على طاعة الله عز وجل .

---

١ . أما ما يقرب إلى الله من الأمور الدنيوية فلا غبار على محبته كما قال ﷺ : ((حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)) .

٢ . رواه الترمذي ج ١٢ ص ٣٢ .

٣ . الترمذي بشرح ابن العربي ٩/ ١٨٩ وقال الترمذي هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

إنه كلما مر يوم اقترب الإنسان من آخرته ، وما أسرع الوقت في المضي وبخاصة في هذه الأيام فاليوم يمضي كاللحظة وهكذا ينقضي العمر .

إن المؤمن هو أعقل الناس ولهذا يرفض أن يعيش في الشهوات لفترة قصيرة مقابل العيش أحقاباً في جهنم والعذاب ، وهذا هو عين الحكمة والبصيرة . إن الموت في نظر المؤمن لا يمثل إلا نقطة انتقال إلى حياة أخرى واسعة رحبة لا نكد فيها ولا تعب ولا نصب ، إنها دار الجزاء حيث لا عمل ، بينما هذه الدنيا هي دار العمل . ولهذا يرغب المؤمن في الإكثار من الأعمال الصالحة ، لأن الفترة المعطاة له للعمل قصيرة ، فهو يريد أن يكثر من الخيرات ، ويسابق فيها علّه يصل إلى مرتبة عليا في الآخرة . إن الإيمان بالآخرة يعطي الإنسان قوة عجيبة في التضحية والفداء ، وقصة الصحابي الذي ألقى التمرات لينتقل إلى الدار التي أحبها (الدار الآخرة) ، قصة توضح هذا المعنى وتجليه [1] ، بينما نجد منكر الآخرة ينكص عن التضحية في كثير من الأحيان ، والسبب هو أنه يخاف على أثمن ما يعتقد وجوده وهو الدنيا إذ أنه أسقط الآخرة من اعتقاده .

إن الإيمان بالآخرة يثبت دعائم النظام في الدولة . فالمؤمن بالآخرة لا يحتاج إلى شرطي يحرسه ليبقى محافظاً على القانون ، لأن السلطان الداخلي (الإيمان بالآخرة) يحرسه ، وأقرب مثال على ذلك : المؤمنون في الوقت الحاضر نجد أن المؤمن الحق لا يشرب الخمر رغم أن كثيراً من الدول لا تعاقب على شربه ، وكذا الزنا وغيره من المحرمات ، فما الذي دفع المؤمن إلى التمسك سوى الإيمان بالآخرة . إن الأخلاق الحقة لا تبني إلا على أساس من الإيمان

---

١ . حين كان في المعركة وكانت بيده التمرات فقال : بخ بخ ما بيني وبين الجنة إلا أن أدخل المعركة فمالي ولهذه التمرات وإنها لحياة طويلة ، فألقى التمرات ودخل المعركة فاستشهد .

بالآخرة ، وسيأتي بيان الأخلاق تفصيلياً ، وإن الإيمان كان وسيظل وراء هذه الأخلاق ، وإن إنكار الآخرة يجعل القلوب منكرة ، والنفوس مستكبرة يطبعها طابع الأنانية والتكالب على الدنيا ، إذ لا مجال آخر والوقت ضيق فلا بد من الحصول على كل شيء ، والقتال والنزاع والسلب والنهب إلى غير ذلك من سيء الأخلاق ، قال تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣] . فلا مجتمع صالح ولا دولة مستقرة ، ولا نظام سائر إلا إذا بني على الأخرة .

أثر الإيمان بالغيب في الطمأنينة
والسعادة وراحة الضمير
وشرح الصدر والرضا

من أهم آثار الايمان بالغيب على نفسية الفرد الطمأنينة والسكينة قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقال تعالى ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ٣ – ٤] ورأس الايمان بالغيب هو الايمان بالله تعالى ولا اطمئنان إلا به قال سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

الأمن طمأنينة تتعلق بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف عليه ، أو منه ، ولا سعادة بدونه فقد سئل حكيم ما السرور ؟ فقال : هو الأمن فإني وجدت الخائف لا عيش له [١] ، فلا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام، فأهلها في الغرفات آمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

والاطمئنان والأمان هما قمة الروح المعنوية العالية التي تلزم لكل إنسان وبخاصة أصحاب الدعوات والمهمات ، ومنهم الجنود في المعارك ، ولهذا نجد في تاريخ الإسلام

١ . الإيمان والحياة – يوسف القرضاوي ص ١٤٣ .

العسكري روحاً معنوية عالية . وتركز الجيوش في هذه الأيام على الروح المعنوية لأن النصر لا يتحقق إلا بها . إن الراحة النفسية لا توجد إلا بالإيمان بالغيب ، ولهذا يلجأ العلماء النفسانيون [1] إلى الدين كعلاج للأمراض النفسية .

إن الدين يحقق للإنسان الطمأنينة لأنه لا يترك له مجالاً من المجالات إلا ويبين له القول الحق فيه ، فلا يبقى شيء أمام الإنسان دون تفسير ، ولا يوجد أي سؤال مما أثاره الفلاسفة واختلفوا فيه إلا ولدى المؤمن إجابة واضحة مقنعة صافية يقبلها العقل ، فلا حيرة عنده ولا استفسارات ، ولهذا لا يصاب المسلم بالقلق . فالمؤمن مستريح النفس بينما نجد الإلحاد لا يحقق الطمأنينة النفسية لأتباعه لأن كثيراً من الأشياء لا يفسرها ، وإن فسر شيئاً فتفسيره غير معقول فيها . يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله عن عقيدة الإلحاد : (إنها لا ترجع ولا تستطيع أن ترجع على الإنسان بشيء من الثقة والطمأنينة النفسية ، وليس فيها ما يجيب بشيء على كثير من الأسئلة التي تخالج نفس الإنسان عندما يفكر في شئون الحياة ومتعلقاتها . وفوق هذا فإن الإنسان إذا كانت أخلاقه وأعماله قائمة على هذه العقيدة ، فإنها لا تخلو من إحدى حالتين : إذا كانت ظروفه غير ملائمة له فلا بد أن تصيبه هذه العقيدة بنوع من اليأس والقنوط والتقاعس وخور العزيمة ، لأنه عندما لا يرى في حياته نتيجة لما يؤدي فيها من أعمال البر والصلاح والخير تبرد فيه قوة العمل والجد والنشاط ، وعندما لا يجد في هذه الحياة من ينصفه من ظالم ينكسر قلبه ، وهو عندما يرى الظالمين الفاسقين في هذه الحياة يترفلون في النعيم ويستمتعون بلذات الحياة ومباهجها ، ويحرزون فيها الرقي والتقدم ، ويجمعون فيها

---

١ . اللجوء إلى الدين للعلاج النفسي فقط لا يعتبر، وإنما المطلوب في ديننا هو الاعتقاد والعمل وإن كان هذا لا يتناقض مع قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

أسباب البذخ والترف والقوة والبطش يحسب أن الشر له الحكم النافذ والكلمة المسموعة في عالم الحياة ، وأن ليس فيه الخير إلا ليكون ذلولاً مغلوباً على أمره . وعلى العكس من هذا فإن ظروفه إذا كانت ملائمة له ، جارية على هواه ، فإنه لا بد أن ينقلب إلى حيوان نهم يعبد هواه لتأثير هذه العقيدة فيه ، وإنه إذا بقي محروماً من لذة من لذات الدنيا ونعمة من نعمها ، فلا حياة له بعد هذه الحياة ليتداركها فيها إذ لا بد أن يظلم الناس ويهضم حقوقهم ويسفك دماءهم)[1]

فالمؤمن لا يقع عليه حقيقة اليأس والقنوط ، إذ أن الإيمان رصيد غير منقطع من قوة القلب وطمأنينة الروح ، فلو أغلقت أبواب الدنيا كلها في وجهه فهناك باب الله الذي لا يغلق أمام من يطرقه ، وما أجلَّ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فأي طمأنينة يعيش فيها المؤمن حين يقول له ربه : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ . إن المؤمن لا يرضى أن يتصف بصفات الكافرين ومنها اليأس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]وهو لا يقنط من رحمة الله لأن الله يقول له : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] قال الغزالي : (قال ابن مسعود الهلاك في اثنتين : القنوط والعجب) قال الغزالي : (إنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي ، والقلب القانط لا يسعى . والمعجب يعتقد أنه قد سعى والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب مستحيلة في اعتقاد القانط فمن هنا جميع بينهما)[2] .

---

١ . الإيمان . دار الخلافة للطباعة والنشر ص ٢٢٤ .

٢ . الإحياء . ربع المهلكات انظر القنوط والعجب .

ثم على ماذا يخاف الناس ؟ على الأموال أم الأرواح أم الأولاد أم الأرض ؟؟ المؤمن لديه رصيد إيماني يحول دون خوفه على هذه الأشياء ، فالرزق والأجل بيد الله ، قال تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] وعن أبي حميد الساعدي [١] قال : قال رسول الله ﷺ : ((أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما خلق له)) [٢] ، والموت بيد الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وفي حديث ابن عباس : ((واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه عليك)) [٣] وقد هدد الحجاج سعيد بن جبير [٤] بالقتل فقال له : لو علمت أن الموت والحياة في يدك ما عبدت إلهاً غيرك . فالمؤمن لا يخاف الموت . وقال يحيى بن معاذ : لا يكره لقاء الموت إلا مريب فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب .

وقيل لأعرابي اشتد مرضه إنك ستموت ، فقال : وإلى أين يذهب بي بعد الموت ؟ قالوا : إلى الله ، فقال : ويحكم وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده ؟!! .

---

١ . قال في الإصابة ٤/ ٤٧ (صحابي مشهور اسمه عبد الرحمن بن سعد قال الواقدي توفي في آخر خلافة معاوية) .

٢ . رواه ابن ماجة ٢/ ٧٢٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الحلبية .

٣ . رواه أحمد ١/ ٢٩٣.

٤ . قال في الأعلام ٣/ ١٤٥ (سعيد بن جبير الأسدي الكوفي أبو عبد الله تابعي حبشي الأصل ولد عام ٤٥ هـ وتوفي عام ٩٥ هـ تتلمذ على عبد الله بن عباس وكان ابن عمر يقول : إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه : أتسألوني وفيكم ابن أم الدهماء ؟ يعني سعيداً) .

قال الشاعر :

وما الموت إلا رحلة غير أنها ... من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر

ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

والأولاد والأموال والأراضي كلها لله ولهذا كان دعاء التعزية (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب)[1] وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] . إن المؤمن لا يعاني مما يعاني منه الناس من اضطرابات نفسية وقلق وخوف ، وهذا كله انطلاقاً من عقيدة . فعقيدة الإيمان بالله فرغت قلب المؤمن من الخوف من غيره سواء كان بشراً أو حيواناً أو مخلوقاً آخر.

لقد اختلف المؤمن عن غيره لاختلاف العقيدة والميزان . فغير المؤمن كل همه الدنيا والمال والمنصب والجاه والسمعة ، وهذه كلها وما شابهها لا قيمة لها عند المؤمن لأن همه الأكبر رضى ربه عز وجل .

إن سعادة المؤمن ليس لها مثيل ، يقول أحد المؤمنين : (نحن في سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها)[2] وقيل لعبد الله بن المبارك[3] : من الملوك ؟ قال : الزهاد ، قالوا فمن

١ . البخاري مع الفتح ج ٣ ص ١٥١ .

٢ . أنظر (الإيمان والحياة) للدكتور يوسف القرضاوي ص ٨١ .

٣ . قال في الأعلام ج ٤ ص ٢٥٦ (عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف . ولد عام ١١٨ هـ وتوفي بهيث على شاطىء الفرات عام ١٨١ هـ . له كتاب في الجهاد) .

السفلة ؟ قال : الذين يأكلون بدينهم . قالوا : فمن سفلة السفلة ؟ قال : الذين يصلحون دنيا غيرهم بتضييع دينهم[1] .

ومما يطمئن المسلم أنه يعلم أن هذه الدنيا ليست النهاية ، والجزاء ليس على هذه الأرض بل إلى الله المنتهى . إن أعصاب الإنسان بحاجة إلى الراحة ، ولا راحة إلا بالإيمان وكم من شخص فقد السيطرة على أعصبه فجن ، أو انتحر أو انفجرت دماغه أو أصيب بمرض القلب أو غيره ، إن المؤمن مرتاح من هذا كله .

إن المؤمن مشغول بما يسعده ويطمئنه ، إنه مشغول بالدعوة إلى الله ، وكم سيكون فرحه حين يهتدي إنسان على يديه فيشعر بسعادة لا حد لها إذ يتذكر قول نبيه ﷺ : ((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))[2] ومما يجلب السعادة للمسلم أنه يؤمن بالقدر كما سبق بيانه فلا يحزن على نقص ولا يبطر لزيادة في الماديات .

إن الثقة بالله تجعل المؤمن مطمئناً إلى ربه ، وهذا من أهم عوامل السكن النفسي . إن المؤمن يشعر بالسكينة لأن طريقه وغايته واضحة . وفرق بينه وبين ضال لا يدري لماذا يسير وإلى أين المصير ، فهو يمشي إلى غير غاية ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢] . إن السكينة لا تكون إلا من الله قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] . إنها السكينة التي عمرت قلب رسول الله ﷺ يوم الهجرة ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] وفي المعركة تنزل السكينة ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

---

١ . أنظر (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) ص ٩٥ ط ١ للدكتور عبد الله عزام .

٢ . أنظر البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ١١١ .

ﱡﭐﲘﱠ [الفتح: ٢٦] . إن الناس جميعاً كلهم يحلمون بالسعادة ، الفيلسوف في قمة تفكيره ، العامي في سذاجته ، الملك في قصره ، الصعلوك في كوخه ، كلهم يحلمون بالسعادة ويتمنونها لكنهم لا يصلون جميعاً إليها ، بل الأكثر يسلك طريقاً يبعده عن السعادة . لقد وقفوا أمام طرق ، على كل طريق لافتة ، إحداها الإيمان ، وأخرى المال ، وثالثة المنصب ، ورابعة الأولاد [١] وهكذا ، فسلك كل قسم طريقاً ولم يبق لطريق الإيمان إلا قلة قليلة ، ومع هذا فلن يصل الآخرون الكثيرون إلى السعادة ، لأنهم لم يثقوا بربهم الذي خلقهم وخلق السعادة . إن الناس حقيقة لا يبحثون عن الشقاء ، لكنهم يهمون ويظنون ويستسلمون لطرق الهوى قال ﷺ : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) [٢] إن السعادة ليست بالمال وإن كان المال يساعد على السعادة بشرط الإيمان ، ولهذا قال تعالى عن غير المؤمنين : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ﴾[التوبة: ٨٥] . وكثير من الأغنياء يعيشون في تعاسة من أمرهم . إنهم مشغولون بعد أموالهم ؟ ماذا سيصنعون بهذا المال ؟ إنهم يخافون اللصوص ؟ وقد يكونون جمعوه من الحرام . قد يصاب بعدم القناعة فعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له وادياً آخر ولن يملأ فاه إلا التراب ، والله يتوب على من تاب)) [٣] . ليس للغني معدة أكبر من معدة الفقير ، بل على العكس ، إن الغني يضع على مائدته ما لذ وطاب ، ولكن إذا حضر الأكل فإنه يتناول من طعامه كما تتناول الدجاجة من طعامها نقراً ولسعاً ثم يلقي أكثر الطعام في القاذورات .

---

١ . المقصود بالمال والمنصب والأولاد التي تبعد عن طاعة الله . أما التي تقرب فهذه تدخل في الإيمان .

٢ . رواه مسلم ط ١ ج ٤ ص ٢١٧٤ .

٣ . رواه مسلم ط ١ ج ٢ ص ٧٢٥ .

بينما الفقير إذا حضر أمامه صحن واحد بعد تعب وكد فإنه يتناوله فلا يبقي فيه لأنه أكل بتعب وعرق جبين [1]

إن الإيمان لا يرفض المال ، ولا الدنيا ، ولكنه يعتبرها بعد الإيمان ، وبدون ايمان لا تساوي شيئاً ، إن المؤمن يرفض أن يستبدل بدينه الدنيا كلها لأن إيمانه أثمن من ذلك ، بل لا وجه للمقارنة . أما إذا حضر الإيمان فلا مانع أن يأخذ الإنسان من الدنيا ما يساعده على الطاعة والاستقامة ، ولهذا ورد في الحديث الذي يرويه نافع بن عبد الحرث قال : قال رسول الله ﷺ : ((من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والمسكن الواسع)) [2] .

إذن فالمال إن لم يكن لفعل الخير وطاعة المولى فلا فائدة منه سوى تعب البال ، لأن السعادة ليست فيه ولا في المنصب الذي يأتي بالمال ولا الجاه ، فماذا يستفيد الإنسان من حصوله على الجاه ، إنه مجرد الذكر . وأي نوع من الذكر ؟ قد يكون ذكراً بالشر . أما المؤمن فله ذكر بين الناس ، ولكنه لا بماله ولا بمنصبه بل بإيمانه ، وكم من أصحاب الجاه والمال والسلطان مكروهون بين الناس وما أكثرهم ؟! وكم من مستور الحال يعيش عزيزاً بين الناس يذكره من يعرفه بالخير ويجلونه ويحترمونه ؟ .

---

١ . وماذا عن نوم الغني ، إنه مصاب بالأرق بينما الفقير يرتمي على فراشه من التعب لا يدري متى نام . وبالنسبة للجنس فهل بالمال يصبح للغني طاقة جنسية أكثر وأقوى ؟ لا .

٢ . رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٤٠٧ .

إن السعادة شيء في النفس لا يوجدها إلا الإيمان ، حيث يجلب لها الطمأنينة والسكينة ، يقول أحد الصالحين : إنه لتمرّ عليّ ساعات أقول فيها لو كان أهل الجنة بمثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذن في عيش طيب[1].

إن شجرة السعادة ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها الإيمان ، وكثيرون هم الحيارى في هذه الدنيا حيث بعدوا عن الإيمان ، ويقول أحد صرعى الاضطراب النفسي : (إنني أعيش في خوف دائم ، في رعب من الناس والأشياء ورعب من نفسي ، لا الثروة أعطتني الطمأنينة، ولا المركز الممتاز أعطانيها ، ولا الصحة ولا الرجولة ولا المرأة ولا السهرات الحمراء ، ضقت بكل شيء بعد أن جربت كل شيء ...)[2] وعبر بعضهم عن صرعى الفلسفة فقال :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم[3]

وقال أحدهم معبراً عن قلقه وعدم اطمئنانه :

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

---

١ . أنظر زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ١٥٢ .

٢ . أنظر (الإيمان والحياة) للدكتور القرضاوي ص ٤٣ .

٣ . المرجع نفسه ص ٩٧ .

وقال ابن الشبل البغدادي :

بربك أيها الفلك المدار   أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟

فماذا الامتنان على وجود   لغير الموجدين به الخيار

وكانت أنعماً لو أن كونا   نخير قبله أو نستشار

وقال :

قبح الله لذة لأذانا   نالها الأمهات والآباء

نحن لولا الوجود لم نألف الفقد   فإيجادنا علينا بلاء

وقال عمر الخيام[1] :

لبست ثوب العمر لم أستشر   وحرت فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضو الثوب عني ولم   أدر لماذا جئت ؟ أين المفر ؟

---

١ . قال في الأعلام ج ٥ ص ١٩٤ : (عمر بن ابراهيم الخيامي النيسابوري أبو الفتح شاعر فيلسوف فارسي ولد في نيسابور وتوفي فيها عام ٥١٥ هـ كان عالماً بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ . له مصنفات منها الرباعيات . قدح الناس في زمنه في عقيدته) .

قال أبو العلاء المعري [1] :

نفـارق العـيش لم نظفـر بمعرفـة ... أي المعـاني بأهـل الأرض مقـصود

لم يعطنا العلم أخبـاراً يجيء بهـا ... نقل ولا كوكب في الأرض مرصـود

ويقول :

أصبحت في يومي أسائل من غدي ... متحـيراً عــن حالــه متندســاً

أمــا اليقــين فــلا يقــين وإنــما ... أقصى اجتهاد أن أظن وأحدسا[2]

ويقول :

سألتموني فأعيتني أجابتكم ... من ادعى أنه دارٍ فقـد كـذبا

ويمتنع عن الزواج حتى لا يحطم أولاده ويقول :

وأرحت أولادي فهم في نعمة الـ ... ـعدم التي فضلت نعيم العاجـل

---

١ . قال في الأعلام ج ١ ص ١٥٠ : (أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري شاعر فيلسوف ولـد عِـام ٣٦٣ هـ بمعرة النعمان وتوفي فيها عام ٤٤٩ هـ . أصيب بالجدري فعمي وعمره أربع سنوات . لـه كتـاب (لـزوم مـا لا يلـزم، وسقط الزند وغيرها)) .

٢ . أنظر الأشعار السابقة ص ٩٨ وما بعدها في كتاب (الإيمان والحياة) للقرضاوي .

وحديثاً قال إيليا أبو ماضي في قصيدته التي سماها الطلاسم :

حيث لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فمشيت [1]

إن المؤمن بعيد عن هذه الأمراض ، بل هو في سعادة مستمرة حيث أنه في معية الله عز وجل قال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقد قرر المختصون في الأمراض النفسية أن الشعور بالوحدة قد يؤثر آثاراً عضوية على جسم المصاب وحركاته وتصرفاته يقول د . موريس جوبتهيل مدير إدارة الصحة العقلية بنيويورك : (إن مرض إحساس الإنسان بوحدته لمن أهم العوامل الأساسية للاضطرابات العقلية) ، وقرر هؤلاء الأطباء أن أفضل علاج هو اللجوء إلى الله يقول د. فرانك لوباخ العالم النفسي الألماني : (مهما بلغ شعورك بوحدة نفسك فأعلم أنك لست بمفردك أبداً فإذا كنت على جانب من الطريق فسر وأنت على يقين من أن الله يسير على الجانب الآخر) [2] ويقول الكسيس كاريل : (إن الصلاة التي تعقبها تأثيرات عضوية ذات طبيعة خاصة فهي أولاً لا تهتم بالذات إذ يقدم الإنسان نفسه فيها لله ..) [3] ويقول : (أما فكرتنا الحالية عن تأثير الصلاة على الأمراض

---

١ . أنظر ص ١٩٣ كتاب إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر . شعر ودراسة للشاعر الفقيد زهير ميرزا ط ٢ ١٨٨٣ م

٢ . ونحن اذ نستشهد بهذا الكلام لتأكيد ما نريد فإننا نلحظ عدم وضوح الفكرة الإلهية عندهم ففي كلام هذا الألماني نجد تشبيه الخالق بالمخلوق .

٣ . أنظر (الإنسان ذلك المجهول) للدكتور ألكسيس كاريل . تعريب شفيق أسعد فريد مؤسسة المعارف ص ١٧١ .

الباثولوجية فقائمة على ملاحظة المرضى الذين شفوا فوراً تقريباً من الأمراض المختلفة [1]

ويقول ديل كارينجي : إن للصلاة فوائد ثلاث :

(أ) تعين على التعبيرات بأمانة ودقة عما يشغل النفس .

(ب) لا تشعر بالوحدة .

(جـ) حافز إلى العمل [2]

وهذا يذكرنا بقوله ﷺ : ((يا بلال أرحنا بالصلاة)) [3] وقوله : ((وجعل قرة عيني في الصلاة)) [4] .

ان الحزن قد يصيب المؤمن ولهذا نهى الله تعالى رسوله عن الحزن على الكافرين بقوله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧] ، وقوله﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يونس: ٦٥] لكن حزنه لغيره لا لنفسه ، ولآخرته لا لدنياه ، وإن حزن للدنيا فهو عارض ، أما المرتاب فهو في مأتم مستمر[5] . وفي الحديث (من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ومن سعادة ابن آدم

---

١ . المرجع السابق ص ١٧٢ .

٢ . أنظر ص ٣٠١ دع القلق وابدأ بالحياة . لديل كارينجي ولد عام ١٨٨٨ م في ولاثة ميسوري بأمريكا وهو من الأثرياء.

٣ . رواه أحمد ٥/ ٣٦٤ .

٤ . رواه أحمد ٣/ ١٢٨ .

٥ . أنظر الايمان والحياة ص ١٢٢

رضاه بما قضى الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل)[1].

الراحة لا تكون الا بالايمان وبدونه يكون القلق والاضطراب ، وها نحن نجد أهل السويد في رغد من العيش المادي لا نظير له(دخل فردي عال، تأمينات صحية واجتماعية، تعليم مجاني ، لكل مواطن معاش وسكن، اعانات للامهات ، تنفق الضرائب في المساعدات) لكنهم لا يعيشون في سعادة ، بل قلق واضطراب وضيق وتوتر وشكوى وسخط وتبرم وانتحار وكذلك أمريكا.

ولو استعرضنا الموضوعات[2] التي تبحثها كتب الأمراض النفسية لوجدنا أن الإيمان هو العلاج للمشاكل التي يعدها علماء النفس معضلات لا تحل إلا بصعوبة ، فلا بد من الطبيب المختص والعيادات، وهذا غير مرفوض ، لكنه بدون دين لا يساوي شيئاً فالدين أقصر وأسرع للعلاج.

والمؤمن لا يتحسر على الماضي ، ولا يسخط على الحاضر، ولا يخاف من المستقبل ، فهو لا يتعامل ب(لو) و(ليت) لأن في هذا تعباً للنفس ، ولهذا ينصح النفسانيون والاجتماعيون والتربويون أن ينسى الإنسان آلام أمسه،وقد سأل محاضر في جامعة أمريكية طلبته: من منكم

---

١ . رواه أحمد في المسندج ١ ص ١٦٨ .

٢ . في كتاب أسس الصحة النفسية لعبد العزيز القوصي ط ٥ مكتبة النهضة ، نجد الموضوعات التالية : البيئة والوراثة، الجسم والعقل، الانفعالات، العاهة، الدوافع، الغرائز، الصراع والكبت، النجاح، الشره، القيء، الغيرة، الكذب، الجنس، الأحلام، الطفل وأخواته، النطق وصعوباته.

مارس نشر الخشب ؟ فرفع الكثيرون أصابعهم، ثم سأل من منكم مارس نشارة النشارة؟ فلم يرفع أحد أصبعه[1] فالنشارة لا تنشر والطحين لا يطحن والماضي لا يعود.

ولهذا كان مبدأ الإسلام واضحاً قال تعالى﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾[الحديد: ٢٣] وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)[2].

ان المؤمن يشعر بالسعادة لإيمانه بربه ومما يزيد في سعادته أن الله عز وجل يريه من آياته، فها هو نبي الله داود عليه الصلاة والسلام تؤمر الجبال أن تسبح معه وكذلك الطير، قال تعالى﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ ﴾[سبأ: ١٠] وقال﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَ ﴾[الأنبياء: ٧٩]

وما أروعها من حالة لا تصفها الكلمات من السعادة حين يتغنى داود عليه السلام بذكر ربه فتردد الجبال والطير تسبيحه ، وكأنه أنشودة كونية في تسبيح الإله.

إن الكافر لا يشعر بالسعادة أبداً بل هو في عذاب نفسي مستمر ، وهو ما يسميه الناس عذاب الضمير ، إذْ يصاب به الإنسان كلما اقترف سيئة وإنْ كان بعض الناس قد وصل إلى درجة استعذاب المعصية والمنكر، وهؤلاء قلة ، لكن الأكثر كلما عمل عمل سيئاً تألم نفسياً ، وهذا بالطبع لمن لا تزال في نفسه بقية من خير. وهذا الضمير أحسن ما يكون عند المؤمن ،

١ . ص ١٧٢ دع القلق وابدأ بالحياة. ديل كارنجي

٢ . رواه مسلم ج ٤ ص ٢٠٥٢.

وهذا ما ذكره سبحانه بقوله ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة: ٢] ، وقد اعتمدها الإسلام في تربية افراده قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ.... لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ ﴾[المائدة: ٩٤_٩٥] ، وقال أيضاً ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ ﴾[المجادلة: ٧]

وقال ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ..... ﴾[الملك: ١٣] ، وحكي أن هذا الصيد الذي ابتلاهم الله به كان يطوف بخيامهم ومنازلهم وهذا هو الابتلاء. والحكمة منه هي قوله تعالى ﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[المائدة: ٩٤] ، بينما نجد اليهود أصحاب السبت لم ينجحوا في الابتلاء.

ومن مظاهر السعادة النفسية عند المؤمن ، شراح صدره بينما الكافر صدره ضيق وينطبق عليه قول الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد سُئل سولﷺعن قوله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ.... ﴾ الزمر: ٢٢]

فقال (إن النور إذا دخل في القلب اتسع وانفسح)[1]. قال النيسابوري على هامش الطبري:قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [الأنفال: ٢] ، كلما ارتفع

---

١ . ذكره القرضاوي في (الايمان والحياة) ص ١٠٤ وهو عند الطبري عند قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ، وضعفه المحقق.

حجاب ازداد نوراً فيتقوى[1]. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أسباب شرح الصدر نلخصها فيما يلي:

١. التوحيد على حسب كماله ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام: ١٢٥]

٢ . النور الذي يقذفه الله في قلب العبد فقد روى الترمذي[2] في جامعه عن النبي ﷺ أنه قال (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ، قالوا وما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، فيصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور.

٣ . العلم الموروث عن الرسول ﷺ

٤ . دوام ذكر الله تعالى.

٥ . الإنابة إلى الله تعالى.

٦) الإحسان إلى الخلق ، وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا للبخيل والمتصدق فقال : (مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تختفي بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع)[3].

---

٢ . أنظر ص / ٤٠.

٢ . قال في الأعلام ٧/ ٢١٣ (محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي أبو عيسى من أئمة الحديث وحفاظه من أهل ترمذ تتلمذ على البخاري ولد ٢٠٩ هـ وتوفي بترمذ ٢٧٩هـ له الجامع الكبير في الحديث والشمائل النبوية وغيرها) .

٣ . البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠٥.

٧) الشجاعة

٨) إخراج دخل القلب

٩) ترك فضول الكلام والنظر والمخالفة والأكل والنوم[١] .

ومن آثار الايمان النفسية الرضا وهو باب الله الأعظم ومستراح العابدين ، إن أهل الرضى لا يشعرون بالألم على ما فات، إنهم يرضون بما كتبه الله لهم.

وليس المقصود بالرضى أنهم يرضون بالكفر بل لا يرضونه لأن الله لا يرضى لعباده الكفر. إن المؤمن لا يندم ولا يتحسر ولا يلتفت للوراء ولا يعترض بل لسان حاله قول ابن القيم رحمه الله:

وإذا اعتراك بلية فاصبر لها	صبر الكريم فإنه بك أكرم
واذا شكوت لابن آدم إنما	تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم [٢]

وما أحلى قول عمر رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما أركب)

ويقول الشافعي رحمه الله:

أنا إن عشت لست اعدم قوتاً	وإذا مت لست أعدم قبراً

---

١ . أنظر زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٥٢.

٢ . الإيمان لمحمد نعيم ص ١٠٦ وبعدها.

همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفراً

وإذا ما اقتنعت بالقوت عمري فلماذا أخاف زيداً وعمراً

إن المؤمن الراضي مطمئن على حاضره ومستقبله، أما الساخط فهو كما قال ابن القيم: قل أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه ، وإن كان لا يشعر به ، فهو دائم الحزن والكآبة ، ضيق الصدر ، ضيق الحياة ، ضيق بنفسه وبالناس وبكل شيء كائن ، الدنيا على سعتها في عينه سَمٌّ الخياط ، والساخط يسخط على كل شيء، على الناس، على نفسه ، على الدهر ، وقديماً قالوا: من غضب على الدهر طال غضبه.

إن الساخطين والملحدين لمسوا أثر الإيمان، لكن عنادهم الصريح جعلهم يستكبرون قال بعضهم: إن الدين خرافة لا تستقيم الحياة إلا بها[1] . ويقول آخر: إنه وهم لا بد منه، ويقول ثالث لو لم يكن الله موجوداً لوجب علينا أن نخترعه.

ويقول فولتير الفرنسي(لم تشككون في الله ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي)[2]

إن المؤمن يرتفع بقيمته، ويتقن عمله ، ويشكل نفسه وحياته وفق مراد الله ، أما المادي فهو يهوي بقيمته إلى حضيض بعيد.

إن المؤمن في اطمئنان وراحة ، أما غيره ففي ضياع وتيه لا يدري ماذا يعمل ، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

١ .أنظر الإيمان والحياة للقرضاوي ص ٢٣١ .

٢ . المرجع السابق.

إن أخلاق الكافر تقوم على الأثرة والأنانية وحب الذات، ولا يكون الإثم والشر والذنب إلا عبارة عن الخسارة المادية الدنيوية، وهكذا انقلبت الموازين عند الكافر.

إن طريق الكافر طريق شهوات فما عليه إلا أن يرخي جسمه للأمواج التي ستأخذه إلى أي مكان . أما المؤمن الذي يريد مكاناً مخصوصاً وهو الجنة فلا بد أن يقاوم الأمواج ويسبح بمهارة لينجو من الغرق ومن خطر ابتلاع الحيتان له. إن طريق الجنة شاق على النفس ، ذكر وفكر وتوحيد وتوكل وخوف ورجاء ، أما الكافر فطريقه اختلاط وشهوات وزنى ونساء وتبرج ومحرمات.

((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[1]

إن المؤمن بعيد النظر واسع الأفق، الإيمان يوسع وجهة نظر الإنسان على قدر سعة مملكة الله غير المحدودة. ألا ترى أن الإنسان ما دام لا ينظر إلى الدنيا إلا على اعتبار علاقة نفسه فإنما يكون نظره محدوداً بالدائرة الضيقة التي تكون محدودة بها، إنه لا يبحث عن قاض لحاجته إلا في هذه الدائرة، ولا يخشى إلا الأقوياء في دائرته ويتكبر على الضعفاء فيها ، ولكنه اذا آمن خرج من الدائرة وتغيرت الموازين واتسع النظر ، وليس الذي يسكن قصرا كمن يسكن صندوقاً .

ونظرة المؤمن إلى القوى المنطقية نظرة صائبة إذ يراها جنداً من جنود الله مسخرة تطيع ربها قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، أما غير المؤمن فيراها عدوة ولهذا نجد في عباراته الخوف كقولهم : (تحدي الطبيعة ، قهر الطبيعة، السيطرة عليها)، ثم

---

١ . رواه مسلم ط ١ ج ٤ ص ٢١٧٤ .

إن الإيمان يدفع إلى العمل الصالح ، وهو سبب نزول بركات السماء كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] بينما الكفر يجعل صاحبه بعيداً عن الصالحات ، واقرأ إن شئت قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ... ﴾ [التوبة: ١٨] وقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ... ﴾ [الماعون: ١-٣] وقوله : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥] . إن الذي يترك الإيمان يحرم نفسه من الهداية في الدنيا ويوقع نفسه في شقاء الآخرة وسيطرة الدجالين والمشعوذين والمستبدين في الدنيا .

إن غير المؤمن يعيش كالحيوان يأكل ويعيش ويشري وهذا كل همه ، وهو يفسد في الأرض لأنه استعمل نفسه في غير ما خلقه الله له وهو العبادة قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] . إن الكافر متعلق بالدنيا وزخارفها ومن أجلها يقتل الأخ أخاه والابن أباه ، ويخون أمانته ، وينكث عهده ، ويقوم بكل ما هو باطل ، والذي دفعه لهذا حب الدنيا فحبها رأس كل خطيئة ، وقد ورد عن الرسول ﷺ : ((اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ..)) [1] ولهذا حض الإسلام على الاجتهاد في طلب الآخرة ، ووصف المؤمنين بقوله : ﴿ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] ، والدنيا لا تساوي شيئاً عند الله ،

---

١ . رواه الترمذي ١٢/ ٣٢ .

ولو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها شيئاً ، ففي الحديث عن سهل ابن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء))[1]

أثر الإيمان في أخلاق الفرد

يقول ﷺ : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[2] ووصف الله عز وجل رسوله بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] . لقد جاء الإسلام وهذب أخلاق أتباعه بغرس الإيمان في قلوبهم ، وإنما يظهر الدين والإيمان بأخلاق اتباعه في التعامل مع غيرهم من الناس وفيما بينهم . وللإيمان آثار عظيمة كثيرة يعصب حصرها ، وقد ذكرنا طرفاً من هذا الموضوع عند حديثنا عن الضرورة الأخلاقية للإيمان بالغيب . وإذْ نذكر الآن أثر الإيمان في أخلاق الفرد نستعرض بعضها وإليك بيانها :

أولاً : التحرر

إن أول ما يتخلق به المؤمن بعد إعلانه العقيدة العظيمة بنطقه الشهادتين هو خلق التحرر ، فهو يتحرر من القيود لغير الله سواء كان صنماً حجرياً أو بشرياً أو مبدأ هداماً أو هوى متبعاً . إنه لا ينحني إلا لله سبحانه وتعالى ، فلا ينحني لأية قوة على ظهر الأرض . وكيف

---

١ . رواه الترمذي ١٠ / ١٩٨ وقال هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

٢ . رواه احمد في المسند ٢/ ٢٨١.

يذل لعبد مثله وهو يراه خلق من نطفة مذرة ، ومصيره أن يكون جيفة قذرة ، وخلال حياته يحمل العذرة . كيف لعبد خلق من ماء مهين ، أو تراب حقير بينها يترك عبادة الرب العظيم . وما أروع جواب ربعي بن عامر حين سئل عن سبب مجيئهم فقال : جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .

إن الإسلام يرفض أن يذل المسلم لغير الله ، وهذا جزء هام من العقيدة الإسلامية ، وقد شنع القرآن على المشركين لأنهم مقيدون لا يملكون الحرية الحقيقية لأن الحرية الحقيقية لا تكون إلا بالعبودية لله وحده .

ثانياً : الرحمة

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فالله عز وجل لم يرسل رسولاً إلى البشر إلا رحمة بهم ، وهو سبحانه أرحم بعباده من الأم بطفلها ، ففي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي ، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ : ((أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها)) [1] . ولهذا كان الإيمان الذي يريده رب العالمين غارساً الرحمة في نفوس المؤمنين ، فقلب المؤمن حي مرهف رجيم مستمد رحمته من رحمة الله له ، وهو محتاج إلى رحمة الله ، ولهذا رحم الضعفاء لقوله ﷺ : ((إرحموا من في الأرض يرحمكم من في

---

١ . البخاري مع الفتح ١٠/٤٢٦ .

السماء))[1]، ورحمة المؤمن تفيض حتى على الحيوان ، ففي الحديث إن رجلاً لقي كلباً عطشا (فسقى الكلبَ فشكر اللهُ له فغفر لـه)[2]. ومـن مظـاهر الرحمـة الـصدقة وإطعـام الطعـام ومساعدة المحتاج وإماطة الأذى من الطريق والوقف ، وقد كان في تاريخ الإسـلام (وقـف الزبادي ، ووقف الكلاب الضالة ، ووقف الأعراس ، ووقف الغاضـبات ، ووقـف مـؤنس المرضى والغرباء ، ووقف خداع المريض)[3]ومن مظاهر الرحمة ، الرحمة بالأولاد والـصغار فعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ((تقبلون الـصبيان ؟ فـما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة))[4]، ومن مظاهر الرحمـة سقاية الظمآن وإطعام الجائع وكسوة العريان وإيواء الغريب وعلاج المريض وتعليم الجاهل وغير ذلك . وبالمقابل فإن الكفر يثمر الغلظة والقساوة ، وهاهو فرعون يتكبر ويتجبر ويقتل الأطفال خوفاً على ملكه . وها هو نيرون يحرق روما بكاملها وها هم أقطاب الـشيوعية قـد نزعت الرحمة من قلوبهم ، يقول لينين في بعض رسائله إلى مكسيم جوركي (إن قتـل ثلاثـة أرباع العالم يهون في سبيل أن يصبح الربع الباقي شيوعياً) ، وتاريخ الشيوعية ومـذابحها في البلاد العربية والإسلامية أمر معروف ، وقد أعدم ستالين أعـضاء المجلـس الـذين انتخبـوه

---

١ . رواه الترمذي ٨/ ١١١ –وقال هذا حديث حسن صحيح .

٢ . رواه مسلم ٤/ ١٧٦١ ط ١ .

٣ . أنظر الايمان والحياة للقرضاوي ص ٢٥٠ . الوقف والحبس كلاهما بمعنى واحد بل هو لله يستفيد منه كل النـاس ، فمثلاً وقف الزبادي كان المسلمون يتبرعون بالزبادي حيث تجمـع في مكـان واحـد خـاص ، فـإذا أرسـلت أم طفلهـا ليشتري شيئاً ومعه شيء من الزبادي فكسر ما معه في الطريق فإنه يعطي بدلاً من الوقف حتى لا تضربه أمه ، وهنا تبـدو الرحمة في مجتمعنا .

٤ . البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٢٦.

وأعدم وزراء لينين ، وأعدم ثمانين بالمائة من سكرتيري اتحادات العمال ، وأعدم خمسة عشراً عضواً من أصل سبعة وعشرين من لجنة وضع دستور عام ١٩٣٦م ، وأعدم ثلاثة وأربعين سكرتيراً من أصل ثلاثة وخمسين شخصاً وهم الذين يشرفون على تنظيم الحزب . وأعدم سبعين من أصل ثمانين عضواً من أعضاء مجلس الدفاع السوفييتي وثلاثة مارشالات من خمسة في الجيش الأحمر ، وتسعة وزراء من أحد عشر وزيراً الذين يتألف منهم مجلس الوزراء عام ١٩٢٦ م ، وأعدم ستين بالمائة من قادة الجيش وثلاثين ألف موظف[1] بينما نجد الرحمة عند قادة الإسلام ، وها هو رسول الله ﷺ يوصي قادة الجيوش بأدب الحرب ، بألا يقطعوا شجراً ولا يقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً . وها هو عثمان بن عفان يرفض أن يقاتل الخارجين رغبة في عصمة دم المسلمين . إن الرحمة من آثار العقيدة ، عقيدة الإيمان بالله تعالى، ومن أسماء الله تعالى الرحمن الرحيم ، وعلى المسلم أن يتخلق بخلق الرحمة ، بل يبدأ المسلم عمله بقوله بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا لم يبدأ بها فعمله أبتر .

وها هو المؤمن يذل لوالديه طاعة لربه الذي أمره بذلك بقوله ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[الإسراء: ٢٤] فهذا الذل محبوب ومطلوب ، لأنه لم يبن على أساس من الضعف والخور بل على أساس يحبه الله وهو الرحمة . وسمت الرحم بذلك حيث لا بد من الرحمة تجاهها وهي معلقة بعرش الرحمن سبحانه وتعالى .

---

١ . لقد تناقص عدد المسلمين في روسيا (٢٦) مليوناً في مدة ربع قرن ، بمعدل المليون ونيف سنوياً ، ونقص في يوغسلافيا مليون مسلم (أنظر العقيدة وأثرها لعبد الله عزام ص ٩١ .)

ثالثاً : الصبر

قال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٦ – ١٢٧] .

إن عقيدة المؤمن في القضاء والقدر هي من أهم دواعي الصبر ، وإن صفة الرضا السالفة الذكر ملتصقة التصاقاً وثيقاً بالصبر ، فإذا صبر الإنسان فقد رضي . وقد كان صبر الصحابة على البلاء الذي وقع بهم شيئاً عجيباً وكلنا يعرف ما جرى لآل ياسر وغيرهم . يقول أبو محمد الحريري : (الصبر أن يطرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما)[1] ولقد تحلى يعقوب عليه السلام بالصبر الجميل حين قال حكاية عنه (﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ٨٣] على فقد ولده يوسف عليه السلام وأخيه . إن جزاء الصابرين بغير حساب قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] وإن الصبر درجات ، كل يصبر حسب إيمانه . إن المؤمن الحق لا يستطيع مصائب الدنيا وآلامها ومضارها وخسائرها أن تزل قدمه ، لأنه على ثقة بالله ، فكل مصيبة تهون ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾[الشرح: ٥ – ٦] ، فقد كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر أن جموعاً من الروم يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر بن الخطاب أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل يجعل الله بعده فرجاً ، وإنه ليغلب عسر يسرين[2] وكما قال أحد الصالحين : ما أصبت في دنياي إلا رأيت لله فيها ثلاث نعم : أنها لم تكن في ديني ، أنها لم تكن أكبر منها ، وإنني أرجو ثواب الله عليها .

---

١ . الإيمان لمحمد نعيم نقلاً عن عدة الصابرين .

٢ . الموطأ ص ٢٩٥ / ٢٩٦ دار النفائس ط ١ .

رابعاً: الصدقة

إن المؤمن بالأخرة وما عند الله يترجح عنده جانب العطاء، وبخاصة إذا اتضح عنده أن ما يملكه هو من عند الله وأنه مجرد مستخلف فيه، ولهذا عبر القرآن عما للفقير في مال الغني بأنه ليس مجرد عطف بل هو حق قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥] إن المؤمن يعتقد أن المال لا ينقص بالتصدق، بل يزيد ويبارك الله فيه، قال ﷺ: ((ما نقص مال من صدقة))[١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الأخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً))[٢] وعنه رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ((يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا وكذا وقد كان لفلان))[٣] وها هو أبو الدحداح[٤] يدفعه الإيمان لإنفاق ماله لأن الله تعالى يقول: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل: ٩٦]، فعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح يا رسول الله: إن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرنا يدك، قال: فناوله يده، قال: أقرضت ربي

---

١. رواه مسلم ٤/ ٢٠٠١ ط ١.

٢. البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠٤..

٣. البخاري مع الفتح ٣/ ٢٨٤-٢٨٥.

٤. قال في الإصابة ٤/ ١٩٣ (ثابت بن الدحداح الأنصاري يكنى أبا الدحداح وأبا الدحداحة، توفي يوم أحد وقيل جرح ثم توفي وقد قتله خالد بن الوليد).

حائطي ، وحائطه فيه ستمائة نخلة ، فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله ، فنادى يا أم الدحداح . قالت : لبيك، قال أخرجني فقد أقرضته ربي . وفي رواية فقال رسول الله ﷺ كم من عذق لأبي الدحداح في الجنة)) [1] . وهذا هو ثمرة قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ونهاهم عن البخل ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن مالك أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاة لها أعطيه إياه، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت : أعطه إياه ، قالت : فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا شاة وكفتها ، فدعتني عائشة أم المؤمنين فقالت : كلي من هذا ، هذا خير من قرصك [2] .

خامساً : العمل

والمؤمن يعلم أن أيامه على الأرض محدودة ، فهو في عمل مستمر ليصل إلى رضوان الله ، إذ يعمل ليحصل على الأجر من الله تبارك وتعالى . ويحصل هذا الأجر بإخلاص النية فيكون العمل الدنيوي عبادة للمؤمن في ميزان الله تبارك وتعالى .

وهو إذْ يعمل يحسن العمل ويتقنه ويخلص فيه ، لأن الله تبارك وتعالى يحب ذلك . إن المؤمن يهتم بالعمل لأنه يعلم أن الله سائله عن عمره فيم أفناه ؟ ففي الحديث عن عبد الله بن

---

١ . أنظر مجمع الزوائد ٩/ ٣٢٤ وقال رواه أبي يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال صحيح .

٢ .الموطأ ص ٧٠٤ دار النفائس ط ١ .

مسعود عن النبي ﷺ قال : ((لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم)) [1] وفي رواية أخرى عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه)) [2]

فالمؤمن يضن بوقته أن يضيع في حرام أو عبث ، لأنه رأس ماله وقد قيل (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما) . فالإيمان لا يعطل العمل بالدنيا بل يحض عليه شريطة أن يكون العمل في الحلال والبحث عن رضى الله تعالى فيه ، وأن لا يلهي عن الآخرة بل يقرب إليها .

إن المؤمن يسخر الدنيا لنفسه ولا يسخر نفسه لها ، وما أجمل الدعاء القائل : (اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا) .

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ صناعاً وتجاراً ولم يقعد بهم إيمانهم عن العمل ، بل قال لهم رسولهم ﷺ : ((إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)) [3] وقال عمر رضي الله عنه : (أرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لي ليس له عمل سقط من عيني) ورأى رجلاً في المسجد فقال له ماذا تصنع ؟ قال : أَعبد الله ، قال من يطعمك ؟ قال : أخي . قال أخوك خير منك . ولهذا فالبطالة مرفوضة في مجتمع الإسلام

---

١ . أنظر الترمذي بشرح ابن العربي ٩/ ٢٥٣ مطبعة الصاوي ١٣٥٣ هـ ط ١ وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود . إلا من حديث حسين بن قيس وحسين يضعف في الحديث .

٢ . المرجع السابق وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

٣ . رواه احمد ٣/ ١٩١ .

رفضاً دينياً قبل أن تكون مشكلة اقتصادية . والغش المشاهد في الأعمال والصناعات مرفوض في الإسلام فقد ورد في الحديث ((من غشنا فليس منا)) [1] .

ومما يدفع إلى العمل بالإيمان بالقدر إذ يقتضى هذا الإيمان بذل الأسباب كما تقدم . والأسباب هي العمل ، فتنطلق القوى البشرية لتتعرف على السنن وتكتشف المجهول للبناء والتعمير .

ومما يدفع المؤمن للعمل أمله ورجاؤه فيما عند الله ، فقد طلب إبراهيم الولد وهو شيخ . ويعقوب لم يفقد الأمل في ولديه بعد غياب طويل ، وزكريا نادى ربه نداءً خفياً فاستجاب الله له ، وأيوب نادى ربه أنه مسه الشيطان بنصب وعذاب . ونادى يونس ربه في الظلمات فأنقذه الله . ولم يفقد موسى أمله عندما كان البحر أمامه وفرعون خلفه . وكان اليقين يملأ قلب محمد ﷺ في الغار ومعه أبو بكر الصديق . صلوات الله وسلامه على رسله أجمعين .

سادساً : الحب

قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وقال ﷺ : ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) [2] . إن الحب هو روح الوجود وأكسير القلب ، وهو الذي يمسك العلاقات الإنسانية أن تتصادم فتتخرق .

---

١ . رواه مسلم ١/ ٩٩ . وأحمد ٢/ ٥٠ .

٢ . رواه مسلم ج ١ ص ٧٤ .

قال جلال الدين الرومي : (إن الحب يحول المر حلواً ، والتراب تبراً ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والسجن روضة والسقم نعمة ، والقهر رحمة) [1] . الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأهواء .

إن المؤمن أول ما يحب ، يحب الله ربه واهب الحياة ومصدر الخلق قال ﷺ : ((اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك)) [2] ويحب المخلوقات لأنها تدل على الله قال ﷺ عن أُحُد : ((هذا جبل يحبنا ونحبه)) [3] والمؤمن يحب الحياة لأنها مجال كسبه وحرثه للآخرة . ويحب الإنسان [4] لأنه أخوه ويهتدي به ويهديه ، ويحب كل شيء في هذا الكون وأكثر ما يحب أخاه المؤمن الذي يشاركه في اعتقاده . والمؤمن يحب الموت لأنه يعجل به إلى لقاء الله ، وفي الحديث عن عائشة قالت : قال ﷺ : ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقلت يا نبي الله : أكراهية الموت ، فكلنا يكره الموت ؟ فقال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه)) [5]

ولذلك اختار الرسول ﷺ لقاء الله فعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير ، فلما نزل به ورأسه على فخذي

---

١ . رجال الفكر والدعوة في الإسلام . للندوي ص ٣٥٨ دار القلم ط ٣ .

٢ . رواه الترمذي ج ١٢ ص ٢٧. وقال حديث حسن غريب .

٣ . فتح الباري ج ٦ ص ٨٣ .

٤ . ولا يتعارض هذا مع كره المؤمن للكافر ، حيث أنه يكره الكفر الذي حمله فلو تركه لعاد لمحبته .

٥ . رواه مسلم ٤/ ٢٠٦٥ .

غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال اللهم الرفيق الأعلى .. قالت : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها : اللهم الرفيق الأعلى [١] .

وها هو خالد بن الوليد يهدد أعداءه فقد كتب إلى هرمز قائد الفرس يخيره بين الإسلام والجزية أو الحرب ، ويقول له في ختام كتابه: (جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) [٢]

وحب المؤمن للرسول من الإيمان بل لا يتحقق الإيمان إلا به ، قال ﷺ : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)) [٣] وعن أنس قال النبي ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) وعن عبد الله ابن هشام [٤] قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله والله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنه والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال ﷺ : الآن يا عمر [٥] .

---

١ . البخاري مع الفتح ١١/ ١٤٩ .

٢ . أنظر عبقرية خالد / العقاد ص ١٢١ ط ٣ دار الكتاب العربي ١٣٨٩ هـ .

٣ . متفق عليه البخاري مع الفتح ١/ ٦٠ .

٤ . قال في الإصابة ٢/ ٣٦٩ عبد الله بن هشام بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي ولد سنة ٤ هـ روى له البخاري . ذهبت به أمه وهو صغير إلى الرسول ﷺ فمسح رأسه ودعا له بالبركة عاش إلى خلافة معاوية .

٥ . البخاري مع الفتح ج ١١ ص ٥٢٣ .

سابعاً : الجهاد

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))[1] واقترن الجهاد بالإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ... ﴾ [الحجرات: ١٥] وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ ... ﴾ [التوبة: ١١١] وقال : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ... ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

إن الإيمان بالله ينشيء في الإنسان صفات خلقية عظيمة وهي صفات الجرأة والإقدام والبسالة والشجاعة[2]. إن المؤمن لا يخاف ، لأن الخوف يكون على المال والولد والنفس ، وهذه كلها قد عالجها الإيمان . فالمال مال الله والولد هبة من الله ، والنفس إن لم تمت في سبيل الله فلماذا هي ؟ إن المال يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فلا بد من الشجاعة في بذل المال وتزكيته ولا بد من الجهاد بالمال والنفس لأن هذا مقتضى الإيمان . والأولاد مسؤولية تربيتهم على أبيهم ، فإن لم يكن شجاعاً مقداماً فقد زرع الخوف فيهم . والنفس لا بد أن تموت فلتكن ميتة جهادية . والموت بيد الله كما في الحديث ((.. ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ..))[3] .

---

١ . رواه مسلم ط ١ ج ٤ ص ٢٠٥٢ .

٢ . الإيمان للمودودي عنوان (الجرأة) .

٣ . أنظر الترمذي بشرح ابن العربي ٩/ ٣١٩ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

فالرزق [1] والأجل بيد الله ، وهذا من أسس العقيدة الإسلامية ، فلا مجال للخوف في قلب المؤمن .

إن المؤمن يعيش في حالة من الاستعلاء على قيم الأرض ومبادئها الهابطة فهو عال بإتصاله بالله عز وجل . وهذا الاستعلاء يمثل قوة في المؤمن إذ أنه يستعلي على قوة الأرض الحائدة عن منهج الإيمان . إنه الإستعلاء الذي لا يتهاون أمام قوة باغية [2] وهكذا كان موقف المغيرة بن شعبة أمام الجاهلية الفارسية ، وهكذا وقف ربعي بن عامر أمام رستم في القادسية .

والشيوعية تحاول طمس الإيمان لأنها تشعر أن الإيمان يوجد في النفوس قوة تواجه مبدأها فكرياً وعسكرياً .

إن الإسلام يربي أتباعه على القوة ، قوة الفكر والكلمة والسلاح ، وقبل كل هذا قوة الإيمان . وها هو أعرابي لا حول له ولا قوة إلا قوة الإيمان من الله ، يقف أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يومئذ يحكم بلاداً واسعة يحكمها الآن عشرات الحكام ، يقف هذا الأعرابي ويقول كلمة الحق في وجه عمر . (فقد روي أن عمر بن الخطاب قال يوماً على المنبر : يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا كذا وميّل رأسه ؟ فقام إليه رجل فسل سيفه وقال : أجل كنا نقول بالسيف كذا وأشار إلى قطعه . فقال : إياي تعني

---

١ . قال في مجمع الزوائد ج ٤ ص ٧١ : (وعن حذيفة قال : قام النبي ﷺ فدعا الناس : هلموا إلي فأقبلوا إليه فجلسوا ، فقال هذا رسول الله رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، رواه البزار وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات) .

٢ . بتصرف من (معالم في الطريق) ص ١٦٢ لسيد قطب . دار الشروق .

بقولك ؟ قال : نعم إياك أعني بقولي ، فنهره عمره ثلاثاً وهو ينهر عمر ، فقال عمر : رحمك الله الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوجت قوّمني»[1] .

إن رسول الله ﷺ قاد الجيوش وأعدّ السلاح وحفر الخندق وبعث السرايا . إن الأعمال التي حققها رسول الله ﷺ وصحبه الكرام إنما كانت ثمرة للقوة التي أنبتها الإيمان في قلوبهم فضحوا وجاهدوا بالمال والنفس .

إن القرآن يحرض المسلمين على القتال وبذل المنهج في سبيل الله ، وذلك بأن يقنعهم أنهم إذا قتلوا لا يموتون وإنما ينالون حياة خالدة سرمدية ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] .

إن المجاهد الموقن يمضي في طريق الكفاح المر وهو واثق من النتيجة الأخيرة وهو قوله تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] والمجاهدون في سبيل الله بشر تجيش في أنفسهم المشاعر التي تجيش في نفوس غيرهم من تقدير للحياة والرأي العام وكفالة الأولاد وتأمين العيش لأنفسهم وأهليهم بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق وأشواق الدنيا فآثروا وعد الله[2] .

إن المؤمن يشعر بالعزة والكرامة ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] إن المؤمن يشعر أنه سيد الكون ، وهذا هو غرس الإيمان ، إنه الخليفة في الأرض ، والشهيد على الناس يوم القيامة والله معه وناصره ، قال تعالى : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]

---

١ . أنظر الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢/ ٥٠ ط ١ الخانجي بمصر / للإمام أبي جعفر الطحاوي .

٢ . أنظر ركائز الإيمان ص ١٢٤ وبعدها .

وهو في حمى الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وها هو بلال العبد الأسود يصبح في عزة وقوة مستصغراً قادة قريش وزعماءها ، وكان لسان حال المؤمنين في عزتهم قول الشاعر :

وممـا زادني شرفـا وتيهـا | وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي | وأن صيرت أحمد لي نبياً

إن المؤمن لا يخاف ،فهو يذهب إلى المعركة متمنياً الشهادة تاركا أطفاله في رعاية الله ، وتقول الزوجة بعد رحيل زوجها (إنني عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ، ولئن ذهب الأكال لقد بقي الرزاق) [1] وما أعظم قوة سعيد بن جبير أمام الحجاج التي أنبتها الإيمان في قلبه حين هدده الحجاج بالموت فأجابه سعيد :

لو علمت أن الموت والحياة في يدك ما عبدكم إلها غيرك .

إن المؤمن لا يخاف من الموت لأن لكل نفس أجلاً ولكل أجل كتاب : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[آل عمران: ١٤٥] .

١ . الإيمان والحياة للقرضاوي ص ١٤٣ .

لقد كان الرجل من الصحابة يزأر أمام الموت في المعركة ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤] ، وها هو أحدهم ينفذ الرمح في صدره فيصل إلى ظهره فيقول : (فزت ورب الكعبة)[1] .

وقيل لأعرابي اشتد مرضه إنك ستموت فقال : وإلى أين يذهب بي بعد الموت ؟ قالوا إلى الله . فقال : ويحكم وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده[2]، ومات أحدهم فوجدوا عند رأسه رقعة كتب فيها :

قل لإخوانٍ رأوني ميتاً ... فبكوني ورثوني حزناً
أتظنون بأني ميتكم ... ليس هذا الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي ... كان ثوبي وقميصي زمناً
أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه وبقى مرتهناً
أحمد الله الذي خلصني ... وبنى لي في المعالي مسكناً
لا تظنوا الموت موتاً إنه ... ليس إلا نقلة من ههنا

فالمؤمن لا يعرف الخوف ، ومن هنا ينطلق لا يخاف على رزق ولا مال ولا ولد ولا نفس ، يواجه أعداءه في ساحات القتال وفي جدال العقائد وإحباط الحجج ومقابلة الملوك والزعماء بهذه العقيدة الفريدة . إن الإيمان بالله يرتفع بالإنسان من حضيض الذل والهوان إلى أرفع ما

---

١ . الإيمان والحياة ص ١٠٤ .

٢ . المرجع نفسه ص ١٤٨ واسمه حرام بن ملحان كما في البخاري مع الفتح ٦/ ١٩ .

يكون من منازل الأنفة وعزة النفس والقوة لأنه يعتقد ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] وهذه العزة هي غير التكبر ، فهي ارتفاع بالحق واستعلاء على الباطل ، أما التكبر فهو ارتفاع بالباطل على غير أساس من الحق والعدل ، بل هو مظهر من مظاهر ضعف النفس الإنسانية وظلمها لنفسها وغيرها . إن المؤمن مستعل وعزيز ، وفي الوقت نفسه هو متواضع ولا تناقض إذ عزته من تواضعه ، وتواضعه لا يعني الذلة ، بل هو الرحمة والخشية من الله سبحانه ، يقول المودودي رحمه الله : (إنها أنفة ولكنها ليست الزائفة التي تنشأ الغطرسة والقوة والجبروت والجاه والمال ، إنها عزة الحق لا عزة الباطل ، إنها أنفة مقترنة بالتواضع ، وعزة متصلة بالتذلل والخضوع لله ، لأنه يعلم أن الله هو القاهر الحقيقي فوق عباده)[1] . إن غير المؤمن يرتكز على بيت العنكبوت ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾[العنكبوت: ٤١] . أما المؤمن فهو يأوي إلى ركن شديد ، إنه يعتمد على الله خالق السماوات والأرض وما فيهن . وهذا أكبر دافع للمؤمن ليواجه أكبر التحديات وها هو إبراهيم عليه السلام يواجه الملك العنيد وشعبه فيسخر من خرافاتهم ويثبت لهم بالبرهان بطلان ديانتهم وعندما يقررون إلقاءه في النار ما زاده هذا إلا إيماناً وقوة ، فكان القوي بجانبه وتحولت النار إلى برد وسلام عليه .

إن المؤمن ينظر إلى قصور الأمراء وخزائن الملوك ورياش المترفين كما ينظر راكب الطائرة المحلقة في أعالي الفضاء إلى القرى والمدن والناس ، إنه يرى القصور الشاهقة كاللعب الصغيرة ، ويرى البشر كالنمل في جحوره[2]

---

١ . بتصرف عن (الإيمان) للمودودي تحت عنوان (التذلل) .

٢ . بتصرف عن الإيمان والحياة للقرضاوي ما بعد ص ١٢٢ .

إن الإيمان يدفع الإنسان إلى البذل والتضحية ، فها هو أبو طلحة الأنصاري [1] يقرأ سورة براءة حتى بلغ ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١] فقال : ما سمع الله عذر أحد ، وقال لبنيه أي بني جهزوني جهزوني يعني للجهاد فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك . قال : ألا جهزوني بجهاز الحرب فغزا في البحر فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها – رضي الله عنه – [2] . إن المؤمن يستعذب البلاء فعن سعد بن أبي وقاص قال : قلت يا رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء العنيد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة [3] .

---

١ . قال أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب (مع الإصابة) ج ٤ ص ١١٣ (اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد بن منأة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، وكان من الرماة المذكورين من الصحابة قتل يوم حنين عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، قال عنه الرسول ﷺ :((لصوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل)) توفي سنة ٣١ هـ وقيل ٣٤ هـ وهو ابن سبعين سنة مات في البحر فدفن في جزيرة) .

٢ . أنظر مختصر تفسير ابن كثير ط ١ ج ٢ ص ١٤٤ تحقيق محمد علي الصابوني .

٣ . رواه ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٣٤ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه .

وها هو سعيد[1] بن المسيب يخرج إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل ، فقال : استنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكني من الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع .

وعن راشد بن سعد عمن رآى المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنه من عظمه فقلت له : قد أعذر الله إليك ، فقال : أبت علينا سورة البعوث ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١][2] . وقال ابن جرير عن حبان عن يزيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان[3] بن عمرو وكان والياً على حمص فرأيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحته فيمن أغار ، فأقبلت إليه فقلت : يا عم قد أعذر الله إليك ، قال فرفع حاجبيه فقال : يا ابن أخي استنفرنا خفافاً وثقالاً إلا أنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه[4] . وعمرو بن الجموح[5] الأنصاري له في التضحية قصة عجيبة (عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال : أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل ،أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء ، فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم

---

١ . قال في الأعلام ج ٣ ص ١٥٥ (هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد سيد التابعين أحد الفقهاء السبعة في المدينة . محدثاً وفقيهاً ، زاهداً ورعاً ، كان تاجراً . توفي بالمدينة عام ٩٤ هـ وولد عام ١٣ هـ) .

٢ . تفسير الطبري ج ١٤ ص ٢٦٧ تحقيق محمود شاكر .

٣ . قال في الإصابة ج ٢ ص ١٨٣ (صفوان بن عمرو السلمي والصواب الأسدي شهد أحداً).

٤ . ج ١٤ ص ٢٦٤ المرجع نفسه .

٥ . قال في الأعلام ٥/ ٢٤١ (عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ، صحابي كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرافهم وهو آخر الأنصار إسلاماً استشهد بأحد عام ٣ هـ) .

فمر عليه رسول الله ﷺ فقال : كأني أنظر إليه يمشي برجله هـذه صحيحة في الجنـة ، فـأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد)[1] .

وهذا ثمرة للإيمان الذي يغرسه الإسلام في النفوس ، فعن عبد الله بـن أبي[2] أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ((واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف))[3]) فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى آأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ فقال : نعم ، فرجع إلى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى إلى عدوه فـضرب حتى نال الشهادة . ويتسابق الأب والابن إلى الجهاد ، فيقرعان بينهما فتخرج القرعـة للابـن فيقول الأب : آثرني يا بني أنا أبوك فيقول : إنها الجنة يا أبت . ولو كان شيء غيرها لآثرتك . ويقول سيد قطب بعد الحكم عليه بالإعدام وتدخل الوسطاء ليترحم ويذل : لماذا أسـترحم إن حكمت بحق فأنا أرضى حكم الحق ، وإن حكمت بالباطل فأنـا أكـبر مـن أن أسـترحم الباطل ، إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة يرفض أن يكتب حرفاً يقر به حكم طاغية ، لقد استحوذت عليه الجنة وشغلته عن كل شيء ، وعندما تلقى حكم الإعدام فرح وقال الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل هذه الشهادة .

ووطئ أبو بكر في مكة يوماً بعدما أسلم وضرب ودنا منه عتبة فجعـل يـضربه بنعلـين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ونزا على بطنه حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملته بنو تمـيم في ثوب حتى أدخلوه منزله ، لا يشكون في موته فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ

---

١ . ذكره في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة .

٢ . قال في الإصابة ٢/ ٢٧١ (عبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد الأسلمي من هوازن روى أحاديث شـهيرة ، آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة ثمانين . شهد حنين وقال غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد) .

٣ . البخاري مع الفتح ٦/ ٣٣ .

فمّسوا منه بألسنتهم وعذبوه ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير ، انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما دخلت به ألحت عليه وجعل أبو بكر يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل [١]. وخرجت امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع الرسول ﷺ فقالت : ما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين قالت : أرنيه حتى أنظر .

ورفعوا خبيباً [٢] رضي الله عنه على الخشبة ونادوه يناشدونه أتحب محمداً مكانك ؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه [٣] .

وترس أبو دجانة [٤] يوم أحد على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك [٥] ودخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال : يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ فقالت : بل هو فراش

---

١ . البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠ . مكتبة المعارف – بيروت - ط ١ ١٨٨٦هـ .

٢ . قال في الإصابة ج ١ ص٤١٨ (خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجموعة بن حجحجي بن عوف بن كلفه ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري . شهد بدراً واستشهد في زمن رسول الله ﷺ كان يأكل العنب وهو أسير وما في مكة يومئذ عنب وقصتها في البخاري) .

٣ . البداية والنهاية ج ٤ ص ٦٦ وقال رواها البخاري في المغازي أنظر الفتح ٧/ ٣٨٤ .

٤ . (هو سماك بن خرشة الخزرجي البياض الأنصاري المعروف بأبي دجانة ، صحابي وكان شجاعاً بطلاً ، شهد بدراً ثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد باليمامة كان يمشي بخيلاء فنظر إليه النبي ﷺ في المعركة وهو يتبختر بين الصفين فقال : هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا المكان) الأعلام ج ٣ ص ٢٠٢ توفي عام ١١هـ .

٥ . زاد المعاد ص ١٣٠ .

رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس [1]. وقصة أصحاب الأخدود وسحرة فرعون تبين روعة الإيمان حين يحول النفوس ويجعلها تضحي بالغالي والرخيص.

وما أحلى كلام بائع الملوك العز بن عبد السلام سلطان العلماء: من الله لو قبّل رأسي ما قبلت، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به، نحن في واد وأنتم في واد.

وها هو أنس بن النضر يوم أحد: الجنة ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد ومن ذاق عرف ومن حرم أنكر. ورفض عمير بن الحمام يوم بدر أن ينتظر أكل تمرات لأن الجنة أمامه. وهذه الخنساء فقدت أخاها لأبيها صخراً في الجاهلية فملأت الآفاق عليه بكاء وعويلاً وشعراً حزيناً من أعظم شعر المراثي فهي تقول:

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... واذكره بكل طلوع شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكنها لما آمنت قدّمت فلذات كبدها إلى الميدان وقالت لأبنائها الأربعة يوم القادسية: أي بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد وامرأة واحدة وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإذا أصبحتم من غد – إن شاء الله – سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائكم مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا بالمغنم في دار الخلد

---

١. زاد المعاد ص ٢١٦.

. وعندما استشهدوا جميعاً وبلغها قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعاً وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور يعظه ويتلو عليه ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١ – ٢] إلى أن قال ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ فبكى أبو جعفر واستمر يعظه حتى جفت عيناه من الدموع ، وهنا تدخلت البطانة السيئة (سليمان بن خالد) . رفقاً بأمير المؤمنين قد أتعبته منذ اليوم . فيسكته عمرو بقوله : بمثلك ضاع الأمر وانتثر لا أبالك ، وماذا خفت على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله .

ثم يأمر له أبو جعفر بعشرة الآف درهم : تستعين بها على سفرك وزمانك ، فيقول له عمرو : لا حاجة لي بها ، فيحلف المنصور إلا يأخذها ويحلف عمرو ألا يأخذها ، وكان المهدي ولد المنصور جالساً فيقول مستنكراً : أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ وبغير مبالاة أو اكتراث يسأل عمرو المنصور من هذا الفتى ؟ فيجيبه هو ولي العهد ابني المهدي . وهنا ينطلق الحق من صميم قلب الرجل على لسانه : أما والله لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به ، أشغل ما يكون عنه . ويختصر المنصور الحديث وقد آلمه قول الرجل . هل من حاجة ؟ فيجيبه عمرو : لا تبعث إليّ حتى آتيك ، وهنا ينفذ صبر المنصور وقد آلمته جرأة عمرو وجرحت كبرياءه فيقول : إذن لا تلقاني ، ولا تزيد هذه الإجابة من الخليفة عمراً إلا استخفافاً وعدم مبالاة فيقول : هي حاجتي ويمضي فيتبعه المنصور طرفه ويقول :

كلكم يمشي رويد ... كلكم يطلب صيد ... غير عمرو بن عبيد

وعند خروجه لقي أبا أيوب المورياني وزير المنصور فيقول له : يا أبا عثمان أظنك قد ردعت هذا الرجل ؟ فيقول عمرو : نعم فإن استطعت ان تعين بخير فافعل وكفى بأمة شراً أن تكون أنت المدبر لأمرها [1] . ومن معاني القوة قصة إسلام عمر وإعلانه الهجرة .

أثر الإيمان بالغيب في حياة الجماعة

قلنا إن الإيمان بالغيب يؤثر في حياة الفرد واستعرضنا بعض النواحي التي تدلل على ذلك ، وذلك يتضمن التاثير في حياة الجماعة إذ الفرد لا يعيش منعزلاً عن الناس ، ومع هذا فستتكلم عن بعض النواحي البارزة في الحياة الإجتماعية كآثار بارزة في حياة الجماعة وأهم هذه النواحي :

أولا : الناحية الاقتصادية

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة: ٦٦] .

إن أولى خصائص هذه العقيدة أنها تحمل السعادة لمن يطبقها ، والشقاء لمن يعرض عنها . ومفهوم السعادة والشقاء مطلق ويدخل فيه الجانب الاقتصادي .

---

١ . بتصرف عن الإيمان وأثره في نهضة الشعوب ليوسف العظم ط ٣ ص ٥١ .

إن نظرية الإسلام الأولى في هذا المجال هي أن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لم يحب ، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه)) [1] . إن المادة غير ممنوعة عن الكافر ، بل كثيراً ما نجد مؤمناً فقيراً ، وكثيراً ما نجد كافراً غنياً ، ولكن هذا ليس مطرداً . إن كسب الدنيا يقوم على الجهد وهذا يملكه الإنسان بغض النظر عن اعتقاده . ولكن الإيمان يبارك الجهد وبخاصة أن المؤمن يأخذ من الحلال وينفق في الحلال، ويتصدق ويزكي ويعتقد أن الرزق مكتوب . ولا ننسى أن الدنيا قد يفتحها الله على الإنسان المؤمن ليبتليه هل سينفق أم سيبخل . وإذا فتحها على الكافر فهي عقوبة من الله ، لأن الكافر سيستعمل المال في المعصية . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ﴾ [الزخرف: ٣٣ – ٣٥] وها هو قارون قد أغرقه الله بالمال فكانت النتيجة البطر وعدم شكر الله فما نفعه ذلك بل خسف الله به وبداره الأرض ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ

---

١ . رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٨٧ .

أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٨١] .

وقد عبر القرآن عن الفقر والغنى بتعبير واحد وهو الابتلاء فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾[الفجر: ١٥ – ١٧] ومع كل ما سبق يجب أن نعلم أن الإسلام لا يمنع أن يملك الإنسان الأموال الكثيرة بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جاء فقراء الى النبي ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من الأموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون ..)[1] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[الأعراف: ٣٢] بل المال الكثير يساعد على طاعة الله بشرط أن يحذر صاحبه ويكون كل همه الآخرة ، فيستعين بهذا المال على العبادة والصدقة وعمل المشاريع التي تعود على الجماعة بالخير ، ودعم فقراء المسلمين والمجاهدين ، وها هو عثمان سيد الأغنياء يجهز جيشاً كاملاً هو جيش العسرة . إن الإيمان يطلب من المؤمن أن يبذل الأسباب لتحصيل الرزق فإن جاءه بعد ذلك قليل فليرض ، وإن كان كثيراً فليشكر ، ولا بد أن يعتقد أن الرزق بيد الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ

---

١ . رواه مسلم ط ١ ج ١ ص ٤١٧ وانظر فتح الباري ج ٢ ص ٣٢٥ .

﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٧٣] ، ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[الرعد: ٢٦] إن التفاوت في الرزق له حكمة أرادها الله ، وهي أن يسخر الناس بعضهم البعض قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[الزخرف: ٣٢] ، إن الإيمان يطلب من المؤمن أن يتصف بالقناعة في الأمور الدنيوية ، لأن ابن آدم لا يشبع كما في الحديث عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له وادياً آخر ، ولن يملأ فاه إلا التراب والله يتوب على من تاب))[1] وعليه أن يلهث وراء الآخرة وينافس فيها كما قال تعالى ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] .

إن الإسلام يعترف بوجود طبقتي الغنى والفقر ، لكنه لا يعترف بالجفوة بين الطبقيتين ، بل الود والاحترام ، لأن الغني لم يجمع ماله من دم الفقير ، ولا من حرام ، ولا ينفقه في حرام ولا ينسى الفقير ، بل يعطف عليه ويحبه ولا يشعر بأنه أفضل منه لأن الله يقول ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات: ١٣] . والفقير لا يحقد على الغني لأن الله يؤتي فضله من يشاء .

وحرم عليه الحسد وأباح له الغبطة. إن الحقد بين الطبقات كما تصورته الشيوعية لا يؤمن به الإسلام ، إذ مجتمع الإسلام أرفع من أن يكون هذا مستواه ، ومع هذا فقد قرب الإسلام بين الطبقات مادياً بعد أن قرب بينها معنوياً ، إن الإسلام يحترم الفرد في ظل الجماعة فلا فرد مذاب في الجماعة ولا فرد يدوس مصلحة الجماعة ، بل الفرد والجماعة معاً . إن الإنسان الذي جمع المال من الحلال ونماه بالطرق المشروعة لا يستطيع أحد أن يأخذ ماله ، لأن هذا يعتبر

---

١ . رواه مسلم ط ١ ج ٢ ص ٧٢٥ .

حراماً وأكلاً لمال الناس بالباطل . ويجوز للدولة أن تأخذ في وقت الضرورة (كالحرب) من مال الفرد الغني لمصلحة الأمة ، ولا أظن مؤمناً حقاً يضن بماله ويؤخره في الظروف العادية فضلاً عن الضرورة .

وموضوع الصدقة السالف الذكر يدخل في الناحية الاقتصادية . إن الإسلام يحض على العمل كما سبقت الإشارة إليه ، وقلنا إنه عمل متقن لأن الله يحب العمل المتقن . ومعلوم أن الإنتاج لا يكون جيداً إلا إذا كان العمل متقناً به الإنسان بكل إخلاص .

إن المؤمن لا يرهب الطبيعة ولا يتعبدها بل يبحث فيها ويسخرها لمصلحته فلا قداسة لحيوان أو شجر ولا تشغله خرافات التطير والتشاؤم عن المضي في سبيل معاشه ، ولا تقعده النجوم والمواسم ، وهو متحرر من العصبيات لا يهاب الخروج والمهاجرة ، ولا يعتزل الناس من غير أهله بل يتعاون معهم [1] . إن الإيمان يأمر أتباعه أن يتركوا الجشع والحسد والشح والاختيال وهذه يعرفها مجتمع التجار . وعليه إن يتحلى بالرضا والصدق والإيثار [2] .

ومما يضعضع الناحية الاقتصادية في المجتمع ضياع الحقوق المالية بطريق السرقة والاختلاس ، وجحد العارية والتهرب من أداء الحقوق والضرائب ، وهذا كله قليل في مجتمع المؤمنين إذ أن المؤمن ينطلق من نفسه إلى أداء ما عليه تجاه الأخرين .

والتجارة جزء من الاقتصاد وقد أحلها الإسلام وأمر بها ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : ((التاجر الصدوق يحشر مع

١ . الإيمان وأثره في حياة الإنسان للدكتور حسن الترابي ص ٢٣١ بتصرف .

٢ . المرجع السابق بتصرف .

النبيين والصديقين والشهداء)) [1] وذكر الإمام الغزالي في الإحياء عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة دراهم وبعضها بعشرة ، فباع غلامه في غيبته لأعرابي شقة من الخمسيات بعشرة دراهم ، فلما عاد ابن المنكدر وعرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له : إن الغلام قد غلط فباعك بما يساوي خمسة بعشرة ، فقال الأعرابي : يا هذا قد رضيت . فقال : إن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال ، إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك ، فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي [2] . ومجتمع الإسلام يرفض الربا لأنه من عوامل هدم الاقتصاد السليم .

ثانياً : نظام الحكم

إذا كان سلوك الفرد وأخلاقه تقوم على عقيدته ، وحياة المجتمع وأخلاقه كذلك تقوم على العقيدة ، فالنتيجة الطبيعية أن نظام الحكم يجب أن يقوم على العقيدة ، لأن هذا النظام يتصل بحياة الجماعة ، والقائمون على أمر هذا النظام هم أفراد من المجتمع . وقد راعى الإسلام في بنائه لنظام الحكم التركيز على الفرد ، لأن رئاسة الدولة بيد الخليفة ومساعدة مجلس الشورى المحيط به . وأول أسس الحكم الإسلامي أن القانون الذي يجب على الدولة تطبيقه هو المستمد من الكتاب والسنة ، ويبقى بعد هذا مجال الاجتهاد للعلماء فيما لا نص

---

١ . رواه الترمذي ج ٥ ص ٢١٣ وقال هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

٢ . الإحياء ربع العادات ص ٧٢ .

فيه، دون الخروج على النصوص . وهـذا الاجتهـاد لـيس تـشريعاً ولكنـه إلحـاق بـنص أو استنباط منه أو قياس عليه ، وهذا من مستلزمات صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، قال تعالى في سورة يوسف ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[يوسف: ٤٠] وللشهيد سيد قطـب كـلام طيـب حول هذه الآية إذ يقول : (إن الحكم لا يكون إلا لله . فهـو مقـصور عليـه سـبحانه بحكـم ألوهيته ؛ إذ الحاكمية من خصائص الألوهية . من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ؛ سواء ادعى هذا الحق فرد ، أو طبقة ، أو حـزب . أو هيئـة ، أو أمـة ، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية . ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاهـا فقد كفر بالله كفرا بواحاً ، يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة ، حتى بحكم هذا النص وحده !

وادعاء هذا الحق لا يكون بصورة واحدة هي التي تخرج المدعي من دائـرة الـدين القـيم وتجعله منازعاً لله في أولى خصائص ألوهيته - سبحانه - فليس من الضروري أن يقـول:مـا علمت لكم من إله غيري ؛ أو يقول:أنا ربكم الأعلى ، كما قالها فرعون جهرة . ولكنه يدعي هذا الحق وينازع الله فيه بمجرد أن ينحي شريعة الله عن الحاكميـة ؛ ويـستمد القـوانين مـن مصدر آخر . وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحاكمية ، أي التـي تكـون هـي مـصدر السلطات ، جهة أخرى غير الله سبحانه . . ولو كان هو مجموع الأمـة أو مجمـوع البـشرية . والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بـشريعة الله ؛ ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعيته . إنما مصدر الحاكمية هو الله . ففرق بين مزاولة السلطة وبين مصدر السلطة)[1] .

---

١ . في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٩٩٠ دار الشروق ط ٧ .

فالتشريع بيد الله واجتهاد العلماء إنما هو تفريع على أصول موجودة أو إلحاق بصورة مشابهة وهكذا .

ونحن إذ نركز الكلام حول هذه النقطة لأن واقع بلاد المسلمين يحتاج إليها ، ففي العصور الأولى الإسلامية كان هذا الأمر مسلماً ولم يكن محلاً لنقاش حتى في زمن بعض الخلفاء الذين أثرت عنهم مخالفات لأحكام الإسلام . فمخالفاتهم تعتبر معاصي شخصية خاصة بهم ، وإن كان عليهم وزر أكثر لكونهم محلاً للقدوة . أما من حيث نظام الدولة التي كانوا يحكمونها فلم يكن هناك قانون آخر أو تشريع آخر إنما هو القرآن والسنة .

لم يكن هناك عزل لقوانين الإسلام عن نظام الحياة والمجتمع ، ولم يكن هناك قانون آخر مكتوب ولا مجلس للتشريع ، لأن القانون الإسلامي مكتوب وكامل منذ وفاة الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

ولا يجوز التساهل في هذا الأمر بحجة أن التكفير مسألة خطيرة . حقاً إن التكفير مسألة ليست سهلة ، ولكن إدخال الكافر في الإسلام أمر – أيضاً – ليس بسهل . وكما يجب الحذر من التكفير ، فيجب الحذر من إدخال الكافر في الإسلام . إن الإسلام ليس وساماً ولا شعاراً يعطى لكل إنسان جزافاً واعتباطاً ، ولكنه دين الله يوصف به الإنسان إذا التزم ما طلب منه ربه قدر استطاعته ولهذا توجد أركان للإسلام وأركان للإيمان .

لقد قاتل أبو بكر من منع الزكاة ، فكيف بمن منع الصلاة أو حكم بغير ما أنزل الله .

ورحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين جعل (الحاكم الجائر المغير لأحكام الله)[1] من رؤوس الطواغيب ، وثنى عليها بصفة أخرى ورأس آخر من رؤوس الطواغيب فقال : الذي يحكم بغير ما أنزل الله والدليل قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] إن الفساد الذي يخلفة الحكم بغير ما أنزل الله أكثر من أن يوصف ، وهو مشاهد بلادنا الإسلامية ، ويكفي في وصفه قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] . وبالمقابل فإن الحكم بما أنزل الله يجعل المجتمع يعيش في حالة من السعادة لا توصف فمحبة متبادلة بين الحاكم والمحكوم وليس حقداً ولا كرهاً . ويشعر الحاكم بأنه من الناس وأن الناس له ، فتسير الأمور في ظل من الأخوة والثقة ولا يبقى مجال للسارقين والنفعيين .

والتاريخ الإسلامي وبخاصة فترة الخلفاء الراشدين هي أكبر دليل عملي على الواقع السعيد الذي تعيشه الأمة في ظل حكم الله . والقصص في هذا المجال أكثر من أن أرويها هنا وهي معروفة لدى معظم الناس . فثبت بالتجربة أن المجتمع ، إن حكم الإسلام ، فله السعادة في الدارين كما قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] والله تعالى أعلم .

---

١ . مجموعة التوحيد ص ٩ نشر دار الافتاء / السعودية .

الباب الثاني

الفصل الخامس

الرد على منكري الغيب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرد على منكري البعث

في هذا الفصل سيكون الحديث كما هو مبين في العنوان عن منكري الغيب لا بأشخاصهم بل بأفكارهم . ما الذي دعاهم للإنكار ؟ ما هي الحجج التي استندوا عليها ؟ وهل شيء منها يصلح ويثبت أمام البحث العلمي النزيه وأمام الحق الذي لا يميل مع هوى متبع ولا تعصب مذهبي .

وقبل أن أتعرض لأدلة المنكرين أحب أن أكتب مقدمة مختصرة عن المنكرين : كلمة منكري الغيب أو الملحدين أو الطبيعيين أو الدهريين أو الماديين كلها ألفاظ متعددة لمسمى واحد . وهذه الأسماء تعبر عن أفكارهم وسبب رفضهم الإيمان . وإذا كان المشهور أن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى ، فهاهنا الأمر على العكس إذ كثرة الأسماء تعبير عن جرائم متعددة لهذه الفئة ، فهي منكرة للغيب لضيق أفقها وكونه محصوراً في إطار مرئي ، وهم ملحدون لأنهم تجنبوا الحق وابتعدوا عن الصواب . وهم طبيعيون لقولهم بالطبيعة وأنها فاعلة . وهم دهريون كما قال تعالى على لسانهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

((وقالوا إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر)) [1] .

---

١ . عقيدة المسلم لمحمد الغزالي ص ٢٧٨ .

وهم ماديون لأنهم أهمتهم أنفسهم في شهواتها من أكل وشرب وجنس ومال . وقولهم بالحركة الديالكتيكية [1] والحتمية المادية التاريخية وقول ماركس ((لا إله والحياة مادة)) .

وهذه الفئة رغم قلة عددها إلا أنها وجدت عبر مر العصور بصورة الدخيل على طبيعة الإنسان ((وهم في جميع عصورهم ، قولهم واحد وفكرتهم واحدة ، مهما اختلفت الأسماء وتعددت العبارات)) إذ القاعدة أن الإيمان هو نصيب القسم الأكبر من الناس . وقد كان الإلحاد في بعض أدواره ردة فعل لتعصب ديني وتزمت متطرف أو أنه ظهر في فترات القلق النفسي والترف الحضاري والغرور العلمي .

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين شهد العالم أعنف حملة إلحاد ظهرت في التاريخ حيث تجمعت ظروف إنباته من تزمت كنسي ورفاهة حضارية وغرور علمي بسبب الاكتشافات العلمية ، ودعم هذا ثأر قديم ضد اضطهادات الكنيسة للعلم والعلماء .

قال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه [2] ((ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) :

((ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه في كتبهم المقدسة ، بل قدسوا كل ما تناقلته الألسن واشتهر بين الناس وذكره بعض شراح التوراة والإنجيل ومفسريها من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية وصبغوها صبغة دينية ، وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الاعتقاد بها ونبذ كل ما يعارضها ، وألفوا في ذلك كتباً وتآليف ، وسموا هذا الجغرافية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، الجغرافية المسيحية وعضوا عليها بالنواجذ ، وكفروا كل من لم يدن بها .

---

١ . الديالكتيك كلمة يونانية ولعل اشتقاقها الأصلي من ((ديالوج)) بمعني محادثة .. مجادلة .. مجاذبة أطراف الكلام ((أنظر نقض أوهام المادية الجدلية)) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي . دار الفكر . ط ١ ١٣٩٨ هـ ص ١٧ .

٢ . ص ١٧٥ ط ٦ ١٣٨٥ هـ دار الكتاب العربي بيروت .

اضطهاد الكنيسة للعلم ، وكان ذلك في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني ، فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها في صرامة وصراحة ، واعتذروا عن عدم اعتقادهم والإتيان بها بالغيب ، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية واختباراتهم ، فقامت قيامة الكنيسة وقام رجالها المتصرفون بزمام الأمور في أوروبا وكفروهم واستحلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي . وأنشأوا محاكم التفتيش .. ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وأربعون ألفاً أحياء كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو ..

وهكذا عوقب العالم الشهير غليلو **Galilo** بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس .

وقد أعلن كوبرنيكس أن الشمس مركز الكون لا الأرض كما تقول الكنيسة ، وأعلن باستور [1] أن الميكروبات هي المسببة للأمراض وليس غضب الإله ، وأن مانعات الصواعق ليست محرمة ولا تحارب السماء [2] . فدب العداء في وجه الدين بسبب تصرف رجال الكنيسة ، فقامت ردة فعل منحرفة لا نحراف الكنيسة . ونحن إذ لا نلومهم على عدائهم للكنيسة – بل هو أمر مطلوب – فإننا نلومهم على عدائهم للدين ، وكان الأولى بهم أن يأخذوا بموقف الدكتور فيكتورهيجو المفكر والأديب الفرنسي إذ قال : (نحن مع الدين

---

١ . قال في دائرة معارف القرن العشرين ص ٢١ ج ٢ (هولويز باستور كيماوي فرنسي ولد عام ١٨٢٢م وتوفي عام ١٨٩٥ م) .

٢ . بين الإلحاد والتوحيد لعبد العزيز حسين ص ٢٢ ط ١ ١٣٨٩ هـ .

على رجاله)[1] وهي عبارة دقيقة إذ الدين غير الرجال ، وإن كانت القدوة مطلوبة ، لكن العبرة بالنصوص لا بالتصرفات ، وهنا تتجلى عظمة الإسلام في قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فلا قدوة إلا هو حقيقة وما أحلى قول الإمام مالك رضي الله عنه : (كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة)[2] .

إضافة إلى ما سبق فقد فتح المجال ((مع حرية الرأي)) أمام وسائل الإعلام داعية للتفلت والعربدة وظهرت الأقلام المأجورة والدعاة المرتزقة للإلحاد ، وكان أبرزهم في هذه المنطقة الدكتور شبلي شيمَّل[3] . وظهرت طبقة تنادي بتقليد أوروبا في كل شيء لنصل إلى ما وصلوا إليه من تقدم وحضارة ، وطالبوا بالثورة على الدين لنتقدم ، حيث أن أوروبا ثارت على دينها فتقدمت . وما علموا أن اوروبا غير بلادنا نحن المسلمين ، وأن دينها غير ديننا . ثم إنهم لم يفرقوا بين الدين أصلاً وبين الذين ادعوا تمثيله . إن اضطهاد رجال الكنيسة للعلماء أمر غريب في ديننا ، إذ لم يثبت في التاريخ أن عالماً اضطهد لقوله بنظرية علمية أو اكتشاف عقلي ، بل الإكرام والاحترام للعلم والعلماء ، ولم تخل مجالس الحكام من جلسات العلماء . بل لم يكن عندنا فصل بين الدين والدولة . وليس هناك تضارب بين أحكام كتابنا وما جاء به العلم كما سيأتي بيانه . لكنه التقليد الأعمى والحقد الدفين وبخاصة إذا علمنا أن

---

١ . المرجع السابق ص ٢١ .

٢ .أنظر كتاب (الأئمة الأربعة) للدكتور أحمد الشرباصي دار الجيل بيروت .

٣ . طبيب لبناني ولد في كفر شيما عام ١٢٦٩ هـ وتوفي في القاهرة عام ١٣٣٥ هـ درس في الجامعة الأمريكية في بيروت وله مؤلفات ضمنها إلحاده . أنظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٢٧ .

زعماء الإلحاد في البلاد العربية معظمهم من النصارى [1] ، والملحدون لم يكتفوا بإلحادهم في أنفسهم – هذا أمر طبيعي ومنطقي ، والأولى بأصحاب الدعوة الحقة أن يفعلوا ذلك – بل أخذوا ينشرونه واتبعوا في ذلك أساليب شتى من التضليل والتزييف ((فعمموا الخاص، وخصصوا العام وزادوا ووضعوا ، على ما ليس في الأصل كالزيادة على أصل ما قاله بعض الناس ، وحذفوا قيوداً وشروطاً لازمة في الأصل ، وطرحوا أفكارهم مختلفة للتضليل بها ، وتصيدوا الاجتهادات الضعيفة لبعض العلماء ، وجعلوها هي الإسلام مع أنها اجتهادات مردودة . وأخذوا بعض ما عند الفرق التي تنتسب إلى الإسلام ، ونسبوه إلى الإسلام وهو منه براء . وزوّروا على بعض الناس أقوالاً ما قالوها ، وكتموا ما صح من الأقوال ولم يتعرضوا له ، وأوهموا أن العلوم المادية ملحدة وهي على العكس [2] ، وأساليب أخرى كلها يقصد منها التضليل والتزوير وهي أساليب كاذبة . والكذب ينكشف ولو بعد حين . وهذه الأساليب تعبر عن نفسية أصحابها ، فهم غير باحثين عن الحقيقة ، بل هم معاندون مستكبرون دفعهم التعصب المذهبي والسياسة الحزبية إلى الإلحاد ، حتى أنهم ينشطون في نشر إلحادهم خوفاً من انتشار الأفكار التي تدعو للإيمان والتي لا تبقى لهم مجالاً [3] .

وبعد هذه الفكرة الموجزة نبدأ باستعراض أهم الحجج التي تمسكوا بها ونناقشها واحدة تلو الأخرى ، حيث سيتضح لنا أن كل من يتمسك بالإلحاد ما هو إلا معاند مكابر ، لأن الحق واضح لمن يريده ويبحث عنه . وأن الإلحاد قام على غير أساس ولا منطق . ومع هذا

---

١ . والمصيبة أن يدعي هؤلاء أنهم سيحررون فلسطين ويصدقهم الناس .

٢ . بتصرف عن ((صراع مع الملاحدة حتى العظم)) لعبد الرحمن حبنكه الميداني ص ١٥ ط ١ ١٣٩٤ هـ دار القلم بيروت . دمشق .

٣ . بتصرف عن ((حوار بين الإلهيين)) للدكتور محمد الصادقي ص ٢٤ دار التراث الإسلامي . بيروت .

فإننا لا نستغرب وجود أناس يدّعون الإلحاد والإنكار ، لأنه قد وجد في البشر من هو أشد منهم إنكاراً فبعض الفلاسفة السوفسطائيين مثل بروتا جوراس ، وجورجياس قد أنكر الوجود الحقيقي للعالم المادي فليس غريباً أن ينكر الملحدون العالم غير المادي [1].

وإليك أهم الشبه التي يتمسكون بها :

إنكار وجود الإله

هذه هي الحجة الرئيسة إذ أن أساس الغيبيات هو الله تعالى ، بل حقيقة وجوده كبرى اليقينيات ، فمن أنكره فقد أنكرها . وهم قد قطعوا الطريق على بقية الغيبيات ، فهم من باب أولى ينكرون الجنة والنار ، والبعث والجن والملائكة .. إلخ . يقول جوليان هكسلي : ((والإله والآلهة والجن والأرواح وغيرها من الأشياء الصغيرة الروحية من عمل الإنسان ، وناشئة حتماً عن نوع من الجهل ودرجة من العجز أمام بيئته الخارجية)) [2] وفي نقاش لابن أبي العوجاء مع الإمام جعفر الصادق قال : (يا أبا عبد الله لقد قلت فأحلت على غائب) [3] وسأل الديصاني جعفر الصادق فقال : ((تزعمون أن لنا خالقاً فدلني عليه)) [4] ويقول ماركس : (لا إله والحياة مادة) وحجتهم في إنكار الإله في أنهم لم يروه ، ولهذا طالب أجدادهم برؤية الله تعالى كي يؤمنوا قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا

---

١ . بتصرف عن ((الله ذاتاً و موضوعاً)) لعبد الكريم الخطيب ص ١٢٦ ط ٢ ١٣٩١ هـ دار الفكر العربي .

٢ . الإنسان في العلم الحديث . لجوليان هكسلي . ترجمة حسن خطاب مكتبة النهضة المصرية ص ٢٢٣ .

٣ . أنظر ((الحياة بعد الموت)) لرضا المطوف السماوي ص ٩٩ ط ١ دار الزهراء بيروت ١٣٩٣ هـ .

٤ . المرجع السابق .

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] وقال : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧] .

وهذه حجة باطلة بطلاناً بيناً لكل منصف ، إذ متى كان للإنسان أن ينكر شيئاً لمجرد عدم رؤيته له ، وهذه أرواحنا السارية في أجسامنا لا نسمعها ولا نراها ولا نلمسها ولا نشمها ولا نذوقها ، ومع ذلك فهي موجودة فينا حقاً نؤمن بها ونحرص عليها كل الحرص ، بل بها نحس وبها نتألم وبها نسرّ وفيها بقاؤنا . ونحن وإن لم نحس بأرواحنا إحساساً ظاهراً فقد آمنا بها استدلالاً من آثارها فينا ، بل علْمنا بها أمر بدهي لا يحتاج إلى دليل . وهناك أشياك كثيرة ندركها بآثارها : قطعتان من حديد إحداهما مشحونة بقوة مغناطيسية والأخرى غير مشحونة ، لا نستطيع أن نفرق بينهما إلا إذا عرّضناهما لبرادة الحديد ، فإذا انجذبت البرادة نحو القطعة ، فإننا بالاستدلال العقلي ندرك أنها مشحونة والأخرى غير مشحونة [١] .

والطيور المهاجرة تعرف طريقها بدون حواس [٢]

((أنا لا أرى نملة تمشي على بعد ثلاثة أميال مع أنها موجودة ، ولا أرى الجراثيم والحوينات في كأس ماء صاف مع أن الحيوانات تملؤه بالملايين ولا أشم رائحة السكر مع أن النملة والذباب تشمه)) [٣] ويقول الطنطاوي : ((تعجز عيوننا عن رؤية الملائكة والجن كما

---

١ . العقيدة الإسلامية وأسسها . لعبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٢٣ ط ٢ دار القلم ١٣٩٩ هـ .

٢ . ((الله)) مصطفى محمود ص ١١٠ وبعدها .

٣ . المرجع السابق ص ١٥٣ .

تعجز عن رؤية الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء ورؤية الموجات الصوتية ورؤية التيار الكهربائي))[1] .

إن عدم الإدراك لا يعني عدم الوجود . وقد تقدم الحديث عن الحواس وأنها محدودة عاجزة عن إداراك كل شيء ، بل هي تدرك شيئاً لا يذكر مما هو في الوجود حقاً .

وإذا بقي الملحدون متمسكين بما تدركه الحواس فقط ، فعليهم أن يمحوا من قاموس العلم الطبيعي أشياء كثيرة لا يرونها ، وإنها يفترضون وجودها بحكم الضرورة إليهما مثل الأثير والأشعة الكونية والجاذبية العامة والنسبية وأشعة إكس وجاما وفوق البنفسجية وتحت الحمراء والأمواج الصوتية للراديو والتليفزيون[2] . إن حواسنا محدودة ولو كانت أكثر مما هي الآن أو لو منحنا حواس أخرى لاكتشفنا من حولنا أشياء كثيرة هي الآن مغيبة عنا لأننا لا نحس بها ، إذ لا توجد لدينا الحاسة الخاصة التي تمكننا من اكتشافها، أليس في هذه الأجهزة التي تدل على درجات الحرارة والضغوط الجوية ومقادير الكثافة – إلى غير ذلك من الأجهزة المختلفة – ما يشير إلى نقص كبير في حواسنا ؟ وقد كان من الممكن عقلاً أن نؤتى الحواس التي ندرك بها ما تتحسه هذه الأجهزة وتدل عليه . كيف بنا لو أوتينا قوة الإحساس به دون أن نراه كما يحس به المغناطيس ؟.

ومن طرائف أجوبة الفطرة على مثل هذا الاتجاه نكتة يقال إنها وقعت في مدرسة ابتدائية حيث وقف المعلم يقول للطلاب : أترونني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذن أنا موجود ، أترون

---

١ . بتصرف عن ((بين الإلحاد والتوحيد)) ص ٣٥ .

٢ . بتصرف عن ((العقيدة الإسلامية وأسسها)) عبد الرحمن حبنكه الميداني . ص١٥ .

اللوح ؟ قالوا : نعم ، قال : فاللوح إذن موجود ، أترون الطاولة ؟ قالوا : نعم ، قال : فالطاولة إذن موجودة . قال أترون الله ؟ قالوا : لا ، قال : فالله إذن غير موجود . فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال : أوترون عقل الأستاذ ؟ قالوا : لا . قال : فعقل الأستاذ إذن غير موجود [1] . ويقول العقاد عن هؤلاء الحسيين : ((ويجيء الماديون في الزمن الأخر فيحسبون أنهم جماعة تقدم وإصلاح للعقول ، وتقويم لمبادئ التفكير ، والواقع أنهم في إنكارهم كل ما عدا المادة يرجعون القهقرى إلى أعرق العصور في القدم ، ليقولوا الناس مرة أخرى إن الموجود هو المحسوس ، وإن المعدوم في الأنظار والأسماع معدوم ، وكذلك في ظاهر الوجود وخافيه . وكل ما بينهم وبين همج البداءة من الفرق في هذا الخطأ أن حسهم الحديث يلبس النظارة على عينيه ويضع المسماع على أذنيه ويحسبون على هذا أنهم يلتزمون حدود العلم الأمين حيث يلتزمون حدود النفي [2] . ولابن حزم الأندلسي كلام طيب في الرد على هؤلاء إذ يقول : ((هل تدرك حقيقة شيء عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة أو لا يدرك شيء من الحقائق إلا من طريق الرؤية فقط ؟ فإن قالوا إنه قد تدرك الحقائق من غير طريق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه ، إذ قد أوجبوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة وقد نفوا ذلك قبل هذا ، فإذا صاروا إلى الاستدلال نوظروا في ذلك ، إلا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد الله تعالى .

فإن قالوا لا يدرك شيء إلا من طريق المشاهدة قيل لهم فهل شاهدتم شيئاً قط لم يزل ؟ فلا بد من نعم أو لا ، فإن قالوا لا صدقوا وأبطلوا استدلالهم ، وإن قالوا نعم كابروا وادعوا

---

١ . بتصرف عن ((الله)) سعيد حوى ص ٧ مكتبة وهبة القاهرة .

٢ . ((الله)) عباس محمود العقاد دار المعارف بمصر ط ٥ ص ٥٦ .

مالا سبيل إلى مشاهدته إذ مشاهدة ، قائل هذا القول للأشياء هي ذات أول أو بلا شك ، وذو الأول هو غير الذي لم يزل ، لأن الذي لم يزل هو الذي لا أول له ولا سبيل إلى أن يشاهد ماله أول ما أول له مشاهدة متصلة فبطل هذا الاستدلال على كل وجه))[1] .

وهذا الرد من أفضل الردود على الحسيين إذ لم يبق لهم مجالاً يطرقونه أو يلجأون إليه ويتمسكون به ، فسار معهم في كل ما يخطر على بالهم ، وأبطل كل الاحتمالات إلا الاحتمال الذي ينقض نظريتهم ويلزمهم بالحق ، وهو الإيمان بما وراء الحواس وأنها محدودة قليلة ضعيفة .

ومما يرد به على الحسيين والمنكرين لوجود الله تعالى أن امتياز الإنسان بالعقل يحتم عليه أن يستعمل عقله في الحكم على الأشياء وأهمها وجود الله تعالى .

وكل العاقلين المنصفين الذين بحثوا بدقة وإخلاص توصلوا إلى وجود الحق تعالى . وقد جمع كتاب ((الله يتجلى في عصر العلم)) أقوالاً كثيرة لعلماء في شتى المجالات ، تحدثوا عن إيمانهم وتوصل عقولهم إلى الله تعالى . وليس نقصاً في العقل أن يؤمن بالله تعالى ، إذ هو يؤمن بأشياء أخرى كثيرة لا يراها صاحبه ((الإنسان))[2] . يقول الدكتور الصادقي : ((وللعقل دور إذ أنه يدرك المعضلات والعويصات غير المادية في الحساب والجبر وما إليها من أحكام وتصديقات كلية خارجية عن ظروف المادة وملابساتها)) . ولهذا فقد احترم الإسلام ((وهو دين يؤمن بالغيب)) العقل . ورفض علماء العقيدة إيمان المقلد ، لقوله تعالى :

---

١ . الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١١، ١٠ ج ١ .

٢ . حوار بين الإلهيين والماديين ص ٣٧ الدكتور محمد الصادقي دار التراث الاسلامي بيروت .

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] وذم القرآن المشركين بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] .

يقول عبد الكريم الخطيب : ((إن وجود العالم غير المادي يدلّل عليه بالعقل ، حيث إن من مألوف العقل أن يقابل بين الأشياء ، وبما أن العقل يقرر وجود العالم المادي فلا بد من وجود العالم غير العادي)) [1] .

هذا ورغم كل الأدلة الدامغة على وجود الله عز وجل ((وهو رأس الغيب)) إلا أن الملحدين استمروا في إلحادهم واتبعوا أساليب شتى يعللون إلحادهم بها ، ومنها أنهم جعلوا صفات الله عز وجل مدخلاً للإلحاد وقد هددهم الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾ [فصلت: ٤٠] . وقد تولى أبو محمد بن حزم الرد عليهم فقال : ((وقالوا أيضاً إن كان للأجسام محدث [2] لم يخل من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون مثلها من جميع الوجوه ، وإما أن يكون خلافها من جميع الوجوه ، وإما أن يكون مثلها من بعض الوجوه وخلافها من بعض الوجوه . قالوا فإن كان مثلها من جميع الوجوه لزم أن يكون محدثاً مثلها وهكذا في محدثه أيضاً أبداً . وإن كان مثلها في بعض الوجوه لزمه أيضاً من مماثلتها في ذلك البعض ما يلزمه من مماثلته لها في جميع الوجوه من الحدوث ، إذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه للكل ولا فرق . وإن كان خلافها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلها

---

١ . الله ذاتاً وموضوعاً دار الفكر العربي ص ١٢٧ .ط ٢ . ١٣٩١ هـ .

٢ . أي أنهم يفترضون جدلاً وجود الخالق وإلا فهم في الحقيقة ينكرون ذلك .

لأن هذا هو حقيقة الضد والمناقض ، إذ لا سبيل إلى أن يفعل الشيء خلافه من جميع الوجوه كما لا تفعل النار التبريد)) [1].

((قال أبو محمد يقال لمن قال لو كان للأجسام محدث لم يخل من أحد ثلاثة أوجه : إما أن يكون مثلها من جميع الوجوه أو من بعض الوجوه لا من كلها أو خلافها من جميع الوجوه إلى انقضاء كلامهم . بل هو تعالى خلافها من جميع الوجوه ، وإدخالكم على هذا الوجه أنه حقيقة الضد والنقيض . والضد لا يفعل كما لا تفعل النار التبريد ، إدخال فاسد لأن الباري تعالى لا يوصف بأنه ضد لخلقه [2] ، لأن الضد هو ما حمل حمل التضاد ، والتضاد هو اقتسام طرفي البعد تحت جنس واحد [3] فإذا وقع أحد الضدين ارتفع الآخر ، وهذا الوصف بعيد عن الباري تعالى ، وإنما التضاد كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون ، أو الفضيلة والرذيلة اللتين يجمعهما الكيفية والخلق ، ولا يكون الضدان إلا عرضين تحت جنس واحد ولا بد ، وكل هذا منفي عن الخالق عز وجل ، فبطل بالضرورة أن يكون عز وجل ضداً لخلقه . وأيضاً فإن قولهم لو كان خلافاً لخلقه من جميع الوجوه لكان ضداً لهم قول فاسد ، إذ ليس كل خلاف ضداً [4] . فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا الحدوث فقط وليس ضداً له . ويقال أيضاً لمن قال هذا القول هل تثبت فاعلاً وفعلاً على وجه من الوجوه أو تنفي

---

١ . الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٠ ج ١ .

٢ . الله ليس ضداً لخلقه لا بمعنى أنه يكرههم ويعاديهم ولا بمعنى أنه يماثلهم ويوازيهم ويقابلهم .

٣ . مثال ذلك أننا نصف المسلم بأنه ضد الكافر ، حيث يشتركان في جنس واحد (الإنسان) وهما متعارضان في الفهم من حيث الاعتقاد .

٤ . الأئمة الأربعة اختلفوا فيما بينهم لكن هذا الاختلاف لا يعني أنهم ضد بعضهم البعض وقد كتب الإمام الشافعي كتاباً سماه (خلاف مالك) ومعلوم أن الشافعي تلميذ مالك .

أن يوجد فاعل وفعل البتة ، فإن نفى الفاعل والفعل البتة كابر العيان ، لإنكاره الماشي والقائم والقاعد والمتحرك والساكن ، ومن دفع بهذا كان في نصاب من لا يكلم [١] . وإن أثبت الفعل والفاعل فيما بيننا قيل له هل يفعل الجسم إلا الحركة والسكون ؟ فلا بد من نعم ، والحركة والسكون خلاف الجسم وليسا ضدين له ، إذ ليس معه تحت جنس واحد أصلاً ، وإنما يجمعهما وإياه الحدوث فقط ، فلو كان كل خلاف ضداً كان الجسم فاعلاً لضده وهو الحركة أو السكون ، وهذا هو نفس ما أبطلوا ، فصح بالضرورة أنه ليس كل خلاف ضداً ، وصرح أن الفاعل خلافه ولا بد من ذلك ، فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين [٢])) .

وفي شبهة أخرى لهم من خلال الصفات أيضاً قال : ((وقالوا أيضاً لا يخلو إن كان للعالم فاعل من أن يكون فعله لإحراز منفعة أو لدفع مضرة أو طباعاً أو لا لشيء من ذلك .

قالوا فإن كان فعله لإحراز منفعة أو لدفع مضرة فهو محل للمنافع والمضار وهذه صفة المحدثات عندكم فهو محدث مثلها . قالوا وإن كان فعله طباعاً ، فالطباع موجبة لما حدث بها ففعله لم يزل معه . قالوا وإن كان فعله لا لشيء من ذلك ، فهذا لا يعقل وما خرج من المعقول فمحال)) [٣] .

((قال أبو محمد ويقال لمن قال لا يخلو من أن يكون محدث الأجسام أحدثها لإحراز منفعة أو لدفع مضرة أو طباعاً أو لا لشيء من ذلك إلى انقضاء كلامهم . أما الفعل لإحراز

---

١ . أي قيمته كالحيوان والمجنون لا يعاتب على فعل ولا يعاقب على جريمة .

٢ . الفصل ص ١٢ ج ١ .

٣ . الفصل ص ١٠ ج ١ .

منفعة أو لدفع مضرة ، فإنما يوصف به المخلوقون المختارون [1] ، وأما فعل الطباع فإنما يوصف به المخلوقون غير المختارين [2] . وكل صفات المخلوقين فهي منفية [3] عن الله تعالى الذي هو الخالق لكل ما دونه . وأما القسم الثاني وهو أنه فعل لا لشيء من ذلك فهذا هو قولنا ثم نقول لمن قال إن الفعل لا لشيء من ذلك أمر غير معقول [4] ، ماذا تعني بقولك غير معقول ؟ أتريد أنه لا يعقل حساً ومشاهدة ؟ قلنا لك صدقت ، كما أن أزلية الأشياء لا تعقل حساً ومشاهدة .

وإن قلت إنه لا يعقل استدلالاً ، كان دعوى منك مفتقرة إلى دليل ، والدعوى إذا كانت هذه فهي ساقطة . فالاستدلال بها ساقط ، فكيف والفعل لا لشيء من ذلك متوهم ممكن غير داخل في الممتنع ، وما كان هكذا فالمانع منه مبطل والقول به يعقل فسقط هذا الاعتراض . ثم نقول لما كان الباري تعالى بالبراهين الضرورية خلافاً لجميع خلقه من جميع الوجوه ،

---

١ . كالجن والإنس .

٢ . كالحيوانات .

٣ . قال تعالى : ﴿ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ .. ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال (ولا يخاف عقباها) [الشمس: ١٥] وقال ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧] وقال تعالى ﴿ رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾ [الذاريات: ٥٧ – ٥٨]

٤ . كأن المعارض يريد التنزيه لله تعالى عن أن يفعل شيئاً هكذا دون أية حكمة نعرفها ، وهذا حق ، ورحم الله أبا محمد إذا لم يفصل القول في هذه النقطة . وكان الأولى أن يقال ((والله أعلم)) بل فعل ذلك لحكمة وهذا كاف في إثبات التنزيه لله تعالى . ومع هذا فالحكمة ليست كما ظن المعارض أنها لجلب منفعة أو لدفع مضرة . فهناك خمسة وجوه ١ – لجلب المنفعة ٢ – دفع مضرة ٣ – لجلب منفعة ودفع مضرة ٤ – لا لشيء أي عبثاً ٥ – لحكمة لا نعلمها .

وجميع خلقه لا تفعل إلا طباعاً أو لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة فوجب أن يكون فعله تعالى بخلاف ذلك وبالله التوفيق))[1].

وهكذا لم يبق منفذ إلا سلكوه ، لكنهم يصطدمون بكلمة الحق تدمغهم وتردهم على أعقابهم . لكنهم يراوغون كالثعالب فإذا ما سدت أمامهم طريق لجأوا إلى آخر وهكذا .

الصدفة

ومما احتج به الملحدون على إنكار الإله والغيبيات ، أن هذا الكون لا يحتاج إلى موجد يوجده ، بل وجد هذ الكون صدفة دون تقدير ولا تدبير ، بل محض اتفاق فلا خالق وراءه . وهذه هي أوهى الحجج ، وأكتفي بالقليل في الرد عليهم مبتدئاً بقول سقراط لأرستوديم ((وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطي الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة ، وعين ترى وأذن تسمع وأنف يشم ولسان يتذوق والعين تحاط بحراسة لحمايتها وضعفها فتقفل عند النوم أو عند الحاجة وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت ، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟ والطفل الذي يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الإتفاق ؟[2])) . وقصة أحد الملاحدة مع أحد[3] علماء الإسلام مشهورة ، ففي مجلس من مجالس بغداد تواعد الملحد والعالم في ساعة محددة ، فحضر الملحد ولم يحضر العالم . وبقي الجميع في الانتظار ساعات حتى كادوا

---

١ . الفصل ص ١٣ ج ١ .

٢ . عقيدة المسلم وما يتصل بها . لعبد الحميد السائح ط ١ مطابع وزارة الأوقاف الأردنية عمان . ص ٩٩ .

٣ . يقول الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه ((الأئمة الأربعة)) ص ٥٨ إن هذا العالم هو أبو حنيفة .

ينفضوا ، وإذا بالعالم يدخل محيياً ويعتذر عن تأخيره بسبب عجيب . فلما سألوه عن السبب قال : لما انتهيت إلى ضفات دجلة وأنا في طريقي إليكم رأيت شجرة ضخمة تهوي إلى النهر من تلقاء نفسها ، ثم شاهدتها تتقطع قطعاً متشابهة متشابكة منظمة ، ثم أبصرت هذه القطع تتلاقى وتتلاحم على شكل زورق ، ثم سال عليها القار ، ودخلت فيها المسامير ، فأصبحت زورقاً جميلاً رائعاً ثم رأيت هذا الزورق يقف عند الضفاف من تلقاء نفسه فإذا ركب به الناس سار بلا مجداف ولا سائق حتى يصل بهم إلى الجانب الآخر . فإذا ركب الناس من ذلك الجانب سار بهم إلى الجانب الأول وهكذا وكان هذا هو العجب الذي رأيته وسبب لي التأخير . وما أن أتم كلامه حتى ضحك الملحد بسخرية واستهزاء قائلاً : إني لآسف من تضييع الوقت في انتظار هذا الرجل الأحمق السخيف ، فالتفت إليه العالم وقال : إذا كان هذا غير ممكن عقلاً ومعتقده أحمق سخيف ، فكيف بوجود الأراضين والسماوات والكواكب والكائنات[1] . وقد كتب الملحد جوليان هكسلي كتاباً سماه (**Man stands alone**) أي الإنسان يقوم وحده فلا يحتاج إلى الإله الذي يلجأ إليه المحرومون . وكان هذا الملحد مروجاً لفكرة الصدفة ، فوقف ضده العالم الأمريكي (كريس موريسون) ورد عليه في كتاب (**Man does not stand alone**) أي الإنسان لا يقوم وحده ، وترجم الكتاب بإسم (العلم يدعو للإيمان) ورد فيه على فكرة الصدفة قائلاً : ((خذ عشر بنسات كلا منها على حدة وضع عليها أرقام متسلسلة من ١ إلى ١٠ ، ثم ضعها في جيبك وهزها هزاً شديداً ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من ١ إلى ١٠ ، ففرصة سحب البنس

---

١ بتصرف عن (الله بين الفطرة والدليل) بقلم الشيخ محمد حسين آل ياسين مطبعة الجبلاوي بمصر / شبرا / ط ٥ ١٣٩٨ هـ ص ٩ .

رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠ ، وفرصة سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠ ، وفرصة سحب البنسات التي عليها أرقام ١ و ٢ و ٣ متتالية بنسبة ١ إلى ١٠٠٠ ، وفرصة سحب ١و ٢و ٣ و٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠ وهكذا حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول من ١ إلى ١٠ هي بنسبة واحد إلى ١٠ مليون))[١].

وهذا مثل بسيط يبين كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد الصدفة أو المصادفة . ولا بد للحياة فوق أرضنا هذه من شروط جوهرية عديدة ، ولا بد من ترابط وتقابل على صورة مستحيلة حسابية ، ولا بد لتوافرها من توجيه سديد وعقل لا نهائي وليس مجرد صدفة عمياء . ففكرة الصدفة ساقطة في ميزان العقل والعلم ، أحببت أن أرد عليها بقول فيلسوف من الفلاسفة حيث يتذرع أهل الإلحاد بأنهم فلاسفة ، ورددت على الصدفة كذلك بقول عالم علماء الغرب حيث يدعي الملحدون التقدم الحضاري وأن العلم يرفض الإيمان . ورددت عليهم بقول عالم من علماء الإسلام لأبين أن المسلمين غير عاجزين في الرد ، بل لديهم الردود السهلة الواضحة . والآن ننتقل إلى شبهة أخرى تمسك بها الملحدون وهي شبهة .

الطبيعة

فقد احتج الملحدون على إلحادهم وإنكارهم لذات الله بالطبيعة ، حيث قالوا إن الكون لا يحتاج إلى خالق بل الطبيعة ولا شيء غير ذلك ، يقول سعيد حوى : ((حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول : من خلق السماوات والأرض ؟ يقول لك الطبيعة ! من خلق النبات والحيوان ؟ يقول لك الطبيعة ! من خلق الإنسان ؟ يقول لك الطبيعة! فما هي الطبيعة ؟ وما

---

١ . ص ٥١ العلم يدعو للإيمان - كريسي موريسون . ترجمة محمود صالح الفلكي ط ٦ ١٣٩١ هـ مكتبة النهضة بمصر

هي مفاهيمها ؟ وما حقيقة تأثيرها ؟ الطبيعة في اللغة السجية والخلق . غير أن للطبيعة اليوم في عقول الناس حسب تفاوتهم مفهومين . الأول : عبارة عن الأشياء بذاتها فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة ، وهو مفهوم غير دقيق وحكم غير سديد ، كما سيتبين لك . الثاني : أنها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها ، فهذه الصفات من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوبسة وملاسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو واغتذاء وتزاوج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي الطبيعة .

أما الأول : فلا يخرج بالطبيعة بالنسبة لخلق الوجود عن تفسير الماء بالماء، فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء . وبطلان هذا القول بين . وهذا قول يرفضه قانون السببية .

وأما الثاني : فالحقيقة أن الذين يعزون الخلق إلى تلك القابليات والخصائص لا يعدون عن كونهم وصافين لتلك الظواهر لا يعرفون كنهها .

ونضرب المثال التالي : تضع حبة في التراب وتسقيها بالماء ، فتنتفخ وتنفلق فيظهر منها الرشيم ، ويندفع منه الجذر إلى أسفل ، والساق إلى الأعلى ، وتنشأ الأوراق فالأزهار فالثمار وتكون الحبة قد أنتجت تفاحاً مثلاً . فالقابلية التي كانت في الحبة هي الانتفاخ والانفلاق وظهور الرشيم .. ولولا هذه القابليات المتوالية لما اطردت تلك الظواهر الحيوية ، ولما نشأت عنها الثمرة . فلنأت إلى هذه القابلية بالذات نبحث عن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء . فمن الذي نفخها وخلقها ؟ لو كان للحبة عقل وتدبير لقلنا إن عقلها هو الذي هيأ لها ذلك ، ولو أن الماء هو الذي نفخها وخلقها لأمكن للماء أن ينفخ الحديد ويغلقه إذن فلابد من مؤثر وقبول لتأثير ذلك المؤثر .

خلاصة القول في الطبيعة أنها أما القول بأن الأشياء حدثت ذاتها ، وهو قول ساقط من كل اعتبار ، وأما القول بأن الصفات تخلق الذات وهذا أشد داعياً من القول الأول ، لأنه إذا عجزت ذات الشيء عن خلقه فكيف تستطيعه الصفات ؟)) [1] .

فالاحتجاج بالطبيعة أمر منقوض [2] باطل بل إن أصحابها المرددين لها لا يعرفون معناها، وهذه مشكلة المشاكل بل هي كافية في الرد عليهم قال في قصة الإيمان : ((زعم بعضهم أن أصل الحياة كرية بسيطة ذات خلية واحدة . وزعم آخرون أن الحياة عبارة عن كتل زلالية حية صغيرة هي أدنى من ذات الخلية الواحدة وأبسط ، لذلك سموها (مونيرا) أي الوحدة البسيطة في اليونانية ، وزعموا أنها تتكون من الجماد (بالتولد الذاتي)، ومن أشهر القائلين بذلك العالم البيولوجي الألماني آنست هيكل . يقول هيكل : إن الكون مؤلف من المادة ، والمادة مؤلفة من الذرات ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون .. وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدئ من أبسط الذرات وينتهي إلى أرقى الكائنات ، فهذه الكائنات كلها حيها وجمادها تتألف من عناصر واحدة لا فرق في ذلك بين حي وغير حي ، لأن عناصر المواد العضوية موجودة بذاتها في المواد غير العضوية .

---

١ . ((الله)) سعيد حوى ص ٩٠ بتصرف .

٢ . قال الشاعر :

هل في عقول الملحدين غباء	أم في عيون الملحدين عماء
أيجوز عقلاً أن عقلاً مبدعاً	قد أبدعته طبيعة بلهاء
وإذا الطبيعة أدركت وتصرفت	قلنا الطبيعة والإله سواء
الله أحيا الكائنات بسره	فبصمتها تتخاطب الأشياء
يا شاملاً كل الوجود بحكمة	عبدتك أرض أذعنت وسماء

وإن بالإمكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية . وعلى هذا الأساس يقول هيكل إن أبسط أنواع الحيوان نشأت من مادة ((غير حية)) بطريق ((التولد الذاتي)) . التوازن دقيق جداً إلى حد أنه قد يكون نقص جزء واحد أو زيادة جزء واحد من أحد العناصر سبباً في نشوء الحياة أو تعطل نشوئها . لكن هيكل وغيره من الماديين يقفون عاجزين عن معرفة سر نشأة الحياة الأولى من الجماد . يقول بختر [1] : ((إن البت في أمر التولد الذاتي للكرية الأولى التي نشأ عنها الأصل الأول غير متيسر ، لأن الأحوال المناسبة لتولد الكرية الأولى تولداً غير معروفة ، والكرية ذاتها على بساطتها ذات بناء وتركيب يمتنع معه صدروهما من الجماد مباشرة ، بل إن ظهورهما من الجماد ليعدُ في نظر العلم معجزة ليست أقل بعداً عن العقل من ظهور الأحياء العليا من الجماد رأساً [2] ومما ينقض نظرية التولد الذاتي :

(أ) اعتمادها على الصدفة ، والصدفة منقوضة .

(ب) كيف عرف هيكل هذا ؟ هل كان حاضراً ورأى ذلك قبل ملايين السنين ؟

(جـ) هل فعل ذلك علمياً ؟ .

(د) المواد غير العضوية التي ادعوا أن منها الحياة موجودة فلم لا يحاولون ؟ .

(هـ) من الذي أوجد المواد الأولية وقدر لها مقادير معلومة ؟ [3] .

---

١ . قال في الإسلام ونظرية دارون هامش ص ٣٧ (بختر عالم ألماني كبير ، من قادة الداروينيين وكبار الملحدين كان أستاذاً بجامعة ليبز . ولد عام ١٨٠١ م وتوفي عام ١٨٨٧ م) .

٢ . بتصرف عن قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص ١٨٨ .

٣ . بتصرف عن الإسلام ونظرية دارون ص ٣٢ .

ويفسر بعض الطبيعيين الحياة بأنها جاءت من كواكب أخرى على شكل جرثومة أو يقولون إنها وصلت إلى الأرض عن طريق نيزك أصاب الأرض . وهذا كلام خرافي من حيث أنه غير حقيقي ، فإن أحداً منهم لا يملك دليلاً على هذا بل مجرد ادعاء ، والدعوى بدون بينة تبطل . ثم كيف استطاعت الجرثومة أن تبقى على قيد الحياة في درجة الصفر المطلق في الفضاء ؟! وكيف نجت من الإشعاع الذي يقتل أمثالها ؟! وإذا بقيت حية فكيف وجدت لها المكان المناسب .؟! وكيف وجد هذا الاتفاق المدهش ؟! وكيف سلمت رغم الاشتغال الذي يحصل عندما يصطدم النيزك في جو الهواء ؟! وإذا سلمنا بكل ما سبق فكيف بدأت الحياة على الكوكب الأول ؟! [١] .

وهذا السؤال الأخير هو الذي حير الملاحدة . فقد ظنوا أنهم وصلوا إلى الحل الذهني للقضية ، لكنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلة لا تحل إلا بالإقرار بالخالق العظيم .

الكيمياء قادرة على خلق الحياة

وزعم بعض الملحدين أن الكيمياء العضوية قادرة على خلق الحياة إذا توافرت الأسباب والمدة الزمنية [٢] .

ويكفي في الرد على هؤلاء أنهم لم يفعلوا شيئاً حتى الآن . والتحدي قائم بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ

١ . بتصرف عن ((الله)) سعيد حوى ص ٤٠ .

٢ . بين الإلحاد والتوحيد ص ٣٢ .

ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾[الحج: ٧٣]((وقد حاولت روسيا أن تبرهن على إمكانية نشأة الحياة كيماوياً وذلك في زعمها كدليل تثبت به مذهبها الإلحادي،وكان أن كلفت بهذا الموضوع (أوبارين) رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي ، وطلبت منه أن يتفرغ للبحث في أمر واحد وهو مدى إمكانية إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي ، وبعد عمل متواصل قارب عشرين عاماً أعلن حوالي سنة (١٩٦٢ م) عن انتهائه من دراسة هذا البحث ، وأعلن عن النتيجة التي توصل إليها في تقرير رسمي إذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم إذ ذاك ، وهي أن العلم الكيميائي عاجز عن إيجاد الحياة في المخبر ، والعلم لا شأن له إلا بالمادة المحسة))[١].

قدم المادة والعالم

فالعالم القديم لا يحتاج إلى موجد أو خالق . والقديم لا أول له ولا نهاية ، فقالوا بقدم المادة وأزليتها[٢] . ((قالوا لا يخلو محدث الأجسام والجواهر والأعراض وهي كل ما في السماء (إن كان العالم محدثاً) من أن يكون أحدثه[٣] لأنه أو أحدثه لعلة ، فإن كان لأنه فالعامل لم يزل ، لأن محدثه لم يزل ، وإذ هو علة خلق فالعلة لا تفارق المعلوم ،وما لم يفارق من لم يزل ، فهو أيضاً لم يزل إذ هو مثله بلا شك فالعالم لم يزل . وإن كان أحدثه لعلة فتلك

---

١ . بتصرف عن ((الله)) سعيد حوى ص ٣٩ .

٢ . ليس هنا تلازم بين القول بالقدم والإنكار ، فبعض القائلين بالقدم لا ينكر وجود الله ولكن بعض الملحدين يقول بالقدم .

٣ . لأنه أي لأن الباري علة العالم ((أنظر هامش الفصل العاشر ص ١٠ ج ١ دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ط٢

العلة لا تخلو من أحد وجهين: إما ان تكون لم تزل وإما أن تكون محدثة ، فإن كانت لم تزل ، فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يزل . وإن كانت تلك العلة محدثة لزم في حدوثها سائر الأشياء من أنه أحدثها لأنه، أو لعلة ، فإن كان لعلة لزم ذلك أيضاً في علة العلة ، وهكذا أبداً ، وهذا يوجب محدثات لا أوائل لها قالوا وهذا قولنا . قالوا وإن كان أحدثها لأنه ، فهذا يوجب أن العلة لم تزل كما بينا آنفاً))[1] .

((قال أبو محمد : ويقال لم قال لا يخلو من أن يفعل لأنه أو لعلة ، هذه قسمة ناقصة ، وينقص منها القسم الثالث وهو لأنه فعل لأنه ولا لعلة أصلاً لكن كما شاء ، لأن كلا القسمين المذكورين أولاً وهما أنه فعل لأنه أو لعلة بطلا بما قدمنا هنالك إذ لعلة توجب إما الفعل أو الترك ، وهو تعالى يفعل ولا يفعل ، فصح ذلك أنه لا علة لفعله أصلاً ولا لتركه البتة ، فبطل هذا الشغب والحمد لله رب العالمين . فإن قالوا إن ترك الباري تعالى في الأزل فعل منه للترك ، ففعله الذي هو الترك لم يزل ، قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن ترك الباري تعالى الفعل ليس فعلاً أصلاً كما سيأتي بعد قليل))[2]

((وقالوا أيضاً لو كانت الاجسام محدثة لكان محدثها قبل أن يحدثها فاعلاً لتركها ، وقالوا وتركها لا يخلو من أن يكون جسماً أو عرضاً ، وهذا يوجب أن الأجسام والأعراض لم تزل موجودة[3] . ((وقال أبو محمد : ويقال إن ترك الفاعل أن يفعل الأجسام لا يخلو من أن يكون جسماً أو عرضاً إلى منتهى كلامهم ، إن هذه قسمة فاسدة بينة العوار ، وذلك أن

---

١ . الفصل لابن حزم ص ١٠ ج ١ .

٢ . الفصل لابن حزم ص ١١ ج ١ بتصرف قليل .

٣ . الفصل لابن حزم ص ١١ ج ١ .

الجسم هو الطويل العريض العميق وترك الفعل ليس طويلاً وعريضاً ولا عميقاً ، فترك الفعل من الله تعالى للجسم والعرض ليس جسماً ، والعرض هو المحمول في الجسم وترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس محمولاً فليس عرضاً ، فترك الله تعالى للجسم والعرض ليس جسماً ، والعرض ليس جسماً ولا عرضاً ، وإنما هو عدم ، والعدم ليس معنى ولا هو شيئاً ، وترك الله تعالى للفعل ليس فعلاً البتة بخلاف صفة خلقه ، لأن الترك من المخلوق للفعل (برهان ذلك) أن ترك صفة خلقه لأن الترك من المخلوق للفعل لا يكون إلا بفعل آخر منه ضرورة ، كتارك الحركة لا يكون إلا بفعل السكون وتارك الأكل لا يكون إلا باستعمال آلات الأكل في مقاربة بعضها بعضاً أو في مباعدة بعضها بعضاً وبتعويض الهواء وغيره من الشيء المأكول ،وكتارك القيام لا يكون إلا باشتغاله بفعل آخر من قعود أو غيره ، فصح أن فعل الباري تعالى بخلاف فعل خلقه ، وأن تركه للفعل ليس فعلاً أصلاً فبطل استدلالهم وبالله التوفيق))[1] . ((وحديثهم في قدم المادة طويل وشطحاتهم بعيدة ، فبعد أن قالوا بقدم المادة وأنه لا موجد ولا محرك لها ، قالوا إن هذه المادة متطورة بإستمرار ، وإن الكائنات الحية نتيجة لهذا التطور ، وأبرز مظاهر هذا التطور هو الإنسان[2] . ويقول الماديون إن هذا الكون والموجودات لا خالق لها ولا مدبر ، وإنما أجزاء الكون بما فيها الإنسان ، كآلة تتحرك بذاتها ، وفي اليوم الذي ينتهي فيه التعاون بين المادة والطاقة يختل فيه هذا النظام ، فالعين ليست للنظر وإنما نتيجة لترتيب خاص للمادة يوجد في العين ، وما المخ بأداة للتفكر والتأمل والشعور والعاطفة ، وإنما تفرز الأفكار والعواطف والإرادات من مادته كما تفرز

---

١ . الفصل لابن حزم ص ١٤ ج ١ .

٢ . بتصرف عن ((الإسلام والمبادئ المتسوردة)) لعبد المنعم النمر . دار القلم . القاهرة ط ١ ١٣٨٠ هـ ص ٤٦ .

الصفراء من الكبد ويفرز البول من الكلية . ولا مبرر للشعور بالحاجة إلى الآخرة لأن الكون ونظامه يجري بلا هدف ولا غاية بل طبيعة عمياء لا علم لها ولا شعور [1] .

وقضية التطور سيأتي تفصيلها عند مناقشة ((نظرية التطور)) وإن كان الملحدون أنفسهم تعلقوا ب (التطور) لتبرير إلحادهم ، وإلا فهم ملحدون قبل أن تطلق كلمة تطور ، لكنهم يمسكون بكل ما يجعلهم في نظر الناس البسطاء أنهم القمة والمتقدمون وأن مخالفيهم عكس ذلك . مع العلم أنهم لا يملكون الأدلة على كلامهم في التطور ، بل هو رجم بالغيب وهم إذ يعيبون على المؤمنين قولهم بأفكار غيبية ، نراهم يغرقون في غيبيات لا تعتمد إلا على الخيال بينما غيبيات المؤمنين تعتمد على عالم الغيب خالق الأكوان . أما كلامهم في أن الإنسان آلة وأنه يتحرك طبقاً للعلاقة بين المادة ، فهذا أيضاً غيب لم يطلعوا عليه بل هو مهرب آخر لتفسير قولة الكون بلا محرك ، ولكن من أوجد هذه الآلة وهذه المادة وهذه الطاقة ؟ ومن الذي وضع ورتب العلاقة بينهما ؟ .

وقد زلت ألسنتهم فأشاروا إلى قيام الساعة بتفسيرهم الذي يسمونه علمياً بقولهم إن النظام يختل إذا بطل التعاون بين المادة والطاقة .

وها هم يؤلهون المادة فيرجعون كل شيء إليها ، وما أقبح كلامهم حول الفكر إذ اعتبروه كالبول يفرز كما يفرز البول من الكلية ، وهذا الكلام قد نقبل به إذا تحدثنا عن فكرهم إذ هو كالبول أو أدنى ، أما الفكر السليم الصافي فهذا ما لا تدركه أفكارهم وعقولهم . ثم من الذي قال لهم إن الكون يسير بطبيعة عمياء ؟ أو من يشاركهم في هذا ؟ لا بد أنهم ينظرون بعيون غير عيون البشر . والحق أن الناظر المنصف لأول وهلة وفي أي شيء وأبسط شيء،

---

[1] . بتصرف عن ((الإسلام) سعيد حوى ج ٤ ط ١ ١٣٨٩ هـ تحقيق وهبي سليمان العاوجي ص ١٣٤ .

يجد الدقة في الكون ، والنظام العجيب الدقيق الذي يدل على حكمة الباري عز وجل .
وللشهيد سيد قطب كلام جميل حول هذا الموضوع إذ يقول عند تفسيره لقوله تعالى :
﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣] ((وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة في كل شيء في هذا الوجود ، يشهد بها كل شيء في رحاب الوجود . من الكبير إلى الصغير ومن الجليل إلى الحقير . كل شيء سوي في صنعته ، كامل في خلقته ، معد لأداء وظيفته مقدر له غاية وجوده ، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق .. الذرة بمفردها كاملة التناسق في كهاربها وبروتوناتها وإلكتروناتها شأنها شأن المجموعة الشمسية في تناسق شمسها وكواكبها وتوابعها . والخلية الحية المفردة كاملة الخلقة والاستعداد لأداء وظائفها ، شأنها شأن أرقى الخلائق الحية المركبة المعقدة [١] .

ونستشهد على دقة الصنع في الكون بكلام (أ . كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك إذ يقول : (إن الطيور لها غريزة العودة إلى الوطن . فعصفور الهزاز الذي عشش ببابك يهاجر في الخريف ، ولكنه يعود إلى عشه القديم في الربيع التالي . وفي شهر سبتمبر تطير أسراب من معظم طيورنا إلى الجنوب ، وقد تقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق البحار ، ولكنها لا تضل طريقها . وحمام الزاجل إذا تحيّر من جراء أصوات جديدة عليه في رحلة طويلة داخل قفص ، يحوم برهة ثم يقصد قدماً إلى موطنه دون أن يضل . والنحلة تجد خليتها مهما طمست الرياح في هبوبها على الأعشاب والأشجار) [٢]

---

١ . في ظلال القرآن – سيد قطب ، ص ٣٨٨٤ ج ٦ الطبعة الشرعية السابعة ١٣٩٨ هـ دار الشروق . بيوت .

٢ . العلم يدعو للإيمان . أ . كريسي موريسون . ترجمة محمود صالح الفلكي . مكتبة النهضة المصرية ط ٦ . ١٣٩١ هـ ص ١١٣ .

ونضيف على ذلك عملية التمثيل الكلوروفيلي ، وعملية التنفس ، فالإنسان يخرج ثاني أكسيد الكربون ويأخذ الأكسجين خلال تنفسه بالشهيق والزفير . بينما النبات يأخذ ثاني أكسيد الكربون ويخرج الأكسجين خلال عملية الكلوروفيلي ، ولا بد لنا لنتصور حكمة الله كيف لو أن الإنسان والنبات قاما بعملية التنفس مثلاً أو التمثيل الكلوروفيلي . إذن لإمتلأ الكون بغاز واحد . فلو أخذ الإنسان الأكسجين وأخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك فعل النبات لامتلأ الكون بثاني أكسيد الكربون وهنا يحدث اختناق للكائنات الحية . لكنها حكمة الله التي تصفع كل مجادل مكابر . ومع الدلائل الكثيرة والآيات العجيبة إلا أن الملحدين يصرون على أن المادة هي كل شيء ، وأنها قديمة وأنها تطورت بالقوانين الجدلية الباطنة في المادة دونما عوامل خارجية . فبدأوا بافتراض أزلية المادة (وهو خطأ) تسلسلاً من الزمن الماضي إلى آجال سحيقة إلى أن يصلوا إلى الأزل أو اللانهاية . ويرد عليهم واحد كان منهم إذ يقول : (وهو خطأ فالزمن كمية محدودة ومهما انضافت كميات محدودة إلى كميات محدودة فالنتيجة لا تكون إلا كمية محدودة ولا نصل مهما استرسلنا في الجمع والإضافة إلى اللانهاية وبالتالي إلى الأزل فالمادة ليست قديمة ولا أزلية)[1] .

ومن الغريب في هؤلاء الماديين أنهم حكموا بالخطأ على غير المادة مع أنهم ماديون ، والأولى بهم أن لا يتعرضوا لغير المادة بالخطأ أو الصواب لأنها ليست من اختصاصهم .

---

١ . ((الله)) الدكتور مصطفى محمود دار العودة بيروت ط ١ ص١٣٩٢ هـ ص ١٠٥ .

إن المذهب المادي يحمل ما ينقضه ، إذ أنه بني على الفروض مثل اعتمادهم نظرية الأثير ، وهي نظرية لا واقعية ولا ملموسة ، وكذلك بقاء المادة ، وزيادة نقص الإلكترونيات ، والجاذبية العامة والخاصة ، كل هذه فروض لا تخضع لتجربة وغير مؤكدة [1] .

الوحي فيض نفسي

ومما دعم به الملحدون إلحادهم قولهم : إن الوحي إلهام يفيض من نفس الشخص المدعي لا من الخارج ذلك أن نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية وتقاليد وراثية يكون لها من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الرؤى والأحوال الروحية ، فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء بدون واسطة ، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك ، ويضربون مثلاً لذلك قصة الفتاة الفرنسية جاك دارك (عاشت في القرن الخامس عشر الميلادي) التي قررت الكنيسة الكاثوليكية قداستها بعد موتها بزمن ، إذ اعتقدت هذه الفتاة أنها مرسلة من عند الله لإنقاذ وطنها ودفع العدو عنه ، وصارت تسمع صوت الوحي فأخلصت في الدعوة إلى القتال وترأست جيشاً صغيراً وغلبت العدو فعلاً ثم ماتت بعد أن خذلها قومها فدفعت في أسر عدوها فألقوها في النار حية [2] .

والرد على الشبهة كما يلي : إن هذا الذي قالوه هو مجرد تخيل منهم وتحليل لقضية النبوة ليتخلصوا من المأزق الذي توقعهم فيه النبوة فتجعلهم يقرون بوجود الإله . ثم إن الشيء

---

١ . بتصرف عن ((بين الإلحاد والتوحيد)) ص ٣٨ .

٢ . بتصرف عن ((تفسير المنار)) رشيد رضا ج ١١ ص ١٦٣ .

الذي جاء به الأنبياء لمعجز عجز عنه الناس ، فمثلاً : النبي محمد ﷺ جاء بالقرآن فكان معجزته الأولى والكبرى ووجه الإعجاز فيه أنه تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، والتحدي لا يزال قائماً إلى يوم القيامة . فإذا كانت النبوة مجرد إلهام نفسي فلماذا لم يأت الملهمون نفسياً من غير الأنبياء بمثل ما جاء به محمد ﷺ . لكننا لا نجد أحداً من الذين ألهموا نفسياً ادعى النبوة ، وإن ادعاها فإنه يظهر كذبه بين الناس ، إذ من مقتضيات النبوة المعجزة التي تميز الصادق من غيره . إننا لا ننكر الإلهام النفسي وحديث النفس ، لكننا ننكر قول الملحدين إن الأنبياء لا وحي حقيقي وصل إليهم ، بل هي أشياء نفسية لأنهم كما سبق إن قلنا يقصدون من هذا الفرار من وجود الله .

أما هذه الفتاة التي ذكروها فهي لم تدع النبوة ولو ادعتها فهي لا تملك المعجزة والدليل ، ويكفينا دليلاً على كذب كل من سيدعي النبوة قول الرسول ﷺ : ((لا نبي بعدي)) [1] . ثم إن الفتاة – إن صحت القصة – لم يصبها في حالتها هذه إلا توتر وتهيج عصبي مع حماس وطني . أما تقديس الكنيسة لها فهذا أمر غير مستغرب ، إذ الكنيسة نفسها قامت على خرافات واعتقادات باطلة لا نقرها عليها من أساسها .

---

١ . في مجمع الزوائد ص ٢١٣ ج ٨ – عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته تمام حجة الوداع : أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم فذكر الحديث . رواه الطبراني ورجال أحد الطريقين ثقات وفي بعضهم ضعف .

وجود الشر

ومما احتج به الملحدون في إنكارهم ، وجود الشر في العالم فقالوا كيف تكون الدنيا من صنع خالق كامل حكيم عليم رحيم كريم وهي في حالة من الشر والظلم والنقص وسفك الدماء ؟؟ .

إذ لو كان الخالق موجوداً فعلاً لمنع كل هذه الأشياء ولأبدلها خيراً وسعادة .

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : لا يمكن الحكم على رواية بحضور فصل واحد منها ، والدنيا في اعتقادنا ليست هي النهاية بل هي مرحلة من مراحل كثيرة يمر بها الإنسان ، أما المرحلة النهائية فهي الآخرة حيث لا ظلم كما قال تعالى : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦ – ١٧] .

ثانياً : كثير من المجرمين والظلمة يلقون عقابهم في هذه الدنيا ويشاهدها الناس أمامهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] .

ثالثاً : الابن يبكي حينما يأخذه أبوه ليجري له جراحة ويعتبر هذا جريمة وشراً ، فإذا امتد به العمر علم أن هذا الشر العارض كان وراءه خير كثير يستحق التحمل من أجله وكذلك هي الدنيا . كما قال الشاعر :

فقساً ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس أحياناً على من يرحم

رابعاً : بناء وتكوين شخصية الإنسان مرتبط بالمشقات ، فلولا المشقة لما كان لكثير من الناس معنى ((من صلابة وحزم وعزم)) كما قال المتنبي [1] :

لولا المشقة ساد الناس كلهم　　　الجود يفقر والأقدام قتّال .

خامساً : ما يبدو لنا – في النظرة الجزئية – عيباً ونقصاً نراه في النظرة الشاملة وفي المنظور التاريخي نعمة وخيراً ، كما لو اقتربنا من جزئية صغيرة في لوحة فنلاحظ أنها لطعة قذرة ، فإذا ابتعدنا رأينا تلك اللطعة مساحة من الظلال تؤدي وظيفة ضرورية في الجمال الكلي .

سادساً : الحرية ملازمة للإنسان ويقترن بالحرية الخطأ فهو ضريبتها . ومن نتائج الخطأ الشر . ولو ولد الإنسان مجبراً على الخير لفقد حريته .

سابعاً : الخير والشر وجهان لعملة واحدة فالفيضان هو خير من وجه ، وشر من وجه آخر . والحروب دمار من جهة ، وحياة من جهة أخرى وهكذا . والبحوث المركزة في أوقات الحرب أخرجت للناس البنسلين ونقل الدم ونقل الأعضاء والطاقة الذرية والصواريخ والنفاثات والغواصات وصناعة الصلب والبارود وأجهزة الرادار .

ثامناً: الإنسان محدود طاقته فإذا قصر في الخير وجد الشر .

تاسعاً : إن الله عز وجل ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فمن صفات الإله الكامل إنه لا يقيده شيء ولا يحكم عليه شيء . وقد أراد هذا الإله الحكيم أن يكون في دار الدنيا خير وشر . فوجود الشر ليس دليلاً على عدم وجود الخالق تعالى ، بل إن وجود الشر ((بالنظرة البعيدة)) دليل على الخالق الفاطر سبحانه وتعالى ، إذ أننا نحن البشر نعجز

---

١ . ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي بالكوفة في محلة يقال لها كندة عام ٣٠٣ هـ وسمي بالمتنبي لأنه ادعى النبوة ، فأسره أمير حمص نائب الإخشيد ، ولم يتركه حتى استتابه . قتل المتنبي وهو في الطريق إلى بغداد هو وولده محسد قتلهما فاتك بن أبي جهل الأسدي وسبب قتله هجاؤه ابنة اخت فاتك .

في كثير من الأحيان عن تقدير عقوبة ظالم من الظالمين لكثرة الشرور التي فعلها حتى ولو قدرنا له عقوبة الموت ، فإنه لا شيء بالنظر إلى مئات أو الآف الأرواح التي أزهقها وغير ذلك من فساد . فشر هذا الظالم وعدم مقدرتنا على تقدير عقوبة له دليل على أن هناك ذاتاً أقوى وأحكم منا قادرة على تلقين هذا الظالم عقوبة تتناسب مع جرائمه فلا تنقص ولا تزيد ما لو وكل الأمر للبشر فإنه لا بد مائل إلى جهة من الجهتين .

وعليه فلا مجال لادعاء عدم وجود الخالق بسبب وجود الشر ، بل الشر والخير من دلائل وجود الله . ومما احتج به الملحدون في إنكار الغيب أن العلم يرفض الغيب فالعلم مطلوب ولا يقول عاقل بتركه وحيث لا مجال للأخذ بالعلم والإيمان بالغيب ، وجب طرح الغيب وعدم الإيمان به . ولأهمية هذه النقطة سنؤجل مناقشتها منفردة في فصل قادم بإذن الله .

خيال لا واقع

واحتج الملحدون أيضاً بأن الإيمان بالغيب عملية خيالية ترفضها الواقعية . ويقولون : إن علينا أن نفكر في واقعنا ونترك ما هو بعيد إلى حينه ، وأن الحديث عن حياة أخرى غير الحياة الدنيا حديث لهو ولا غناء فيه ولا نفع ، والنفع والخير في استغلال الموجود من علم وصناعة وفن وزراعة وطب .. إلخ . ويقولون إن الناس بحاجة إلى من يطرق لهم أبواب الحياة في هذه الآفاق لا إلى من يثير في وجوههم غبار القبور ، ويسوق إليهم ريح الموتى ، ويحمل لهم الأكفان قبل أن يموتوا[1] . ورداً على كلامهم هذا نقول : إنكم خلطتم الحق بالباطل ، كلامكم مليء بالمغالطات . فمن قال لكم إن الإيمان يمنعكم من التفكير في واقعكم وتحسينه

---

١ . بتصرف عن ((الله والإنسان)) لعبد الكريم الخطيب . ص ١ ، ٣ .

وترقيته في كافة المجالات ؟ ومن قال لكم إن الحديث عن الآخرة يكون على حساب مصلحة الناس في معاشهم ؟ ومن قال إن هناك – أصلاً – فصلاً بين الدنيا والآخرة ؟؟ ومن منعكم من استغلال العلوم والصناعات والتبحر فيها وجني ثمرها ؟!. من قال لكم إن الحديث عن الآخرة يجعل الناس يموتون وهم أحياء ؟ إن هذه كلها تصورات خاطئة عندكم لجهلكم بطبيعة الإيمان الذي طلبه الله من خلقه . إن المسلم يفكر في آخرته دون أن ينسى واقعه ودنياه ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[القصص: ٧٧] ((إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها))[1] ، إن الإسلام يفرض على أتباعه أن يكون فيهم من يغنيهم عن غيرهم في كافة المجالات ، وهو ما يسمى عند العلماء بفرض الكفاية . فيجب أن يكون بين المسلمين أطباء ومهندسون وفلكيون ومخترعون ومتخصصون في كافة المجالات . ثم إن التفكير في الموت والقبر لا يثني المسلم عن العمل للدنيا . بل يجعله يهتم بآخرته أكثر وهذ هو منطق العاقل يفضل الباقي على الفاني . إن الزهد الذي يحض عليه الدين ليس معناه ترك الدنيا وخيراتها قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وهذه ردود عليهم إن كانوا يجهلون طبيعة الإسلام خاصة والإيمان عامة . أما إن كان إنكارهم ينطلق من خلفية مسبقة ((وهذا هو الأغلب)) وحقد دفين وإصرار على العصيان فهذا له كلام آخر حيث لا تنفع حجة ولا يستقيم لديه دليل كما قال الشاعر :

وليس يصح في الأفهام شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل .

---

(١) . سبق تخريجه .

الفكر نتاج المجتمع

ومما تذرع به الملحدون في إنكارهم قولهم إن الأفكار الدينية كغيرها من الأفكار من حيث إنها نتاج المجتمع ، تقول الكراسة الرمادية التي نشرها الفوضويون الماديون في العراق ((إن الإسلام ككل دين آخر هو ظاهرة تاريخية معرضة إلى تغييرات وتبديلات بحسب الظروف ويمكن القول إنه نشأ نتيجة لعوامل تاريخية محضة ....))[1] فالدين عندهم ولد في مجتمع معين ، وبما أن هذا المجتمع قد مضى وانتهى ، فكذلك الدين ، لأنه ثمرة لذلك المجتمع الفاني ، يقول ماركس : ((ليس شعور الإنسان هو الذي يحدد واقعهم بل الواقع هو الذي يحدد الشعور)) ويقصد بهذا أن الأفكار – أي أفكار – هي من المجتمع تنبع ، لا من جهة أخرى ويقصد السماء والوحي . فلا وحي ولا خالق بل هي أفكار أنتجها وعبر عنها الناس . وهم يرمون بهذا الرأي إلى شيئين :

أولاً : نفي كون الدين من عند الله لأنهم أصلاً ينكرون الإله .

ثانياً : تقرير أن الدين والأفكار مرتبطة بالمجتمع ، فإذا تغير المجتمع تغيرت الأفكار ، وبناء عليه فلا مجال للدين في هذه الأيام لأنه ثمرة مجتمعات قديمة . وهذه الفكرة من أخطر الإفكار التي نشرتها الماركسية على صعيد الثقافة الهدامة ، ونرد عليها من وجوه :

أولاً : إذا كانت الأفكار نتاج المجتمع فكيف نفسر استمرار هذه الأفكار في جميع المجتمعات قديماً وحديثاً .

---

١ . ذكرها محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه ((الرد على الملحدين)) ص ١٥ دار الكرنك القاهرة ١٣٨١ هـ قال ص ١٦ في ((الرد على الملحدين)) وهي كراسة مأخوذة من بحث أعده الباحث السوفيتي ل . ي كليموفيتش وعنوان بحثه ((الإسلام نشأته ومستقبله)) .

ثانياً : عدم مقدرة المنكرين على إدخال أفكار جديدة تستطيع العيش عبر العصور .

ثالثاً : المعجزات التي اقترنت بالدين تنفي كونه من إخراج المجتمع ، إذ المجتمع والناس كل الناس عاجزون ومقرون بعدم مقدرتهم على الإتيان بمعجزات مثلها .

رابعاً : المعارضة القوية ومن أكثرية أفراد المجتمع للدين عند ظهوره تنفي أن يكون هذا الدين إفرازاً من المجتمع ، إذ لو كان كذلك لما عارضه أحد لأنه استمرار وثمرة لما أرادوا .

خامساً : عدم التناسب بين فترة ما قبل ظهور الدين والأفكار التي نادى بها عند ظهوره ، فالإسلام مثلاً ظهر في بلاد العرب ونادى بأشياء كثيرة أبعد ما يكون واقع العرب يتطلبها . فنادى بالتوحيد والجزيرة مليئة بالأصنام . ونادى بنظام الدولة وبلاد العرب تعيش في ظل النظام القبلي . ونادى بمكانة المرأة وهي عندهم مهينة محتقرة . وحرم أشياء كالخمر والزنا وهم غارقون إلى أذقانهم فيها . فكيف يكون الإسلام من نتاج المجتمع العربي . ومع هذه الدلائل الواضحة إلا أن الملحدين في البلاد الإسلامية [1] لا يزالون ينادون بهذه الفكرة .

الضمير والأخلاق

واحتج المنكرون بأن الدين يمكن الأستغناء عنه بالضمير ، ثم إن الأخلاق ((والدين يعطيها أهمية كبرى)) يمكن أن توجد دون دين ، فكثيرون يتصفون بالأخلاق الطيبة وهم غير متدينين . والرد عليهم في هذه النقطة هو أننا لا ننكر وجود الأخلاق عند بعض الناس من غير المتدينين ، لكن الدين ليس أخلاقاً فحسب بل هناك اعتقاد قبل هذا ، فالذي لا

1 . الملحد العربي المدعو عبد الله العروي له كتاب ((العرب والفكر التاريخي)) ينادي فيه بهذه الفكرة .

يعتقد[1] العقيدة الإسلامية يكون قد أساء الخلق ، حتى ولو كان من أفضل الناس أخلاقاً مع الناس لأنه أساء خلقه مع ربه عز وجل . ثم إن الإسلام يريد للأخلاق بناء قوياً لا يتضعضع ، فجعل بناء الأخلاق يقوم على أساس العقيدة حتى يكون أكثر دقة وأعظم أثراً وحتى لا تعتريه عوامل التغيير والتبديل بين حين وآخر ، كما هو خلق بعض الناس الذين قالوا عنهم الشاعر :

ولا خير في ود امرىء متلون   إذا الريح مالت مال حيث تميل

ثم إن هذه القلة القليلة التي يحتج بها وأنها على أخلاق حميدة دون دين هذه القلة ليست هي المقياس للمجموع العام ، والدين جاء ليخاطب كل الناس الضعيف والقوي ، الفقير والغني ، الرجل والمرأة ، الأسود والأبيض .. إلخ . وكي ينضبط هذا المجموع أو غالبه في سلك الأخلاق المؤسسة على العقيدة ، كان لا بد من الدين ، وكان لا بد من الأساس وهو العقيدة . ثم إن تلك القلة التي حدّثونا عنها يرجع بعضهم إلى خلفية دينية في أخلاقه سواء تأثر بأهله أو بمحيطه أو تمسك بمقتضيات العقل والمنطق ، حيث يهديه العقل الإنساني إلى الخير . ((يقول أحد العلماء الغربيين (تارد) إنني أعتقد أن الحياة الشريفة عند بعض الملحدين ترجع إلى الأثر المستمر لتربيتهم الدينية))[2] . ثم إنه لا بد من مقياس للأخلاق للأخلاق الحسنة من القبيحة يقول القرضاوي : ((روى الترمذي (أكمل المؤمنين إيماناً

---

١ . ولهذا قرر القرآن بطلان أعمالهم الطيبة ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: ٢٣] ، ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[إبراهيم: ١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[التوبة: ١٨] .

٢ . بتصرف عن ((الإيمان والحياة)) للقرضاوي ص ٢٣٤ .

أحسنهم خلقاً)) فالدين وحده هو الذي يحدد السلوك المستقيم من غيره ، فلا القانون ولا الفلسفة الأخلاقية تحدد ذلك . فالقانون يحكم على الظاهر ويعاقب المسيء ولا يجزي المحسن . والفلسفات الأخلاقية كثيرة . وما الذي يعود إلى نتيجة تمسكي بفلسفة الواجب التي نادى بها كانت ، أو فلسفة اللذة التي قال بها أريستيب أبيقور أو فلسفة المنفعة وهي فلسفة وليم جيمس ، أم ماذا ؟؟ .

قال فيخته الفيلسوف الألماني : ((الأخلاق من غير دين عبث)) وقال غاندي : ((إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ...))[1] .

ثم إن الملحد صاحب الخلق لا يلبث أن تنجلي حقيقته وماديته لو تعمقت معه في الصلة والعلاقة ، فهو طيب الأخلاق ما لم تتعرض مصالحه للخطر ، فإن خاف عليها وشعر أنها في خطر فإنه ينسى الأخلاق والسلوك ويكون جل همه مصلحته ولو على حساب الآخرين .

إن لدينا ملايين الملايين من الأمثلة على خلق ذوي الدين ، بينما لم يشتهر بين الناس أو ضعف اشتهار ملحد صاحب خلق . ثم إن هؤلاء الذين تمسكوا بهذه النقطة يغلب على ظني أنهم فهموا الأخلاق بحدود أصغر مما يفهمها المؤمنون أو مما هي عليه حقيقة ، فكأنهم ظنوا الأخلاق هي الصدق والأمانة فحسب ، والحقيقة أن الأخلاق تظهر في كل تصرف يقوم به الإنسان مع ربه أولاً ومع نفسه وسائر الخلق ثانياً ، فإذا قصّر في ناحية منها اعتبر مقصراً في أخلاقه . إن ما يشتهر عن الغربيين من أنهم أهل الصدق ، صحيح في العلاقة الفردية لكننا نملك أمثلة كثيرة على سوء خلقهم من عُهْر وزنا ولواط وتفكك أسرة ومادية واضحة ومكر بالشعوب .. إلخ .

---

[1] . بتصرف عن ((الإيمان والحياة)) للقرضاوي ص ١٨٩ .

وبالمقابل نملك آلافاً بل ملايين الأمثلة على خلق المسلمين وتكامله من جميع الجوانب .
أما قضية الضمير فأكتفي في الرد عليها بمحاولة أمريكا تحريم الخمر وفشلها في ذلك بينما استطاع الإسلام ذلك بسهولة . ((فعن أبي بريدة عن أبيه قال بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلا إذ قمت حتى آتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ قال : وبعض القوم شربته في يده شرب بعضاً وبقي بعض في الإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا في باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا انتهينا))[1].

والسبب في هذه الاستجابة العجيبة ، العقيدة والإيمان بالله عز وجل ، وأنه يراهم أينما كانوا وسيحاسبهم على أعمالهم . فالأخلاق والتصرفات إذا بنيت على العقيدة كانت من أبدع ما يكون ، إما إذا كانت بدون عقيدة فإنها تكون معرضة للتغير والتبدل كما هو واقع عند الغرب فهو على استعداد أن يحترم قانون الإشارة الضوئية المرورية لكنه لا يستجيب لقانون يمنع الخمر أو الزنا أو غيره مما يسيء إلى الأخلاق . فما تذرعوا به من أن الضمير والأخلاق لا تحتاج إلى دين أمر مرفوض عقلاً وشرعاً وواقعاً .

---

١ . رواه ابن جرير بسنده في التفسير ٧/ ٢٣ طبعة دار الباز / دار المعرفة / ط ٣ ١٩٧٨ م عند قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ... ﴾[المائدة: ٩٠]

قيام الساعة

ويتبع الماديون الملحدون أسلوب الاستهزاء بالإيمان ، فيثيرون غباراً حول الساعة والجزاء والجنة والنار ، ومما قالوه : إن القرآن يقول ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرناً ولم تقم الساعة بعد .، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن القرب والبعد مسألة نسبية ، وأن الألف عام أو أكثر ليس إلا زمناً يسيراً وعهداً قريباً بالنسبة لعمر الدنيا ، وبخاصة إذا عرفنا ما يقوله علماء الجيولوجيا الذين يقدرون عمر الأرض بملايين السنين والقرون ونضيف إلى هذا أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وأن رسالته هي الكلمة الأخيرة من الله للناس ، وبذلك يكون معنى القرب واضحاً فلا نبي بعده ، ولا رسالة بعده حتى تقوم الساعة[١] .

التقدم ينفي الدين

وقالوا إن التطور الحضاري الذي بلغه الإنسان ينفي الدين ، إذ الحقيقة في نظرهم ليست إلا ما يمكن فحصه وتجربته عملياً ، بينما حقائق الدين قامت على ما لا يمكن فحصه ومشاهدته[٢] .

ويقول ملحد القصيم : ((وقد أبدع الإغريق والرومان والمصريون القدماء وغيرهم من الشعوب القديمة لأنهم عبدوا الطبيعة .. وهوت جميع الأمم التي انصرفت إلى مالا تحس ولا ترى حتى إن فيلسوفاً عظيماً هو الدكتور جوستاف لوبون لما أن لاحظ هذا قال في كتابه

---

١ . بتصرف عن ((الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المغترين)) للقرضاوي والعسال . مكتبة المنار . الكويت ط ٢ ص ٢٩ . ١٣٩٥ هـ .

٢ . أنظر ((العقيدة الإسلامية في القرآن والسنة)) ص ٣ .

((الآراء والمعتقدات)) إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ، لأنه وقف بالحضارة عن التقدم ولن تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة إلا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام))[1] ((ويقول الماديون إنهم قد تعاملوا مع الواقع المحسوس وضربوا صفحاً عن التصورات والخيالات ، فحصلوا على كل الثمار المادية من مال وثراء وترف وقصور وسيارات وطائرات وغواصات ورحلات فضاء وقوة وسيادة وسيطرة ، أما الأمم التي تؤمن بالروحانيات فهي فقيرة مستضعفة : مرض ، حرمان ، جوع ، فقدان للتكنولوجيا ، هزائم ، لا علماء ولا رجال فضاء))[2] .

وقولهم هذا أكثر تهافتاً مما سبقه فمن الذي قال لكم إن الحقيقة ليست إلا ما يمكن فحصه وتجربته عملياً ، بل أثبت علمكم الذي تتبجحون به وهو علم نسبتموه إلى أنفسكم وأنتم أبعد الناس عنه إن كثيراً من الحقائق القطعية لا يمكن مشاهدتها ولا فحصها تجريبياً وقد سبق الكلام على هذا عند ذكر الحواس . أما إن الإغريق والرومان والمصريين القدماء وغيرهم من الشعوب قد أبدعوا فهذا نقبله من نواح ونرفضه من أخرى ، نقبله من حيث فن العمارة والصناعات وبعض العلوم اليدوية ، أما النواحي الأخلاقية والوثنيات والاستبداد والظلم فهذا أمر لا ينكر في سوء حضارتهم .

ومع هذا فالتقدم الذي حصلوا عليه ووصلوا إليه ليس لأنهم عبدوا الطبيعة ، فكثيراً من الشعوب الإفريقية وبعض شعوب جنوب شرق آسيا لا يزال حتى الآن تحت جهله بالإله ويعبد أشياء شتى منها الطبيعة ، لكننا نراهم في سلم التقدم الحضاري غير متقدمين . ثم إن

---

١ . أنظر ((الرد القويم على ملحد القصيم)) ص ٤٣٠ .

٢ . أنظر ((الله والإنسان)) للخطيب ص ١٠٦ دار الفكر العربي .

الله عز وجل يعطي الدنيا ومنها التقدم الحضاري لكل من يبذل فيه جهداً بغض النظر عن اعتقاده ، فإذا قصر المسلمون في هذا المجال فليس لأن دينهم أمرهم بهذا ، بل يحضهم عليه وهذا أمر معروف .

وإذا تقدم عباد الطبيعة فليس لأنهم عبدوا الطبيعة بل لأنهم بذلوا جهداً في هذا المجال .

ولا أدري ماذا يقصد بقوله :((وهوت جميع الأمم التي انصرفت إلى ما لا تحس ولا ترى)) هل يقصد أنها انقرضت أم زال سلطانها ؟؟ إن كانت الأولى فهذا باطل بالمشاهدة إذ لا يزال المسلمون موجودين على سبيل المثال وبالمقابل لا نرى من الرومان ولا الفراعنة أحداً ولا أثر لحضارتهم ومن ينادي بأفكارهم ، وإذا كانت الثانية أي زوال السلطان فهذا صحيح على جميع الدول المتدينة وغير المتدينة وهكذا كما قال الشاعر :

ما طار طير وارتفع　　　　إلا كما طار وقع

فذهب الرومان واليونان والفراعنة وغيرهم إلا أنه يبقى جديراً بالذكر أن الإسلام يختلف عنها في كونه سيرجع ويقوم سلطانه بإذن الله تعالى .

إن الدين وقف في وجه الحضارة والتقدم فهذا لا يستطيع أحد إثباته على الدين الصحيح أما دين الكنيسة فهذا دين ليس من عند الله ، بل هو اختراع من الرهبان وقد سبق الحديث عنه .

ثم أضيف نقطة أخيرة في الرد عليهم وهي أن كثيراً من الشعوب التي يصفونها بأنها ضعيفة . أقول إن ضعفها ناتج عن استغلال الدول الاستعمارية لها وسيطرة أذناب المستعمر من أبناء ذلك البلد على مقدرات الشعوب . ومن مظاهر الاستعمار هذه الدعوة لترك الدين ، لأن الدين هو الذي يملك التفسير الصحيح لكل الأشياء . ومنها موقف الدين من الاستعمار إذ لا يقبله في أية حالة من الحالات .

التفسير الجنسي

ومن تفسيرات الملحدين – الغربية – للدين ، التفسير الجنسي إذْ اعتبر فرويد الدين بأنه نوع من التسامي بالغريزة الجنسية ، فبحب الطفل لأمه وغيرته من أبيه وكراهيته الدفينة له ((عقدة أوديب)) [١] اتخذت شكلاً ظاهرياً من التفكير اللاشعوري عن هذه الكراهية بحب مبالغ فيه للأب ثم عبادته ثم عمل تمثال للأب ، وهكذا وجدت الأصنام ثم في النهاية الاتجاه بالعاطفة والعبادة نحو أب سماوي مجرد . ويقول الملحدون : ((إن فكرة الإله انعكاس للشخصية الإنسانية على شاشة الكون)) [٢] ((ويعتبرون الدين نتاج اللاشعور الإنساني وليس انكشافاً لواقع خارجي)) [٣] ونسي فرويد أن فكرة وجود الله وجدت في المجتمع البدائي الهمجي المشاعي حيث لاكبت ولا كبح ولا تحريم للأم على الابن ولا البنت على الأب ، وفي تاريخ الفراعنة ما يثبت أنهم كانوا يتزوجون بناتهم وأخواتهم . وكان واجباً على فرويد أن يعلل لماذا لم يعبد الإنسان أباً سماوياً وأماً سماوية ، إذ كذلك بناء على نظريته كانت البنت تفكر في أبيها فلم لم تقتل أمها وتعبدها ؟ [٤] . وبالتالي نصل إلى تعدد الآلهة وهذا يبطله واقع الملحدين .

---

١ . كان أوديب يحب أمه ويغار من أبيه لانفراده بأمه ، فقتل أباه ثم ندم وأخذ يقدس قبر الأب ثم بنى له صنماً ثم عبده وهكذا إلى أن وصل إلى الأب السماوي . هكذا يروي فرويد وجماعته وهي بالطبع قصة باطلة . فلماذا لم تقتل البنت أمها لتنفرد بأبيها ، ومن ثم تجعل لأمها صنماً تعبده .

٢ . أنظر ((العقيدة الإسلامية في القرآن والسنة)) ص ٣ .

٣ . المرجع السابق .

٤ . أنظر ((الله)) لمصطفى محمود دار العودة بيروت ط ١ / ص ٩٢ .

الخوف شذوذ

ويقول الملحدون إن الدين يؤمن بالخوارق وقام عليها ، وهي شيء شاذ عن نظام العالم ودقة تركيبه فلا مجال للخوارق وعليه فلا مجال للدين لأنه قام عليها[1] . ونقول حقاً إن الدين قام على المعجزات والخوارق وهذا أمر ضروري لإثبات كونه ديناً من عند الله لا من قدرة البشر ، فإذا عجز البشر عن الإتيان بمثله كان ذلك لزاماً عليهم أن يقرروا أنه لا بد أن يكون من عند من هو أقدر وأعلم وهو الله تبارك وتعالى . أما أن الخوارق تشذعن نظام العالم فهذا لا بد من توضيحه : إن كان يقصد أنها لا تسير وفقاً لما اعتاده الناس كعصا موسى حيث انقلبت أفعى فهذا أمر حق . وان كان يقصد أنها لا تنسجم مع النظام الكوني ولا يمكن أن تقع فيه فهذا باطل بل هي منسجمة معه كل الانسجام إذْ الذي وضع نظام الكون هو الذي قدر الخوارق . ثم إن كثيراً من الناس لا يرشدهم نظام العالم ودقة صنعه على الباريء عز وجل فكان لا بد من شيء يخالف هذا النظام ليلفت نظر الذين لم يلتفتوا فكانت الخوارق ، فهي للدلالة على الباريء عز وجل لا لتنقض نظام العالم بل لتجعل الإنسان ينسجم مع هذا النظام فيعبد الله حق عبادته فكان ورودها لإتمام النظام وانسجام كل عناصر الكون ومنها الإنسان .

---

١ . بتصرف عن ((القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)) لمصطفى صبري ص ٣٩ . طبع عيسى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٦١ هـ .

إنكار البعث

استند الملحدون في إنكارهم الغيبيات على إنكار البعث ، فجعلوا الحياة بعد الموت مستحيلة ، فالفناء والزوال والانتهاء والانعدام ، فلا حياة ولا شعور بعد الموت كما قال تعالى على لسانهم ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[الجاثية: ٢٤] ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[الدخان: ٣٥] .

وسبب انكارهم هو عدم شعورهم بها بعد الموت ومعلوم أن عدم الشعور ليس لازماً له الإنكار ، وإن وجود الشيء لا يتوقف على إقرار شعورنا له ، ولو كان هذا صحيحاً لجاز للشخص أن يقول : إن النهر الذي كنت رأيته ما كان خرج إلى عالم الوجود إلا حينما رأيته يجري ودخل الفناء لما توارى عن نظري ، وهذا باطل بإجماع العلماء [1] . وقد ناقش القرآن هؤلاء القوم ورد عليهم أحسن رد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ ـ ٥١] ، ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٢] ، ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝٦٧ ﴾ [مريم: ٦٦ ـ ٦٧] . وآيات كثيرة ترد على المنكرين يقول المودودي : هل

---

١ . أنظر ((الايمان)) للمودودي دار الخلافة للطباعة والنشر ص ٢٢٣ بتصرف .

للإنسان حياة بعد موته ؟ .. سؤال إنما يتعلق بما وراء حدود حواسنا وتجاربنا الحسية .. لا نستطيع الجواب على هذا السؤال بالنفي ولا بالإثبات معتمدين على حواسنا أو علومنا التجريبية ، لأن ذلك الشيء بالذات ما كنا أحسسناه من قبل ولا نحسه الآن .. والوسيلة الأخرى للعلم بعد الحواس هي التفكر إذ الإنسان يأبى تقييد نفسه بالمحسوسات .. والتفكير له طريقان :

١ – طريق الفلسفة القياسية المجردة التي تعتمد المقدمات العقلية ، وتغمض العينين عما في الكون من آثار ، وهذا أصل كل فساد في الأرض ومنه نبعت كل المذاهب الفلسفية .

٢ – الفلسفة التي تقترن بالعلوم التجريبية فلا تنكر الآثار الموجودة في الكون . وهذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة فيما يملك الناس من وسائل . ((بصرف النظر عن الهداية السماوية) .. وهذا الطريق لا يصلح لعامة الناس بل للحكماء فقط [1] ، وإذا كان هذا لا يصلح إلا للحكماء ، فكان الطريق الأنسب لجميع الناس هو هداية السماء المتمثلة برسل الله عليهم الصلاة والسلام .

نظرية دارون

ومما أقام الملحدون عليه إلحادهم دعواهم وتمسكهم بنظرية التطور أو نظرية دارون . وخلاصة مذهب دارون ما يلي :

١ – الأنواع الموجودة على سطح الأرض من الكائنات الحية تتزايد طبقاً لمتوالية هندسية .. كما أن معظم الكائنات الحية تنتج ذرية كثيرة تقدر بالملايين على مر الأجيال .. ولو فرض

---

(١) . ((الإيمان)) للمودودي . ص ٣٧ . وبعدها دار الخلافة للطباعة والنشر .

أن نسل تلك الكائنات قد عاش كله ، بل لو أن ذرية النوع الواحد قد عاشت كلها لما كان هناك متسع على ظهر كوكبنا الأرضي للحياة .

٢ – عدد أفراد النوع الواحد من الكائنات يظل كما هو ثابتاً تقريباً لمدة طويلة .

٣ – استنتج أن هناك تنافساً بين أفراد النوع الواحد من أجل البقاء [١] .

ويوضح لنا الأستاذ باشميل في كتابه (الإسلام ونظرية دارون) النظرية فيقول إنها قامت على أربع قواعد هي :

(أ) تنازع الألقاب .

(ب) الانتخاب الطبيعي .

(ج) ناموس المطابقة .

(د) ناموس الوراثة [٢] .

ويقصد بتنازع الصراع الذي يقع بين الكائنات للتنافس على البقاء فالأقوى والأصلح منها يبقى ويستمر بينما الآخر يزول وينقرض .

أما الانتخاب الطبيعي فمعناه أن الطبيعة لا تقبل إلا الصالح القوي الذي يتناسب مع طبيعتها لبقائها وتنتخبه .

ويقصدون بالمطابقة أن نوع الغذاء وطريق الوصول إليه له أثر كبير في إحداث الاختلافات في طبيعة الكائن الحي وسلوكه ، فالأسد مثلاً لو لم يجد اللحم ليفترسه مدة طويلة لاضطر لأكل النبات .

---

١ .أنظر ((نظرية التطور بين العلم والدين)) لعلي أحمد الشحات ص ٤٢ .

٢ . الاسلام ونظرية دارون لمحمد أحمد باشميل ص ٤٣ .

أما ناموس الوراثة : فمعناه أن الصفات العرضية التي تحدث في الآباء تنتقل إلى الأبناء، ومع مرور الزمن الطويل تتحول الصفات العرضية إلى صفات جوهرية تجعل الكائن الحي يختلف عن أصله تماماً كما في الحمار والحصان . ويضرب الداروينيون الأمثلة لتوضيح مذهبهم وإليك بعضها :

(أ) في المناطق الباردة لا تستطيع الحياة هناك إلا الحيوانات ذات الفراء السميك أما الأخرى فتموت وتنقرض .

(ب) في الغابات تبقى الحيوانات سريعة الجري والهرب أما الأخرى فتموت وتنقرض .

(جـ) الزراف ذات العنق الطويل استمر في العيش لقدرته على الوصول للأشجار العالية أما النوع ذات العنق القصير فمات وانقرض .

فالصفات تتغير حسب الطبيعة المحيطة والذي لا يتناسب مع الطبيعة ينقرض ، والذي يتطور معها يبقى ، فالبقاء للأصلح .

وقد لاحظ دارون خلا أبحاثه أن الإنسان والقرد يشتركان في أصل واحد لا يدري ما هو الأصل . وقد كانت هذه النقطة هي نقطة الخلاف مع الدين .

فالدين يرى أن الإنسان وجد على الأرض بنفس شكله الحالي قال تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران: ٥٩] أما دارون فيقول في مقدمة كتابه (أصل الأنواع) : (ما يقال بأن كل نوع من الأنواع خلق مستقلاً بذاته خطأ محض ، وإني لعلى تمام الاعتقاد بأن الأنواع دائمة التحول) ويوضح الأستاذ باشميل فكرتهم فيقول : (.. وعلى هذا فإن الإنسان عندهم بدأت حياته على ظهر الأرض بجرثومة صغيرة ثم تحولت إلى حيوان صغير ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى إلى حياة حيوانية بدائية فإلى حيوانات أكبر فأكبر ، ريشية

ومجنحة ثم إنساناً أول ثم إنساناً كاملاً) [1] وقد استقبل الناس النظرية استقبالات مختلفة فبعضهم رحب بها من باب التجديد وحب الجديد ، وآخر من باب اعتبارها سنداً لإلحاده ، وفريق رفضها باسم العلم وآخر باسم الدين . أحب من البداية أن أذكر أن الداروينيين أقسام ، فهم وإن كانوا متفقين على أصول نظريتهم لكنهم يختلفون من حيث النتاج الفلسفي للنظرية إزاء العقيدة الدينية وهم فريقان :

الأول : فريق جعل النظرية أساساً للإلحاد مثل (لامارك الفيلسوف الفرنسي ، وأونست هيكل العالم الألماني ، والبروفوسور الشيوعي أوبارين) .

الثاني : فريق همه البحث فقط مثل دارون [2] . ولهذا روي أن دارون قال : (إني أرى الأحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعاً من صورة واحدة أولية نفخ الخالق فيها نسمة الحياة) [3] . أعود فأقول إن بعض الناس جعل الإسلام معارضاً للنظرية ، والبعض الآخر جعله موافقاً للنظرية حتى إن الموافق روى أقوالاً لعلماء قدماء قالوا بالنظرية قبل دارون .

فقد روى الرازي في تفسيره : قال الحسن البصري عند قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] خلق الله تعالى كل شيء – ما يرى ما لم يرى – من دواب البحر في الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، وآخر ما خلق الله آدم عليه السلام [4] ويقول ابن خلدون : ((.. واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى

---

١ . بتصرف عن ((الإسلام ونظرية دارون)) ط ٢ ١٣٨٨ هـ لمحمد أحمد باشميل ص ١٣٨ .

٢ . أنظر هذا التقسيم ص ٢٤ من كتاب الإسلام ونظرية دارون .

٣ . أنظر (الاسلام والمبادئ المستوردة) ص ٤٦ .

٤ . ج ٣٠ ص ٢٣٥ تفسير الرازي .

في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع إليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل))[1] ..ويروي نديم الجسر عن ابن مسكويه أنه قال : ((إن الموجودات مراتب وكلها مسلسلة متصلة ، وكل نوع من الموجودات يبدأ بالبساطة ثم لايزال يترقى ويتعقد حتى يبلغ أفق النوع الذي يليه ، فالنبات في أفق الجماد ، ثم يترقى حتى يبلغ أعلى درجة فإذا زاد عليها قبل صورة الحيوان وكذلك الحيوان يبدأ بسيطاً ثم ترقى حتى يصل إلى مرتبة قريبة من الإنسان))[2] ويقول إخوان الصفا : ((فأدون الحيوان وانقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة .. وهي أكثر الديدان التي تكون في الطين وفي قعر البحار وفي أعماق الأنهار ، فهذا النوع حيواني نباتي إذ يشارك الحيوان في الحركة ويشارك النبات في الحس فقط .. وإن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان ، والحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على الحيوانات التامة الخلقة (التي) تتكون في زمان طويل لأسباب يطول شرحها ، وإن حيوان الماء وجوده قبل حيوان البر بزمان ، والحيوانات كلها متقدمة الوجود على الإنسان))[3] ويقول العلامة البلخي[4] في كتاب ((البدء والتاريخ)) : (وأما العسمد[5] فيرى أن الحيوان قد تولد من الرطوبة وأنه

---

١ . مقدمة ابن خلدون ص ٩٦ .

٢ . أنظر قصة الإيمان ص ٦٤ .

٣ . رسائل إخوان الصفاج ٢ ص ١٥٤ -١٥٥ .

٤ . قال في الأعلام ١ / ١٣١ (أحمد بن سهل أبو زيد البخلي ولد في بلخ ٢٣٥ هـ وتوفي ٣٢٢ هـ له مصنفات كثيرة) .

٥ . لعله اسم لأحد الفلاسفة كما يبدو الكلام الذي قبله والذي بعده .

كان يغشاه قشر مثل قشور السمك) (١) ثم قال : (فعند بعضهم أن آدم تولّد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام ...) (٢) وقد سئل الأفغاني عن قول المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

هل يقصد المعري نظرية الارتقاء الداروينية ؟ فقال الأفغاني : ليس فيه خفاء ، فهو يقصد النشوء والارتقاء أخذاً بما قاله علماء العرب قبل بهذا المذهب ، إذ قال أبو بكر بن شيرون في رسالته لأبي السمح عرضاً في بحث الكيمياء : إن التراب يستحيل نباتاً ، والنبات يستحيل حيواناً ، وإن أرفع المواليد هو الإنسان (الحيوان) وهو آخر الاستحالات الثلاثة وأرفعها فإذا كان بناء مذهب النشوء والارتقاء على هذا الأساس فالسابق فيه علماء العرب وليس دارون[٣].

وقد انتقدت النظرية وعارضها علماء أوربيون منهم العلامة (دوفري) صاحب نظرية الطفرة التي تتناقض مع نظرية التطور . ومنهم الدكتور (جوستاف جولييه) المؤيد لنظرية الطفرة ، ويؤيد كلامه بضرب مثال عن دودة القز إذ تولد دودة ، وتحيى أياماً ثم تنسج حول نفسها شرنقة وهناك لا تموت فقط ، بل يسيل جسمها ويستحيل إلى مادة أولية لا شكل لها ثم تتركب هذه المادة فتكون جسماً لا نسبة بين شكله وشكل الدودة ، ويكون فراشة ذات

---

١ . البدء والتاريخ ص ٤٧٤ ج ٢ طبع في مدينة شالون (لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي وهو المطهر بن طاهر المقدسي) وطبع الكتاب بمطبعة برطرند (فرنسا) مكتبة المثني بغداد .

٢ . البدء والتاريخ ج ٢ ص ٧٥ .

٣ . ص ٤٦ الإسلام والمبادئ المستوردة لعبد المنعم النمر . دار القلم . القاهرة – ١٣٨٠ هـ .

أجنحة وغرائز أخرى غير غرائز الدودة ، وغير هذين العالمين علماء كثيرون مثل والاس وفرخو وميفرت وأغاسيز وتندل هكسلي (صديق دارون الحميم) وروز [1] .

ويقول محمد فريد وجدي : إن أكبر الاعتراضات على نظرية دارون ثلاثة هي :

١ – عدم مشابهة أي ارتقاء من أي نوع كان في الأحياء الأرضية من عهد ألوف السنين .

٢ – عدم وجود الصورة المتوسطة كأن يوجد حيوان أرقى من القرد وأدنى من الإنسان .

٣ – عمر الأرض لا يكفي لإحداث كل ما يرى من هذه الأشكال المختلفة [2] .

وفي قصة الايمان : أما الردود العلمية على نظرية دارون فهي كثيرة أهمها : إن الحيوانات البحرية الدنيا هي باقية حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في ابتداء العالم ، ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء . وأن طوائف الأحياء الكبرى الدنيا منها والعليا وجدت منها آثار في أسفل طبقات الأرض ، فلو كان ناموس الارتقاء أكيداً لوجب أن يكون الأعلى منها كذرات الفقرات في أعلى الطبقات . وإننا نجد كثيراً من الأجناس والطوائف قد كانت في العصور القديمة أكمل منها اليوم ، ونجد في الطبقات بعض حيوانات دنيئة فوق حيوانات عالية جداً ... [3].

وخلاصة القول في النظرية الداروينية أنها لا تعدو كونها نظرية لا حقيقة علمية وهذا الكلام يقال لمؤيدها والنظرية في أول انتشارها ، أما وقد تعرضت النظرية لانتقاد المختصين من العلماء وأيدوا أقوالهم بحقائق وإثباتات فلا مجال لهم أن يفرضوها أو يتشدقوا بها . إننا

---

١ . أنظر الإسلام ونظرية دارون ص ٥٠ .

٢ . دائرة معارف فريد وجدي ج ٤ ص ٣١ .

٣ . بتصرف قليل أنظر قصة الإيمان لنديم الجسر ص ١٨٧ .

إذا أحسنا الظن بداروين ونظرية التطور ، فإننا لا نصفهم إلا لأنهم وصفوا بعض ما شاهدوه، لكن مشاهدتهم كانت ناقصة واستقراءهم لم يكمل ، فكما أنهم شاهدوا ما يدعم النظرية ، فقد شاهد غيرهم ما يبطلها . إنهم لم يكتفوا بالاستقراء الناقص ، بل عللوا ما شاهدوا تعليلاً ذهنياً لا واقعياً ، فمن الذي قال إن طول عنق الزرافة جاء نتيجة لبحثها عن الطعام ، فكانت الأشجار عالية فالقوي والصالح من الزراف استطاع أن يمد عنقه ووصل إلى طعامه . والضعيف لم يستطع فانقرض ؟؟ . ومن أخبرنا أن الزراف في الأصل كانت عنقه قصيرة ؟ ومن قال إن الزراف لا يأكل إلا من الشجر العالي ؟ . إنهم يبنون هذا على قانون الاستعمال والإهمال ، فالعضو الذي يستعمل ينمو ويكبر والعضو الذي لا يستعمل يصغر وينقرض ، ثم تنتقل الصفات المكتسبة وراثياً في النوع الواحد ، فتتطور الكائنات وأقرب مثال لنقص هذا أن الحداد مثلاً يستعمل يده في الطرق فيكون صاحب عضلات مفتولة ، ولكن لا أحد يقول إن إبن الحداد يكون حداداً أو ابن النجار يكون نجاراً .

ويقول الأستاذ باشميل في تقديره للموضوع : ((لم يبن داروين هذه النظرية على أسس علمية قاطعة ثابتة لا يمكن الرجوع عنها ، وإنما بناها على افتراضات وتقديرات وتخمينات تحتمل الخطأ والصواب))[1] . ونحن إذ نوافقه على الشطر الأول من كلامه نرفض قول ((تحتمل الخطأ والصواب)) . إذ بعد انتقاد العلماء لها لم يبق لها مجال بل الأصح أن يقال ((فيها خطأ وصواب)) . فالصواب أن بعض الملاحظات التي سجلوها من مشاهداتهم لا مجال لإنكارها لأنها أمام الجميع، أما الخطأ فهو تعليل هذه الملاحظات وجعل الأمر قانوناً ينطبق على الكون كله . لأنه قد ثبت أيضاً – بالمشاهدات – ما يضادها ويعاكسها . وعلى

---

١ . ص ٤٨ الإسلام ونظرية دارون .

افتراض صحة النظرية جدلاً ، فلا مجال لأهل الإلحاد أن يتمسكوا بها ، إذ يمكن التوفيق بين مضمونها وكون آدم خلق على هيئتنا نحن ، والتوفيق يكون إذا اعتبرنا أن التطور قد وقع على المخلوق الأول قبل [1] آدم – على رأي بعض العلماء القائلين بوجود خلق [2] قبل آدم – وبهذا نسلم من المعارضة مع قوله تعالى ((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم)) [آل عمران : ٥٩] أما أقوال العلماء المسلمين فهي أقوال ينقصها البرهان والدليل الحسي ، ولا نقول إن نظرية التطور صحيحة لمجرد أن بعض علماء المسلمين قالوا بها ، إذ العلم ليس حكراً على المسلمين فإذا ثبت علمياً أن شيئاً ما حقيقة فلا بد من الإيمان به ، ولو كان قائله غير مسلم ، ولو كان شيء خطأ فلا نقول به ولو كان قائله من خيرة المؤمنين ، إذ الحق هو الذي يتمسك به لا الرجال كما سبق في قول الإمام مالك رحمه الله تعالى .

الدين أفيون الشعوب

ومما احتج به الملحدون في إنكارهم للدين قولهم إن الدين أفيون الشعوب وهي عبارة قالها كارل ماركس اليهودي . ويقول الملحد القصيمي : إن القوانين تعاقب من تناول المخدر مرة في خفية ولكنها تبيح تخدير الآلاف بل مئات الملايين في المساجد والجمعيات كل أسبوع بل كل يوم ثم تحثهم على أن يخدروا وتجازيهم بالأموال)) [3] . إن الشيوعيين في بلادنا يرددون قولة ماركس دون أن يمحصوها . فإذا كنا قد نعذر ماركس وغيره في الثورة

---

١ . ص ١٢٢ الإسلام ونظرية دارون بتصرف .

٢ . حيث استدلوا بقوله تعالى : (أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة : ٣٠] .

٣ . ص ٣٢٧ الرد القويم على ملحد القصيم . لعبد الله بن علي بن يابس . مطبعة الإمام بمصر .

وإطلاق العبارات ، فإننا لا نعفي من لم يعش مثل ظروفهم ليقول قولهم . كان الأولى بماركس وهو يصف الاشتراكية بالعلمية [1] أن يقول الكنيسة أفيون بالشعوب ، وليس الدين أفيون الشعوب إذ الدين غير الكنيسة ، ثم إن كلمة الدين عامة فلا يصح التعميم في مجال لا يصلح فيه إلا التخصيص ، وهذه من مغالطاتهم وتزويراتهم كما سبقت الإشارة . إن الغرب عاش ملابساته الخاصة ، فقد كان الإقطاع يمثل أبشع أدواره في أوروبا وفي روسيا بوجه خاص حيث يموت الألوف جوعاً كل عام ، ويموت الملايين بالسل وغيره من الأمراض ، والصقيع يقضي على عدد مماثل ، كل ذلك والإقطاعيون يلغون في دماء أولئك الكادحين ، ويعيشون في ترف فاجر يستمتعون فيه بكل ما يخطر على القلب من ألوان المتاع، فإذا خطر للكادحين أن يرفعوا رؤوسهم بل إذا خطر لهم أن يحسوا مجرد إحساس بالظلم الذي يعيشون فيه أسرع رجال الدين يقولون لهم : ((من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن أخذ رداءك فاترك له الثوب أيضاً)) ((وقالوا لهم من عصى سيده فهو عاص لله وللكنيسة ولرجال الدين)) . علماً بأن الكنيسة كانت من ذوات الإقطاع ، وكان لها ملايين من رقيق الأرض . وإذا حاول بعضهم القيام بالثورة عوقب باسم تأديب الخارجين على الدين والملحدين بآيات الله . ومن هنا كان دين الكنيسة عدواً للشعب ، وكانت قولتهم تنطبق على وضعهم أنفسهم . لكن الشيوعيين في بلادنا يجعلونها تنطبق على الإسلام ، لمجرد

---

١ . هذه تسمية مرفوضة في قاموس الإسلام .

أن بعض المتسمين بالعلماء يداهنون الظالمين [1] ويؤولون النصوص لصالحهم . وكثيراً ما سمعنا من بعضهم تشدقهم بقوله تعالى : ((وأولي الأمر منكم)) [2]

. إن تسمية هؤلاء بالعلماء من أعظم الافتراءات ، بل الأولى أن يسموا بالببغاوات التي تردد مالا تعرف ، ولو عرفوا الله حق قدره ما باعوا دينهم بدنياهم . حيث أن العلماء هم الذين علموا وعملوا فلا فائدة في قول دون عمل .

فلا يقبل في ديننا قول شخص إذا كان هذا القول من هواه ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ [النجم: ٣] فلو كان النبي ينطق عن الهوى لما قبل منه ، ولكن الله عصمه . أما غيره من الرجال فغير معصومين ، فإذا قالوا قولاً ينافي الإسلام ضرب به عرض الحائط ، ولا قداسة لقوله ، ولو كان متقلداً لأكبر المناصب من قاضٍ للقضاة ومفت للبلاد . إن المسلمين يختلفون عن النصارى ، إن كل مسلم يجب عليه أن يفهم دينه ، ولا يترك دينه يفهمه الناس إياه خبط عشواء بل هو مسئول أمام الله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] والخطاب عام يشمل كل المكلفين . وطلب العلم فريضة على كل مسلم [3] وتدخل المرأة تحت كلمة (مسلم) . وعليه فلا يمكن أن يحدث عندنا ما حدث عندهم . والملاحظ أن أي انحراف من أي عالم يغير النظرة إليه مباشرة وبالمثال الحاضر فإن بعض العلماء كانت هم

---

١ . كما في عهد فاروق كانوا يسمونه الملك الصالح وكما في بعض الدول حيث يسمون حاكمهم بأمير المؤمنين .

٢ . بتصرف عن شبهات حول الاسلام لمحمد قطب ص ١٨٤ وقال يوسف العظم في كتابه الإيمان وأثره في نهضة الشعوب ص ٣٣ : لقد استغل الاستعمار البريطاني في الهند وجود القاديانية ليبث عبرها تفسيراً مزوراً لقوله تعالى ((وأولي الامر منكم)) ليثبت الإنجليز أقدامهم ولهذا ألغت القاديانية الجهاد وكذلك البهائية في إيران .

٣ . ذكره في مجمع الزوائد بروايات كثيرة لا تخلو من نقد . وابن ماجة في المقدمة .

مكانة كبرى في نفوس المسلمين ، كعلماء أفذاذ يدافعون عن الإسلام ويوضحون للناس متنقلين بين البلاد من مسجد إلى آخر ، ولما جاءت ساعة انحرافهم انحرفت القلوب عن تقديرهم ونظرت إليهم باشمئزاز ، ولو عادوا إلى الحق لعادت القلوب لمحبتهم ، وهذا هو الإيمان الذي علمنا إياه محمد ﷺ بقوله : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[1] .

ومما يتشدق به الملحدون في تقرير أن الإسلام مخدر قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[النساء: ٣٢] وقوله ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[طه: ١٣١] .

أما الآية الأولى فقد ذكر ابن كثير أنها نزلت بشأن أم سلمة حين قالت يا رسول الله يغزو الرجال[2] ولا نغزو ، وقد تكون نهياً عن التمني الفارغ مع القعود عن العمل لأنه يؤدي إلى الحسد .

أما الآية الثانية فهي دعوة إلى الاستعلاء على القيم المادية ، ثم هي ظاهرة التوازن في التوجيهات فأمر للفقير بالاحتفاظ بالكرامة ، وأمر للغني بالإنفاق وعدم الاستئثار بالمال .

ومما يدفع قول الملحدين من أن الإسلام مخدر ، أن جميع حركات التحرر في العالم الإسلامي حركات دينية ، فالحركة التي وقفت ضد الاستبداد في عهد الملكية في مصر حركة دينية اغتيل زعيمها رحمه الله وسجن أفرادها . والثورة التي قامت ضد محمد علي رائدها

---

١ . أنظر البخاري مع الفتح ١/ ٦٠ .

٢ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٢٦٩ ج ٢ دار الأندلس .

السيد عمر مكرم الزعيم الديني . والثورة ضد الإنجليز في السودان زعيمها المهدي [1] الكبير ، وكذا الثورة البيضاء في ليبيا والمغرب وأندونيسيا ...

وهذا كله نتيجة لتربية الإسلام إذ هدد الراضين بالظلم القاعدين عن الكفاح قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾[النساء: ٩٧] . ولو قعد الناس عن مكافحة الظلم لانتشر المنكر وفسق المترفون نتيجة لتكدس الأموال معهم قال تعالى ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧] ، فإذا أصبح المال دُوْلة ، فإن الفساد سينتشر قال تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] وقال ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤] والله تعالى يقول :
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩] ويقول ﷺ : ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان)) [2] وقال : ((أفضل الجهاد أن يكلم بالحق عند سلطان أو قال عند سلطان جائر)) [3] والمنكرات لا تحدث إلا عند

---

١ . قال في الأعلام ٦/ ٢٤٥ (محمد بن أحمد بن عبد الله المهدي السوداني قاد السودانيين للثورة ودانت له السودان) ولد عام ١٢٥٩ هـ وتوفي بالجدري عام ١٣٠٢ هـ .

٢ . رواه مسلم ٦٩ .

٣ . قال في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٢ (رواه البزار وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف . وهو عند أبي داود ٤٣٤٤ والترمذي ٢٦٥ م وأحمد ٣/ ١٩ و ٤/ ٣١٤ .

السلطان الجائر . ثم إن النفس الإنسانية إذا لم تكن راضية كانت ساخطة ، والساخط لا يجد الهناء والسعادة في عيشه ، وحتى ينقذ الإسلام المسلم من هذه التعاسة وجهه نحو الرضى بما قسم الله له وذلك وبعد أن يبذل كل ما في وسعه في العمل . إن الإسلام لا ينكر عليه إذا كثرت الدنيا في يده بحيث لا يضيع دينه ، ولكنه يحفظه في الجانب الآخر ، وهو إذا ما قلت الدنيا عنده فليرض ولا يسخط حتى لا يقع تحت وطأة الفقر والتعاسة معاً .

ثم إن النواحي الاقتصادية لا تستطيع تحقيق السعادة للإنسان إذا لم يكن رضياً فمثلاً : إنسان شهير وآخر يحب الشهرة ، فتاة جميلة وأخرى بشعة ، زوج وزوجته في سعادة من العيش وآخر وزوجته في تعاسة ونكد . ماذا تستطيع كل قوى الأرض أن تصنع لهؤلاء ؟ لا شيء[1] ، ولهذا كانت الدعوة إلى الرضى لها دورها لا من الناحية المادية فحسب بل من الناحية الاجتماعية والتكوين الخلقي .

ثم إن المساواة أمر مستحيل فلا بد من التفاوت بين الناس لاختلاف نشاطهم ومقدرتهم وهكذا سنة الحياة يجب أن نقرب بين الناس ، ولكن هذه المحاولة لن تصل إلى المساواة المطلقة .

إننا كما نرفض الشيوعية نرفض الرأسمالية . والإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية ، بل هو الإسلام الذي أنزله الله رب العالمين ، الذي يعلم السر وأخفى . ويقول مصطفى محمود : ((وقالوا إن الدين أفيون يوزعه الأغنياء على الفقراء وصكوك بجنة وهمية بعد الموت في مقابل سرقتهم لحياة الناس : وهو بذلك سلاح لطبقة على طبقة . .)) وقال في الرد عليهم : ((ونسوا أن فطرة الله بدأت في المجتمع الهمجي البدائي والمشاعي قبل أن يظهر الإقطاع

---

١ . شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص ١٨٤ وبعدها .

والرأسمالية ، بما فيهما من صراعات وطبقات ، ولقد خرجت الرأسمالية مهزومة بعد التحول الإجتماعي وانتصار الفكر المادي ، وظل الدين ثابتاً في معاقله يؤدي دوره))[1] .

ويزعم الملحدون أن في تعاليم الدين ما يؤخر عجلة الإنتاج ، فالصوم والصلاة والحج كل هذه تؤخر الاقتصاد . فالصوم يفرض الكسل[2] والخمول والنوم والصلاة تأخذ وقتاً متفرقاً من اليوم ، والحج يأخذ أياماً وتنفق فيه الأموال الطائلة . وهؤلاء الملحدون لو جربوا الإسلام وعاشوه حقيقة لما تلفظوا بهذا ، فمن قال إن الصوم يفرض الكسل ؟ وها هو تاريخ الإسلام الناصع يقول إن معركة بدر وحطين وعين جالوت كلها وقعت في رمضان . أما الصلاة فلا تأخذ وقتاً يذكر ، ولا يقابل ما يصرفه الماديون في تدخين سيجارة أو قراءة التافه والمنحل من الصحف بل الصلاة بأوقاتها المنتظمة من أهم العوامل – لمن جربها – على إعطاء دفعة نشاط إلى العمل . أما وقت الحج فهو عشرة أيام وما أظن واحداً من هؤلاء الملحدين إلا ويذهب رحلة واحدة على الأقل ولمدة شهر أو أكثر متنزهاً ويصرف أموالاً طائلة في النوم والأكل والشرب والفساد . ولا فارق بين رحلة الحج ورحلة السياحة إلا أن الأول عابد لله وقاصد وجهه وله الأجر ، بينما الآخر قد يكون عليه الوزر والمعصية . ألا فليبحث الملحدون عن حجة تكون أقرب إلى العقول مما يتذرعون به ، مما لا يقف لحظة أمام البحث والنقاش . ولعل الملحدين لم يذكروا الزكاة والشهادتين لأنهما يتضمنان – بوضوح – الدفع الاقتصادي فالزكاة أخذ من مال الأغنياء وإعطاء للفقراء ، والشهادتان تدفعان المسلم إلى التحرر من

---

١ . ((الله)) لمصطفى محمود ص ١٥٠ ط ١ دار العودة .

٢ . وقبل سنوات طلع أحدهم علينا – وكأنه مفت – بفتوى لعمال المصانع يسمح لهم بالإفطار برمضان بحجة التعب ، وهذا تعليل سخيف لكنه تعبير عن الحقد على الإسلام إذ هو نفسه الذي قال إن القرآن خرافات كأهل الكهف وعصا موسى فلعنة الله على الكافرين .

كل خوف إلا من الله ، ولذلك يتحرر من كل قيد وينطلق يعمل وبجد . ومع هذا يقول ل . ي كليموفيتش : ((وكانت المبالغ الكبيرة التي تجمع من ضريبة الزكاة توضع بكاملها تحت تصرف الخليفة ورجال الدين بدلاً من إنفاقها على الأعمال الخيرية ، كذلك أحاط الخلفاء أنفسهم بوسائل الترف والرفاهية على حساب الكادحين .. فالخلافة كانت حكومة دينية إقطاعية منظمة بشكل يساعد على استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المغلوبة .. فالقرآن والسنة والشريعة إنما هي كتب تم تأليفها في القرون الوسطى في زمن سيادة الإقطاع))[1] .

وكلام هذا المجرم من مغالطات الملحدين . فحقاً إن أموال الزكاة تحت تصرف الخليفة لكن كلمة ((تحت التصرف)) لا تعني في قاموسنا الإسلامي أن للخليفة حق النهب من هذا المال كما يحدث عندهم ، وقصة عمر بن عبد العزيز[2] حين أطفأ سراج الدولة وأضاء سراجه معروفة ، وقصة عمر بن الخطاب لما وزع البرد اليمانية فأخذ كما يأخذ بقية الناس كذلك معروفة . وقصص كثيرة في تاريخ الخلفاء ولو حصل أن تجاوز خليفة على المال العام فالإسلام لا يقبل سلوكه . أما أن أموال الزكاة لم تنفق في الأعمال الخيرية فهذا محض كذب ولا يحتاج إلى نقاش ، لأن كل من قرأ تاريخ الإسلام فإنه يرى ما يكذب هذا . أما أن الخلفاء أحاطوا أنفسهم بوسائل الترف ، فهذا كذب على الخلافة الراشدة وهي التي تمثل الإسلام حق التمثيل . فكلامه كله كذب ودعاية ضارة بالإسلام يصدقها من لا يعرف الإسلام . ولا أدري أين يذهب الملحدون بآيات الجهاد ، وتاريخ الإسلام كله معارك وغزوات وها هو خالد بن الوليد حين كان على فراش الموت يصف جسده من كثرة ما خاض من الحروب

---

١ . الرد على الملحدين ص ١٩ .

٢ . قال في الأعلام ٥/ ٢٠٩ ((عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص الخليفة الصالح ولد بالمدينة عام ٦١ هـ ونشأ وترعرع فيها بويع في دمشق ومنع سب علي على المنابر وقد قتل بالسم عام ١٠١ هـ)) .

فيقول : ((وما في جسدي شبر إلا فيه طعنة من رمح أو ضربة سيف)) هذا الدين لا يمكن أن يكون مخدراً وهو يقول ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] هذا الإسلام سيعرفه المجرمون يوم تأتيهم جيوش الرحمن تدك عليهم بيوتهم التي أشبه ما تكون ببيت العنكبوت . سيعرفون هل الدين مخدر أم لا ؟ سيعرفون كما يعرف الآن زعماؤهم في الكرملين حيث لقنهم الأفغان دروساً في الثورة المنطلقة من الدين ، وعرفوهم بأن الدين شعلة لا مخدر ولا أفيون ، وهكذا في كل بقاع الأرض بدأت الثورات الإسلامية تشعل فتيلها لتعلم الملحدين أن الدين ليس مخدراً بل هو قوة ، ما بعدها قوة وثورة عارمة في النفس والمجتمع والعالم .

وبعد هذا العرض لشبهاتهم ودحضها أحب أن استكمل الموضوع في ذكر بعض دلائل وجود الخالق .

دلائل لوجود الله

فمن الدلائل على وجود الخالق قانون السببية كما قال الأعرابي((البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدلان على العليم الخبير)) [1] قال الباقلاني ((... وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر ، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه لأنه ليس التقدم لصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره ، فوجب أن يدل على فاعل فعله وصرفه في الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما شاء الله تعالى﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]

---

١ . رحلة عبر الغيب ص ١٤ .

وقال ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]
ويدل على علمنا بتعلق الفعل بالفاعل في كونه فعلاً كتعلق الفاعل في كونه فاعلاً بالفعل، فإن تعلق الكتابة والصناعة بالكاتب والصانع كما تعلق الكاتب في كونه كاتباً بالكتابة فلو جاز وجود فعل لا من فاعل وكتابة لا من كاتب وصورة وبنية محدثة إلا من مصور لجاز وجود كاتب لا كتابة له ، وصانع لا صنعة له ، فلما استحال ذلك وجب أن يكون اقتضاء الفعل للفاعل ودلالته عليه كاقتضاء الفاعل في كونه فاعلاً لوجود الفعل وحصوله منه....)) [1] فالأثر يدل على المؤثر ، كالكهرباء عرفت بآثارها والمغنطة عرفت بالتجاذب الملحوظ وهكذا.

إن الإلحاد لا سند له وهو يدحض نفسه إذ ينكر الأسباب ، ولهذا قال بعض الفلاسفة إن إنكار السبب الأول للأشياء بمنزلة عدم الأسباب بالكلية ، فليس بمعقول أن الحلقة من السلسلة تحتاج إلى من يمسكها من الحلقات الأخرى والسلسلة كلها لا تحتاج إلى مسك [2] ولم يستطع الماديون الملحدون أن يعيشوا من غير إله ، فقالوا إن الإله هو الإنسان السامي ((السوبر مان)) كما يقول نيتشه [3] . إن القلق والحيرة اللذين يعيشهما الملحدون كافيان عبرة أن تدعواهم للإيمان وأن العجز عن إدراك حقيقة الإله هي من دلائل الخالق إذ عقولنا تقصر عن الإحاطة به .

---

١ . الإنصاف ص ١٨ .

٢ . مجلة الأزهر ((نور الإسلام)) المجلد الأول العدد الأول ص ٩٧ ط ٢ صفر ١٣٤٩ هـ تصدرها مشيخة الأزهر .

٣ . الله ذاتاً وموضوعاً لعبد الكريم الخطيب ص ١١٤ .

ومن دلائل الخالق هذا الخلق كما قال تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١] ولهذا الأمر أمر الإسلام بالتفكر . وما أجمل جواب الإمام جعفر الصادق على سؤال الديصاني السابق إذ قال وقد تناول بيضة ((يا ديصاني هذا حصن مكنون عليه جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق فضة مائعة وذهبة سائلة فلا الفضة المائعة تختلط بالذهبة السائلة ولا الذهبة السائلة تختلط بالفضة المائعة لا يدخل إليها داخل فيصلها ، ولا يخرج منها خارج فيخبر عن صلاحها أو فسادها ، لا يدري خلقت للذكر أم للأنثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس . أترى هذا بغير مدبر ؟ فآمن الديصاني[1] .

وفي حوار بين سقراط وأرستوديوم قال سقراط : ((ألا ترى معنا أن الذي خلق الإنسان وسواه قد أعطاه كل عضو من أعضائه لمنفعة خاصة ، وفائدة بينه ، ومنحه من الأجزاء والأجهزة بما يحس ويشعر بواسطته ، فمتعه بعين ليرى بها المحسوسات ، وبأذنين ليسمع بها الأصوات ، وبماذا كانت تفيد ذكيات الروائح لو لم يكن لنا أنوف تدركها وتحس بها ؟ أترى أننا كنا نتمتع بإدراك الحلو والمر من الطعام والإلتذاذ بمحبوبات الفم لو لم يكن لنا ذلك اللسان الذي وضع لتمييزها والحس بها ؟ ألا ترى أن من دلائل التدبير والحكمة أن تتمتع العين وهي ضعيفة بجفون تنتفح وتنغلق عند الحاجة وتنطبق عند النوم ؟ وأن توهب تلك العين غربالاً من أهداب لتقيها فعل الرياح السائرة ؟ وأن تمنح لها تلك الحواجب كميزابِ

---

١ . الحياة بعد الموت لرضي المطوف السماوي ص ٩٩ الله أعلم بصحة هذه القصة من حيث التاريخ وإن كان معناها صحيحاً .

يمنع عنها غوائل العرق المتساقط من الرأس ؟ وأن تصنع الأذن على صورة لا تكل من سماع ولا تعيا من الحس بها ؟ ...))[1].

وقال سعيد حوى تحت عنوان ظاهرة الهداية : ((ثعبان الماء متى اكتمل نموه هاجر من مختلف البرك والأنهار قاطعاً آلاف الأميال في المحيط قاصداً إلى الأعماق السحيقة جنوب برمودا حيث ملتقى ثعابين الماء في كل أنحاء العالم وهناك يبيض ويموت أما صغارها تلك التي لا تملك وسيلة تتعرف بها على أي شيء سوى أنها في مياه قفرة ، فإنها تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطيء الذي جاءت منه أمهاتها ، ومن ثم إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة ، ولذا يظل كل جزء من الماء مليئاً بثعابين البحار ، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوروبية أو العكس ...))[2] وقال : ((في عملية الرضاع تنمو الغدد التي تصنع اللبن مدة الحمل ويدفعها إلى هذا النمو مواد يفرزها المبيضان وفي نهاية الحمل وبدء الوضع ، تتلقى هذه الغدد من الغدة النخامية الموجودة في قاعدة الجمجمة أمراً بالبدء في صنع اللبن ، وما يكاد الطفل يولد حتى يبحث عن ثدي أمه بهداية لا حد لها . وعملية الرضاعة عملية شاقة إذ أنها تقتضي انقباضات متوالية في عضلات وجه الرضيع ولسانه وعنقه وحركات متواصلة في فكه الأسفل ونفساً من أنفه ويقوم الطفل بهذا كله بهداية تامة من أول رضعة لساعة فطامه[3] وقال عبد الرحمن الميداني حول دليل الإتقان في الكون : ((فمثلاً الأرض فيها البحر واليابس والجبال والأغوار والسهول والصخور والرمال

---

١ . ((الله والإنسان)) لعبد الكريم الخطيب ص ٧١ .

٢ . ((الله)) لسعيد حوى ص ٥٤ .

٣ . المرجع السابق ص ٥٦ .

والتراب والمعادن والينابيع والأنهار والألوان والطرق والصيف والشتاء والليل والنهار وسيرها وحركتها .. كل هذا يدل على إتقان في الصنع يدل على الصانع))[1] ومن الدلائل على وجود الله الفطرة البشرية فهو الشعور عند كل إنسان غني أو فقير ، قوي أو ضعيف بوجوب اللجوء إلى قوة عليا .

يقول الدكتور عبد الله عزام[2] : ((وهذه الجوعة الفطرية للجوء إلى قوة عليا تبرز بادية للعيان أمام الأعاصير والكوارث والمحن فهذا ستالين الذي كان يقول لا إله والحياة مادة ، والدين علقة تمتص دم الشعوب ، يضعف أمام هول الحرب العالمية الثانية فإذا به يخرج القساوسة من السجن حتى يدعوا له بالنصر ومرة ثانية أمام شدة المرض يرسل وراء القسيس حتى يصلي له ويستغفر))[3] ويقول القرضاوي : ((.. ولم يملك الشيوعيون – على تعصبهم – في الحرب الثانية إلا أن يطلقوا سراح الدين وقتاً ما ليؤدي دوره في تثبيت النفوس وإمساكها أن تنخلع وتنهار .. [4] إن الإنسان إذا ألمت به ملمة ولم يجد لها حلاً لجأ إلى قوة لا يراها لكنه يشعر بروحه ونفسه بوجودها ، وأنها قادرة على كل شيء ، الطلاب أيام الإمتحان ، والإنسان أثناء المرض يلجأ كل منهما إلى القوي القادر المنجي وهو الله تعالى[5] ويقول سعيد حوى في معرض كلامه عن ظاهرة الإجابة مستدلاً بها على وجود الله قال : ((أذاع راديو دمشق في ١٠/ ١/ ١٩٦٥ م الساعة الثالثة إلا ربعاً بعد الظهر نقلاً عن مجلة

---

١ . العقيدة الإسلامية وأسسها بتصرف ص ١٤٦ .

٢ . مدرس في كلية الشريعة الإسلامية وهو خريج أزهري ،

٣ . العقيدة وأثرها في بناء الجيل لعبد الله عزام ص ٥٣ ط ١ .

٤ . الإيمان والحياة ص ١٨٤.

٥ . بتصرف عن ((تعريف عام بدين الإسلام)) للطنطاوي ص ٤٥ ط ٧ .

الأبحاث الطبية الصادرة في انجلترا حادثة نشرتها المجلة المذكورة بتوقيع الطبيب الذي جرت معه الحادثة . والقصة أن شاباً بقي مريضاً بمرض مزمن مدة ثلاثة عشر عاماً وأعيا الأطباء دون أن يصل إلى نتيجة ، وقد دخل كآخر طبيب ، الطبيب الذي يروي القصة وبعد أن أتم فحصه رأى أنه لا أمل منه ، وهناك سأله المريض بلهجة اليأس لا أمل يا دكتور ؟ فقال : الدكتور هناك أمل واحد في السماء فجرب أن تدعو ألا تعرف أن تصلي ؟ وأول مرة يدعو الشاب الذي دام مرضه ثلاثة عشر عاماً وعندما زاره الطبيب بعد أسبوع وجد المريض معافى وقد شفي من مرضه الذي لم يستطيع الأطباء أن يعالجوه منه .. وحدثنا شاب مصري مجد شارك في المقاومة السرية التي جرت في مصر في قناة السويس من (١٩٥١ – ١٩٥٤ م) عن ثلاثة من المقاومين خرجوا لينسفوا سكة الحديد في منطقة مكشوفة ، وكانت الليلة مقمرة والسماء صافية والأرض صحراوية ترى تحركات من فيها عن بعد ، ويعرضهم هذا لنيران العدو ومطاردته فقال أحد الثلاثة وهم ماضون : ((يا رب ولا غيمة)) فلم يلبثوا أن شاهدوا سحابة تجلل وجه القمر فانتشر الظلام مما ساعدهم على القيام بمهمتهم ورجعوا بسلام . وكلنا سمع ما حدث يوم الهجوم على مصر أثناء العدوان الثلاثي إذ اشتعلت النيران في مدينة بورسعيد وضاق الأمر بالناس ودعوا ربهم مخلصين فكان المطر الذي أطفأ الحريق يوم ذاك [١].

ومع هذا فإن الملحدين يصرون على إنكارهم هذه الحجة التي يشعر بها الجميع ، حتى الملحدون أنفسهم ، لكنهم يصرون ويستكبرون فيفسرون التدين بأنه ميراث ضعف وخوف من قسوة الطبيعة ، ويعتبرون سبب وجود الدين سبباً تاريخياً يتعلق بخوف الإنسان وضعفه

---

١ . ((الله)) لسعيد حوى ص ٥٢ .

أمام الأحداث والكوارث والشعور بالخوف . إنهم يرفضون الدليل النفسي و لا مجال لإثبات بطلانه عندهم إلا بهذا التفسير حيث سلموا بشعور الإنسان به . ومن الدلائل على وجود الخالق أن هذه الشهوات الدنيوية لا تروي النفس الإنسانية يقول على الطنطاوي : ((إن الإنسان يدرك بالحدس أن هذا العالم المادي ليس كل شيء وأن وراءه عالماً روحياً مجهولاً لا يدرك منه لمحات تدل عليه ، ذلك أن اللذات المادية محدودة إذا هي بلغت غايتها ووصلت إلى حدها لم تعد اللذة لذة ، ولكن صارت عادة فذهب طعمها وبطل سحرها وصارت كالنكتة المحفوظة والحديث المعاد . يبصر الفقير سيارة الغني تمر به وعمارة الغني يمر بها فيحسب أنه يجوز الدنيا إن حاز مثلها فإن صارت له لم يعد يشعر بالمتعة بها ، ويمرض المريض ويتألم فيتصور اللذة كلها في ذهاب الألم والشفاء من المرض فإذا عاودته الصحة ونسي أيام المرض لم يعد يرى في الصحة شيئاً من تلك اللذات .. إن هذه الحياة المادية ليست كل شيء وإن العالم المجهول المختبيء وراء عالم المادة حقيقة قائمة تحن إليها الأرواح وتحاول أن تطير إليها ولكن هذا الجسد الكثيف يحجبها عنها ويمسكها عن أن تنطلق وراءها وهذا هو الدليل النفسي على وجود العالم الآخر))[1]

ومن الدلائل الأخرى ظاهرة التلباثي[2] وظاهرة الجلاء البصري[3] ووجد أنهما مظهران لشيء واحد يخضع لنفس القوانين التي تحكم هاتين الظاهرتين ، وسميتا بالإدراك خارج الحواس ، ووجد أنها أي القوانين ليست قوانين مادية . ومعنى هذا أن للشخصية الإنسانية جانباً يستطيع الإدراك بدون استعمال الحواس فما هو هذا الجانب ؟ إنه لا يمكن أن يكون

---

١ . بتصرف عن ((تعريف عام بدين الإسلام)) ص ٤٩ .

٢ . ومعناها إدراك الشخص لأفكار في ذهن شخص آخر دون تدخل الحواس .

٣ . أي إدراك الأشياء والحوادث بغير طريق الحواس .

المخ لأنه مادة تخضع لقوانين المادة ، ولكن هذا الجانب لا يخضع لقوانين المادة . وبهاتين الظاهرتين تفسر جميع الحوادث التي وقعت مع الكثيرين بخصوص رؤيتهم لشيء يقع وهو بالفعل يقع في مكان آخر ، ومن هذا القبيل تشعر الأم بأن ابنها مريض وهو بعيد عنها فيكون مريضاً بالفعل أو ميتاً إن شعرت أنه ميت [1].

وأخيراً هذا الإجماع البشري على وجود الخالق العظيم يجب أن يعطى أهمية كبرى ، فالموحدون والوثنيون والأنبياء والفلاسفة إلا قليلاً منهم لا يقام لهم وزن ولا يحسب لهم حساب ، حتى هذه القلة الملحدة تجد منها من يؤوب إلى الإيمان يقول أحدهم : ((لو أردت من نفسي وعقلي أن يشكا لما استطاعا ولو أرادا مني أن أشك لما استطعت ، ولو أني نسيت إيماني بالقول لما صدقت أقوالي ، فشعوري أقوى من كل أقوالي ، ماذا لو أن إنساناً قال إنه لا يحب نفسه أو لا يحب الحياة فهل تصدقه أو هل يصدق هو كلامه ؟ هل يمكن أن ننفي إحساسنا بها بالكلام . إن الحقائق الكبيرة لا تسقطها الألفاظ وكذلك الإيمان)) [2] .

وختاماً فإن من أراد الحق يكفيه دليل واحد نفسه التي بين جنبيه .

وصلى الله على محمد وآله وسلم . والحمد لله رب العالمين .

---

١ . بتصرف عن ((العقل وسطوته)) للدكتور (ح . ب . راين) ترجمة الدكتور محمد الخلوجي ص ٢٦ .

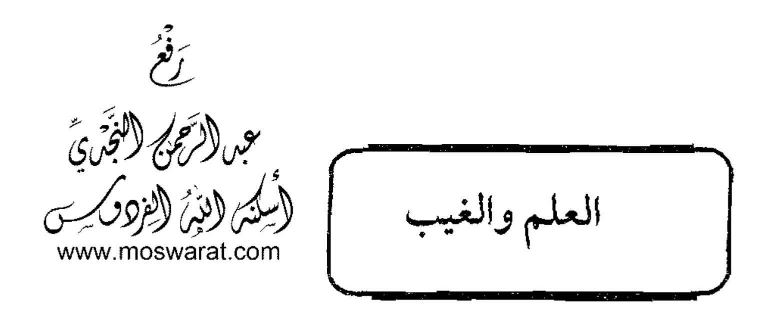
٢ . بتصرف عن ((الإيمان والحياة)) للقرضاوي ص ٨٩ .

الباب الثالث

الفصل الأول

العلم والغيب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



العلم والغيب

ذكرنا في الفصل السابق (الرد على منكري البعث) أنه مما احتج به الملحدون على إلحادهم أن الغيب يتعارض مع العلم ، وأن العلم لا يجتمع مع الغيب ، فلزم ترك أحدهما وهو الغيب ، لثبوت العلم عند الجميع وحاجتهم ومصلحتهم فيه وإليه . وقلنا إننا سنفرد هذه النقطة لفصل مستقل لأهميتها وهذا هو موضوع هذا الفصل .

في البداية يجب أن نتفق على حقيقة وهي أن للعقل (وهو أداة العلم) مجاله الخاص الذي يفكر فيه كما شاء بمنطقه وقيوده وشروطه ، يجول فيه كما شاء لا يقيده شيء خارج عنه ، وهذا المجال يتمثل فيما يلي :

١ – الكون وما تنطوي عليه آفاقه من قوانين ، وقد استقامت البحوث العلمية في مجال الكيمياء والطبيعة والهندسة والفلك والأحياء وتمهدت مناهجها . وليس أمام الفكر الإنساني حرج في ارتياد هذه الميادين الكونية وليس له حدود يقف عندها كما قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا ﴾ [العنكبوت: ٢٠] وقال ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ﴾ [الرحمن: ٣٣] .

٢ – شئون الدنيا وأساليب ارتقاء الإنسان في هذه الطبيعة التي تمهدت له وما يذخر به عالم الصناعة والزراعة والتجارة والطب والحرف ، وما أفادته الأمم من خبرات في هذه

الأنحاء كلها . فالعقل هنا دون قيد [١] ، ولهذا ورد عن الرسول ﷺ قوله : ((أنتم أعلم بشئون دنياكم)) [٢] .

أما ميدان العقيدة والعبادة وما وراء المادة ، فلا مجال للعقل فيها ، يقول ابن خلدون [٣] : ((.. بل العقل ميزان صحيح غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية ، فإن ذلك طمع في محال)) [٤] وقد رفض الإمام مالك رضي الله عنه أن يفسر الإستواء من هذا الباب . وما العداء الذي بين المحدثين والمتكلمين إلا لخوض المتكلمين في مالا مجال للخوض فيه . ((وقد روى أبو هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأنما فقيء في وجنتيه الرمان ، فقال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه)) [٥]. يقول عبد الكريم الخطيب :

---

١ . دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . لمحمد الغزالي ط ٤ ١٣٩٥ هـ ص١٢ دار الكتب / مطبعة حسان . القاهرة .

٢ . رواه مسلم ج ٤ ص ١٨٣٦ ط ١ الحلبية .. ((عن أنس أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون فقال لو لم تفعلوا لصلح قال : فخرج شيصا فمرّ بهم فقال ما لنخلكم ؟ قالوا : قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم)) .

٣ . عن مقدمة ابن خلدون تحقيق د . علي عبد الواحد وافي . جـ ١ ط ١ ١٣٧٦ هـ مطبعة لجنة البيان العربي : (ابن خلدون هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون ولد عام ٧٣٢ هـ وتوفي عام ٨٠٨ هـ أصل أسرته من اليمن ، دخلت الأندلس مع الفاتحين المسلمين تولى القضاء في مصر . درس القرآن والقراءات والتفسير والحديث والفقه المالكي واللغة والشعر والفلسفة والمنطق ومارس التدريس) .

٤ . مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٠ مطبعة مصطفى محمد بمصر (المكتبة التجارية) .

٥ . أنظر الترمذي ج ٨ ص ٢٩٥ بشرح ابن العربي ، قال أبو عيسى وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المريّ ، وصالح المريّ له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها .

(.. والحق أن شهادة العقل عن عالم ما وراء الحس شهادة بعيدة عن الحقيقة ، إذْ العقل في هذا الوقت لا يشهد عن علم ولا يخبر عن عيان ، وإنما يشهد بما يقع في الوهم وما يتصيده الخيال ولقد أجرت الإنسانية العقل في هذا الميدان .. قديماً وحديثاً فلم تبلغ بها غاية ولم يحقق بها مطلباً .. وقد أصبح من الحقائق المعتمدة في الفلسفة أن العقل لن يدرك كنه الوجود سواء الظاهر منه أو الباطن وإنه إن أدرك شيئاً من عالم المادة فلن يدرك إلا بعض الظواهر التي تلوح على سطحها ، أما أعماقها وأغوارها فلا يصل إلى شيء منها . وهذا مما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٦ – ٧] .

وقد تكشفت هذه الحقيقة لفلاسفة الهنود قديماً تكشفاً واضحاً ، فهاجموا الجسدية المادية ومارسوا الرياضية الروحية ، ونبذوا العقل كوسيلة للاتصال بما وراء الطبيعة . إن العقل لا يدرك كنه الوجود .. إذْ كيف يستطيع هذا المخ الضعيف الذي تتعبه عملية حسابية صغيرة أن يطمع في أن يدرك يوماً هذا العالم الفسيح المعقد ؟ .. ويقرر ((كانْت)) أن الإنسان يعرف من الأشياء ظواهرها أما الأشياء ذاتها فمستحيلة الإدراك [1] .. ويقول هربرت سبنسر : (إن في أمر الخلقة سراً عالياً يعجز الفكر والذكاء البشري عن الإحاطة به) [2] ويقرر الفيلسوف الأمريكي برجسون أن العقل هو الامتداد الطبيعي لحواسنا ، ولهذا فإن موضوعه الأول هو المادة الجامدة .. ويقول إن من أخص خصائص العقل عجزه الطبيعي عن فهم الحياة .. وينكر الفيلسوف نيتشه مقام العقل في التعرف على الحقائق .. ويشكك

---

١ . أنظر كتابه (نقد العقل المجرد) .

٢ . أنظر ص ٤٩ كتاب (العلم والدين للمشير أحمد عزت باشا التركي . ترجمة حمزة طاهر – طبع القاهرة عام ١٣٦٩ هـ

ديكارت في حقيقة ما يقع تحت الحواس، إذْ من المحتمل أن يكون مجرد أحلام ورؤى وأوهام .. ويتبع ديكارت الفيلسوف بركلي [1] ويقول في موضع آخر : (وظيفة العقل هي إدراك ما يقع له من مظاهر الوجود .. وقد ينتج الإدراك معرفة ، ولكنه لا يقيم إيماناً .. ذلك أن الإيمان أكبر من الإدراك وأعلى من المعرفة .. الإدراك يتعامل مع المحدود ، والإيمان يتعامل مع اللامحدود .. وعلى هذا يكون ما ليس بمدرك موضوعاً للإيمان ويكون عالم الغيب أو العالم غير المنظور واقعاً موقع الإيمان من الناس وإن لم يكن واقعاً في مجال الإدراك أو الحس ..) [2]

. ونحن إذْ نتكلم عن العقل حيث أنه أداة العلم فهو لا يناوئه . أما العلم فهو يطلق بمعنى :

١ – العلم البدهي مثل (الكل أعظم من الجزء) وما علم بواسطة الحواس وما علم بالدليل العقلي .

٢ – الاسم لكل علم من العلوم المدونة كالهندسة والفلسفة والمنطق والطبيعة والفقه وأصوله وأصول الدين وغيرها .

والعلم بالمعنى الأول مؤيد للدين .. أما العلم بالمعني الثاني فإنه يحكم على موضوعه ، أما ما وراء ذلك فليس له الحق أن يثبت أو ينفي . فالعلوم منها ما يؤيد ومنها ما يحايد ، ولا يوجد منها ما يعارض أو يمانع أساس الدين . ولهذا قال [و . س ثره وون] من علماء الإنجليز المشهورين : (إن الإلحاد على الأسس العلمية غير قابل للتحمل) [3] ولهذا فإنه كلما

---

١ . بتصرف عن (الله ذاتاً وموضوعاً) لعبد الكريم الخطيب ط ٢ ١٣٩١ هـ دار الفكر العربي ص ١٢٨ .

٢ . المرجع السابق .

٣ . بتصرف عن (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) مصطفى صبري ١٨٧٠ هـ نشر المكتبة الإسلامية ص ٢٧٥ المجلد الثاني .

تقدم العلم اقترب من الإيمان ، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: ٢٨] والعلماء لفظ مطلق ، وإن كان أول من يقع عليهم علماء الدين . إنه كلما تقدم العلم فقدت فلسفة الماديين مكانتها ، لكن الناس لا يجتمعون على شيء واحد ، فلا بد من وجود أناس يشذون عن الخط العام الذي تسلكه البشرية ، فالذين يرددون الصيحات المادية باسم العلم ، وادعوا لأنفسهم الموضوعية هم أبعد الناس عن ذلك ، بل هم الشواذ . إنهم يخلطون الحق بالباطل ، فالعلم حق ، لكن رفض الدين باسم العلم باطل ، لقد وصل بهم [١] الحد أن يقولوا : (من يعطينا دبابات وطائرات ويأخذ منا الأديان والعبادات ولنكف عن إطلاق البخور وترديد الخرافات) [٢] ومن قال لكم إن الدين والعبادة تأمركم أن لا تصنعوا طائرات ودبابات وغيرها ؟ .. ومن قال لكم إن الدين يطلب بخور الدجل ؟ أما الخرافات فالدين لا يعترف بها أصلاً ولا يقر أصحابها كما قال ﷺ : ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) [٣] ولمزيد من التوضيح حول هذه النقطة ذكرناها تحت عنوان (الكهانة والغيب) .

أما العلم فإنه يؤيد الدين ، وقد وصل الإنسان إلى صناعات واختراعات تؤيد الدين وتجعله قريباً من الإنسان . (فالسينما) و (التلفزيون) والمسجل اختراعات تقرب للذهن الأشياء الغيبية التي قال بها الدين . فإننا نرى كثيراً من الأشخاص المشهورين الذين ماتوا

---

١ . أي ملحدي البلاد الإسلامية .

٢ . ذكر عبارتهم مصطفى محمود في كتابه (رحلتي من الشك إلى اليقين) دار العودة بيروت ص ٦ .

٣ . قال في فتح المجيد (رواه الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما) ص ٢٩٦ الإسلام ١٣٥ ، ج ٣/ ٤٢٩ ، ٤/ ٦٨ ، ٥/ ٢٨٠ .

وانقطع خبرهم على شاشة (التلفزيون) وهم في حياتهم الطبيعية يقرأون ويتكلمون ، فهذه قدرة البشر فكيف بقدرة الله رب العالمين [1] . ومن الأشياء التي أثبتها العلم أن الأمواج الصوتية تبقى في الأثير إلى الأبد فمن الممكن سماعها مرة أخرى وهذا يؤيد ما يقرره الدين من أن أعمال الإنسان مسجلة . وأوضح من ذلك المسجل الذي بين أيدينا يسجل كل كلمة بل كل همسة ، فكيف بقدرة الله تعالى القائل ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] وها هي الإذاعات تبث موجاتها الصوتية ، ومع هذا نستطيع تمييز الأصوات فكيف بقدرة الله على ذلك سبحانه وتعالى ؟ .. ومما قرره العلم حديثاً وجود أشياء فيما وراء المادة وهي ما تسمى عند الغربيين بالمباحث الروحية . يقول وليم مكدوجل : (أستاذ علم النفس بجامعة بيرمون وهو عمدة في علم النفس الاجتماعي ، ومن أعظم علماء النفس في القرن العشرين) في كتابه [إرادة الاعتقاد] : (جمعية المباحث الروحية التي امتد علمها إلى انجلترا وأمريكا رئيسها الأستاذ سد جويك المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد وأعصاهم قياداً للشك في جميع البلاد الانجليزية وجميع أعضائها من أصحاب الكفاءات العلمية . وهي جمعية تقبل في عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لها ، وكل ما تشترطه الاهتمام بالروح كظاهرة طبيعة . وقبل إنشاء الجميعة حمل الرأي العام المجتمع العلمي الإنجليزي مهمة البحث في حقيقة الأمر ، فتألفت لجنة من ثلاثة وثلاثين عالماً استمروا مدة ثمانية عشر شهراً كتبوا في النهاية تقريراً (٥١٤ صفحة) وطبع إلى أكثر اللغات جاء فيه (عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالأعضاء ، لأجل نفي كل احتمال في إعداد آلات لإحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة أخرى ، وتحاشت اللجنة استخدام الوسطاء بل قام بالعمل أحد

---

١ . بتصرف عن (الحياة بعد الموت) رضا المطوف السماوي دار الزهراء بيروت ط ١ ١٣٩٣ هـ ص ٢٩٣ .

أعضاء اللجنة وهو رجل ثقة . وكان (٤/ ٥) رجال اللجنة مقتنعين في البداية أن الأمر خرافة وتدليس ، ولكن تنازل هؤلاء عن رأيهم بسبب ما رأوه ، واقتنعوا بأن هذه المشاهدات حقه لا غبار عليها)[1] .

واستجابة إلى الإنسجام بين الدين والعلم آمن كثير من العلماء في شتى الفنون . ويقسم العقاد العلماء من حيث الإيمان فيقول : (من العلماء من عقيدته تقرير وتوكيد ، ومنهم من عقيدته ترجيح ورغبة ، ومنهم من عقيدته استعداد وانتظار ، وحصة هؤلاء في تأييد العقيدة غير قليلة لأنها بمثابة (فتوى علمية) بأن العلوم التي تفرغوا لها وبلغوا مبلغ الثقة فيها لا تعارض الإيمان في أساسه ، ولا تمنع صاحبها أن يفتح صدره وضميره لعالم الغيب فليس عالم الشهادة عندهم بالعالم الوحيد)[2] .

وإليك أقوال بعض العلماء وهم يعبرون عن إيمانهم بالغيب ، مقررين بذلك أن الدين لا يتعارض مع العلم بل العلم يقود إلى الدين الحق .

يقول [وولتر اوسكار لتدبرج] : (للعالم المشتغل بالبحوث العلمية ميزة على غيره ، إذا استطاع أن يستخدم هذه الميزة في إدراك الحقيقة حول وجود الله ، فالمبادئ الأساسية التي تستند إليها الطريقة العلمية التي يجري بحوثه على مقتضاها هي ذاتها دليل على وجود الله)[3] ، ويقول بول [كلارنكس ابرسولد] : (والحق أن التفكير المستقيم والاستدلال السليم

---

١ . دائرة معارف فريد وجدي ج ١ ص ٢٤٦ .

٢ . عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ٨١ بتصرف .

٣ . أنظر ص ٣١ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) تأليف نخبة من العلماء الأمريكين ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان نشر مؤسسة الحلبي وشركاه بمصر .

يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله)[١] ... ويقول [جورج إيرل دافيز] : (كلما تقدم ركب العلم وتضاءلت الخرافات القديمة ازداد تقدير الإنسان لمزايا الدين والدراسات الدينية)[٢]، ويقول [توماس دافيد باركس] : (وإنني أجد شخصياً أن تفسير هذه الظواهر والعجائب بنسبتها إلى قدرة إله حكيم وتصميم خالق علوي يعد تفسيراً مرضياً للنفوس ومقنعاً للعقول . إنني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة ، إنني ألمس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم)[٣] .

يقول [دونالد روبرت كار][٤] : (ويتجلي التوافق بين العلوم والدين في ذلك النشيد الديني الذي استمع إليه تتغنى به الملايين في أمريكا، والذي ربما كان تأليفه من وحي الكشوف العلمية الحديثة التي تمت في السنوات الأخيرة، ويقول هذا اللحن : يا إلهي العظيم عندما أنظر بعجب ورهبة إلى كل العوالم التي صنعتها يداك ، وأبصر النجوم ، وأسمع هدير الرعد وزمجرته ، عندئذ تتجلى لي قوتك في كل أرجاء الكون ، عندئذ تغني روحي وتناجي إلهي الكبير ، ما أعظم إبداعك ما أعظم إبداعك)[٥] وها هو [سير اوليفر لودج] مخترع

---

١ . أنظر ص ٣٧ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) .

٢ . أنظر ص ٣٩ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) .

٣ . أنظر ص ٤٥ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) .

٤ . أستاذ الكيمياء الجيولوجية – حاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا – مساعد بحوث بجامعة كولمبيا – أستاذ مساعد بكلية شلتون – أخصائي في تقدير الأعمال الجيولوجية باستخدام الإشعاعات الطبيعية .

٥ . أنظر ص ٨٧ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) .

صمام الراديو يؤمن بالله ويزاول الصلاة [1] . ونجد ألكسيس كاريل يؤمن بوجود كائنات غير منظورة تملأ الفضاء حولنا ويقول : إن الصلاة تجعلنا على صلة بتلك العقول الخفية وتجعلنا محلاً لعنايتها وإلهامها [2] وهو يقرر أن الله لازم الإنسان لزوم الماء والأكسجين .

ويقول [روبرت بورم] عضو الجمعية الملكية الإنجليزية : (ولقد كانت مباحثي في الخمسين سنة الأخيرة مفرغة على الأكثر لدراسة الحفريات الفقارية ولم تقنعني هذه المباحث بأن أنواع الحياة الأخيرة قد جاءت من طريق التطور وكفى ، بل أقنعتني كذلك بأن هذا التطور لم يحدث جزافاً ولا عرضاً ولكن حدث بهداية أو هدايات روحانية [3] وغير هؤلاء العلماء كثير جداً يصعب حصرهم ولا مجال لذكرهم هنا وأكتفي بما ذكرت .

ومما ينقض قول القائلين بأن الدين يتعارض مع العلم أو العلم ، يتعارض مع الغيب توضيحنا لموقف الإسلام من العلم ، لقد وردت كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن على نحو يزيد على خمسين وثمانمائة مرة مقترناً بالثقة ورفع الدرجة ولم يُدِن إلا ترك التعلم وترك العمل بما علم ومقابل العلم يدين القرآن الظن . وأول ما يذكر في هذا المجال قوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] كأول آية نزلت من كتاب الإسلام العظيم . وهذا الكتاب وهو القرآن الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن العلم وقد بلغ عدد الآيات التي ذكرت المعرفة أكثر من (٧٠٠) آية شملت الفلك والجغرافيا والطب بفروعه العلاجي والوقائي والنفسي

---

١ .أنظر ص ٩٥ في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) . دار العودة بيروت ط ١ ١٣٩٢ هـ .

٢ . أنظر كتاب (الإنسان ذلك المجهول) ونحن إذ ننقل كلامه لا يعني هذا الموافقة عليه كله فعبارة العقول الخفية تعبير خاطئ عن الله ، وكذلك تشبيه لزوم الله بلزوم الاكسجين .

٣ . أنظر ص ٨٧ (عقائد المفكرين في القرن العشرين) لعباس محمود العقاد . بتصرف

والاجتماعي . ومن الآيات قوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨] فذكر العلماء بعد الملائكة الأطهار مباشرة في أقدس شهادة وهي توحيد الرب تعالى . وقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨] وقوله ﴿ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وقوله ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٩] وتذييل الآيات الكثيرة بـ (أفلا تعقلون) (أفلا تذكرون) (يتفكرون) ، ثم طالب بالمقابل مهاجمة الذين لا يحترمون عقولهم ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ووصفهم بالدواب ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة نذكر منها قوله ﷺ : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة))[١] وقوله : ((من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار))[٢] وقوله : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ذكر منها علم ينتفع به)) [٣] وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : ((من غدا المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه ، كان له كأجر حاج تام حجته))[٤] وقوله : ((أُغْد عالماً أو متعلماً أو

---

١ . رواه الترمذي ١٠/ ١١٥ وقال هذا حديث حسن قال ابن حجر ج ١ ص ٤١٤ (والأحاديث في فضل العلم كثيرة صحيح مسلم منها حديث أبي هريرة رفعه (من التمس طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) ولم يخرجه البخاري .

٢ . رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٣ . رواه مسلم ج ٣ ص ١٢٥٥ ط ١ .

٤ . قال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٣ (رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون كلهم) .

مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك))[1] وقال : ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين))[2].

وروي أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطي في الرياضيات السماوية لبطليموس على أستاذه الأبهري ، فدخل عليهما بعض الفقهاء يوماً فقال لهما : ما الذي تقرأونه ؟ فقال الأبهري : (أفسر آية من القرآن وهي قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ فأنا أفسر كيفية بنائها . قال الرازي : ولقد صدق الأبهري فيما قال[3] . ومما يذكر في هذا المجال قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] فلا بد من أعداد كل قوة حسب العصر وهذا يقتضي المعرفة الدقيقة .

ثم فداء أسرى بدر بتعليم عشرة من المسلمين أمر يذكر في هذا المقام ، ولا ننسى موقف الحضارة الإسلامية في زمن الرازي وابن سينا وغيرهم من العلماء في كافة المجالات من طب وهندسة وجبر وصيدلة وفلك وجغرافية وعلم اجتماع ... إلخ .

وقد وضح علماء الإسلام اتفاق العقل مع الوحي كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في كتابه (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) ، ومحمد عبده في كتاب (تاريخ الأمم ج ٢ ص ٢٥٩) وابن رشد في كتاب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ويقول الأستاذ محمد قطب : إن العلم وهو فريضة كان يقرب القلوب إلى الله ولا يبعدها عن

---

١ . قال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٢٢ (عن أبي بكره قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أُغْد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك قال عطاء : قال لي مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا والخامسة أن تبغض العلم وأهله) رواه الطبراني في الثلاثة والبزار ورجاله موثوقون .

٢ . البخاري مع الفتح السلفية ج ١ ص١٦٤ .

٣ . بتصرف عن (الإسلام والمبادئ المتسوردة) لعبد المنعم النمر ص ٨١ .

هداها . نعم لم تحدث في الإسلام تلك الفرقة البغيضة بين العلم والدين وكيف تحدث والعلم فريضة يتقرب بها الإنسان إلى الله ؟ وكيف يتقرب إليه بالبعد عنه والنفور منه ؟ كلا . إن العلم نور الله ، هبته المعجزة التي وهبها للإنسان ، وهي أولى بالشكر لا بالكفران .. لا يحدث في التاريخ الاسلامي أن عالماً يبحث في الفلك أو الطبيعة أو الكيمياء وجد نفسه معزولاً عن العقيدة ، أو وجد أن العقيدة تعطله عن البحث العلمي الدقيق ، ولم تقم الحرب والخصومة في قلب مسلم بين العلم والعقيدة . وإنما عاش في ظلال العقيدة يتقدم وينشط ويصل إلى كشوف هائلة أقرّ بها المتعنتون أنفسهم من علماء أوروبا دون أن يفترق الطريق لحظة أو يحدث الشقاق . ذلك أن العلم فريضة إلى الله تؤدى كما تؤدى الصلاة والصيام والزكاة)[1] وهذا هو ما ورد في الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وسبق أن قلنا أن المسلمة تدخل تحت كلمة المسلم وإنْ كانت لم ترد نصاً .

إن القرآن كتاب الله المقروء ، والكون كتاب الله المنظور[2] فكيف يتعارض الكتابان وهما مضافان إلى رب واحد. إن الذي خلق السموات والأرض والكون كله وبث فيه القوانين والسنن هو الله رب العالمين منزل الكتب ومرسل الرسل ، فلا يمكن أن يتعارض كلام الله في كتبه مع سننه المبثوثة في الكون، وما العلم الا اكتشاف لهذه السنن. حقا لقد تعارض في العصور الوسطى العلم مع الكنيسة ، لكن من قال إن كلام الكنيسة هو كلام الله؟((وقد أدرك هذا الأوربيون أنفسهم فكانت حركات الإصلاح التي قام بهالوثر (المتوفى

---

١ . قبسات من الرسول ، محمد قطب ص ٤٢ مكتبة وهبة ط ٢ ١٨٨٢ هـ .

٢ . أنظر (الطب محراب الإيمان) خالص الحلبي ج ١ ص٧ دار الكتب العربية ط ١ ١٣٩٤هـ .

سنة ١٥٤٦م) وكلفن(المتوفى سنة ١٥٦٤م) وحاربوا تعاليم البابا وسموها تعاليم الشيطان مثل عقيدة التثليث وصكوك الغفران والاعتراف[1] .

إن كلام الله الحق الذي لم تصله الأيدي المحرقة لا يمكن أم يتعارض مع السنن المكتشفة (وهي العلم) . إن الكتب السماوية التي أنزلها الله ليست كتب علم محض بمعنى أن فيها تعليماً صناعياً وتكنولوجيا وأقوالاً في طرق الاختراع وما شابه ذلك ، بل هي كتب هداية وإن كان هذا لا يعني أنها خلت من الإشارة إلى أشياء كثيرة في مجال العلم ، بل ذكر الشيء الكثير لكن هذا لا يدفعنا إلى الوقوف بجانب فريق من الناس يحاولون القول بأن في القرآن شيئاً من العلم وذلك بغرض الدفاع عن الدين وأنه يتفق والعلم .

وقد أدى هذا المسلك إلى تأويل بعض النصوص وإخراجها عن مقصودها ، ولهذا كان مسلكاً باطلاً خرج عن مسلك الحق المتمثل في اعتبار الكتب الربانية هداية فيها اشارات إلى العلم وفيها قواعد عامة كقوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ [العنكبوت: ٢٠] وليس فيه أن الصعود إلى القمر محرم أو غير ممكن وما شابه ذلك ، بل الأمر متروك لعقول البشر وطاقاتهم في البحث . وإنني لست مع الذين يخشون تقدم العلم ولو دققوا في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨] لحضوا الناس على البحث والتبحر في العلم لأنهم لن يصلوا إلا إلى ما يقربهم إلى ربهم وهذا هو ما حصل مع كل من تبحر في علمه .

إنه لا يمكن لأية نظرية علمية أن تصطدم مع آية قرآنية أو حديث نبوي صحيح ، وإن حصل فهذا يعني أن النظرية لم تثبت بعد . وما أكثر النظريات العلمية التي اعتبرها الكثيرون حقائق فلم تلبث أمام طرقات العلم نفسه أن تغيرت وتبدلت . ولا زلت أذكر أستاذ

---

(١) . أنظر العقيدة وأثرها في بناء الجيل للدكتور عبد الله عزام ص ٤٠ .

الكيمياء حين أراد أن يشرح لنا النظرية الذرية وإذ به يقول قبل أن يشرحها وهذه النظرية التي سنشرحها قد اكتشف العلماء نظرية بديلة لها .

إن التعارض إن وقع – يسلك تجاهه كما هو في مبحث التعارض في علم أصول الفقه إما الجمع بين الدليل العقلي والدليل النقلي – إن أمكن الجمع – ، وإما الترجيح وذلك بالتأكد من الدليل العقلي ، فإن ثبت فلا بد من التأكد من الدليل النقلي ، فإن كان حديثاً بحث عن صحته ، وإن كانت آية ظنية الدلالة رجع إلى تفسيرها . ولا يمكن أن يستقيم الإثنان وهما متعارضان ، اللهم إلا أن يكون فهم وعقول البشر لم تدرك السر في الموضوع ، فبالتعمق في العلم والفهم للدين نصل إلى حق ، والجهل بهما يؤدي إلى ما يسمى بالتعارض .

إننا لا نثبت النصوص النقلية لأن العلم أثبتها ، ولكن نأتي بشهادة العلم لتصفع الذين يتبجحون بالعلم ويرددون مالا يعرفون ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾[البقرة: ١٧١].

إن العلم [1] له منهاج ، والنقل له منهاج . وهما مختلفان من حيث المصدر ، متفقان من حيث النتائج . وعليه فلا يجوز للعلم أن يحكم على الأمور التي هي من اختصاص النقل . فالغيبيات مثلاً من اختصاص النقل ، لا يجوز للعلم أن يحكم عليها لأن منهجه التجريب ، وهذه أمور مجردة لا تخضع للتجربة ، وكل ما يمكن للعقل أن يحاول تقريب هذه المعاني إلى الأذهان . وواقع العلم يؤيد هذه الفكرة حيث إن العلم عاجز عن كشف سر الروح وسر

---

١ . يقصد بالعلم الأمور العقلية وإلا فكلمة العلم تطلق على النقل أولاً بل هو العلم الحقيقي وإنْ كان الاصطلاح العصري أن يطلق على المخترعات والمكتشفات .

الموت وسر الحياة وغيرها . إننا نرفض الفلسفة (الميتافيزيقية) وهي تخيلات العقل الإنساني لما وراء الطبيعة لأنها استعمال للعقل في غير ما اختص به .

إن للعلم مجاله الخاص وهو الاكتشاف والاختراع ، فإذا وصل العلم إلى شيء مما كان غائباً عن الناس فهذا لا يعني أنه علم الغيب ، بل الأمر لا يخرج عن إطار معرفة السنن المبثوثة في الكون . إن التعارض المزعوم بين الدين والعلم أمر غريب على ديننا . إن الغيب الذي نؤمن به يأمرنا بالنضوج العقلي باستعمال العقل فيما يعود علينا بالخير وفي هذا دفع للعلم إلى الأمام .

إن الإيمان بالغيب يصون الطاقة العقلية أن تضيع في غير ما يعود على الإنسان بالنفع . إن الاكتشافات والاختراعات يرضى عنها الله تعالى ويحض عليها . وكلمة الغيب تذكر بما غاب عن العقول مما يمكن معرفته من النواميس والسنن الكونية التي تهيء للناس سبل العيش الهنيء ، وهذا أمر مطلوب كما قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[الأعراف: ٣٢] . إن الإسلام فرض ما يعرف بفرض الكفاية ، وهو ليس قاصراً على صلاة الجنازة التي إن قام بها البعض سقط الطلب عن الباقين. لكن فرض الكفاية أوسع من ذلك بل يمتد إلى كل ما يحتاجه المسلمون من فنون الحضارة والرقي والتقدم ، فمن الواجب والمفروض أن يكون من المسلمين من يتقن هذا الفن من الفنون ويعرفه ، حتى يستغني المسلمون عن غيرهم ولا يكونوا تحت رحمة أحد إلا لله تعالى ، وهذا بالطبع دافع عجيب إلى العلم حيث إن الإسلام يضعه تحت باب (الفرض) ، وهو ما يعاقب الله على تركه ويثيب على فعله . فإذا لم يوجد بين المسلمين من هو متخصص في فن من الفنون كلها التي تفيد

المسلمين وتعود عليهم بالخير فهم جميعاً آثمون [1] . وهذا معلوم لكل من عرف الإسلام حق معرفته ، أما السطحيون الذين يهاجمون دون دليل ولا بينة فهؤلاء لا يبحثون عن حق ، بل هو تعصب أعمى وحقد دفين . ولهذا نرى جوليان هكسلي يستعمل كلمة الغيب في معرض كلامه على الجهل ، وهذا مرفوض في التصور الإسلامي السليم . إن الذين تعمقوا في دراسة العلوم وتمسكوا بقول الحق ، وهم غير مسلمين ، أقروا بقضية الغيب ، أما الذين يهاجمون الغيب ويجعلونه مرادفاً للجهل فهم الذين أخذوا نتفاً من العلم ودعوا إلى فكرتهم ليبرروا سلوكهم المخالف لمقتضى الإيمان بالغيب . تقول الدكتورة بنت الشاطئ : وهل يخرج العالم عن أحد اثنين :

١ – أن يكون متديناً فيصدق بما جاء عن هذه الغيبيات في الدين الذي نؤمن به ويأبى عليه إيمانه وعقله أن يخوض فيما وراء ذلك مما استأثر الله بعلمه .

٢ – أو يكون غير متدين فيعصمه علمه من الرجم بالظن فيما لا يعلم وإنما حسبه إن يتوقف ولا يقول بنفي ولا إثبات ، إذ إن النفي والإثبات كليهما من الرجم بالغيب [2] .

ونحن نذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه الدكتورة فنقول : حتى هذا العلم غير المتدين لا بد له من إثبات الغيب كما هو الحال عند كثير من العلماء والمكتشفين .

---

١ . قال عبد الوهاب خلاف في كتابه علم أصول الفقه ص ١٠٨ الطبعة العاشرة ١٣٩٢ هـ (ينقسم الواجب إلى عيني وكفائي : الكفائي ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين لا من كل فرد منهم بحيث إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، كالأمر بالمعروف والصلاة على الموتى وبناء المستشفيات وإنقاذ الغريق وإطفاء الحريق والطب والصناعات التي يحتاجها الناس ..) .

٢ . الشخصية الإسلامية ص ٢٥ .

إن عصر التقليد الذي سيطر على الأمة الإسلامية بعد عهد الاستعمار العسكري جعل بعض العقول تنادي بنبذ الدين وأخذ العلم ، بدعوى الرغبة في التقدم العلمي ، إنهم يريدون الأخذ عن أوروبا وياليتهم أخذوا العلم والصناعة لكنهم قلدوها في الخلاعة والميوعة والتخنث .

إنهم لم يدرسوا الإسلام الحق ، إذ أن الذين وضعوا المناهج في البلاد الإسلامية أناس درسوا في أوروبا وحملوا لواء الدعوة إلى نبذ الدين . إنهم لم يعرفوا أن العلماء في الإسلام كان الواحد منهم فقيهاً وطبيباً ومهندساً وفلكياً . إنهم تناسوا مجالس العلماء في حضرة الحكام ، نسوا الجامعات الإسلامية في قرطبة وطليطلة وغرناطة والقيروان والمهدية والفسطاط والقاهرة ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والكوفة وفي بخارى وخوارزم وقزوين وفاس، بينما كانت أوروبا تعيش في الظلام . نسوا المكتبات الضخمة وحركة الترجمة . ومع كل هذا يعظمون العلم إلى درجة أبعد مما يعظمه العلماء أنفسهم . فالعلماء يعتبرون العلم تقريباً ، يقول [ميريت ستانلي كونجدن] [1] : (إن العلوم حقائق مختبرة ولكنها مع ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته . ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود ، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ ، وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي بالاحتمالات كذلك وليس باليقين) [2] أما المقلدون فيقولون إن كلام العلم مائة في المائة ، وهذا نتيجة جهل حتماً ، إذ نصبوا أنفسهم أنهم من العلماء . وهم أبعد ما يكونون عن هذا . ومما يحتج به الأعداء : قولهم يجب علينا أن نكتفي

---

١ . دكتوراه من جامعة بورتون ، أستاذ سابق بكلية بفلوريدا ، عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية ، أخصائي في الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم والبحوث الإنجيلية .

٢ . أنظر ص ١٨ في كتاب (الله يتجلي في عصر العلم) .

بالعلم عن الدين لأن العلم في طريقه إلى كشف كل المجاهيل [1] . وهذه دعوى مجردة فأهل العلم أنفسهم يعترفون أن هناك أشياء لا يستطيع العلم أن يدركها ، ثم لو تأملنا قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] لكان جديراً بهؤلاء أن يتواضعوا تواضع الراسخين في العلم من غير المؤمنين – على الأقل – ، ثم إن هذه الدعوى تتعلق بالمستقبل وما كان كذلك فلا حجة له على الواقع ، فهم يدعون أن العلم سيصل إلى كل شيء ، وأنا أدعي أن العلم لن يصل إلى كل شيء ، وكلاهما دعوى تثبتها أو تنفيها الأيام المقبلة . ثم إننا نود لو تبحر هؤلاء ، فعندها لن تبقى مشكلة حيث سيتواضعون تواضع العلماء . خذ مثالاً ما يسمى بالتخصص في هذه الأيام ، فالطبيب مثلاً في البداية يدرس الطب العام ثم يتخصص في الجهاز الهضمي مثلاً ثم يتخصص في جزئية أخرى وهكذا ، وكلما تعمق نجده فهم جزئية بسيطة ولا يزال يبحث فيها ، لكنه ترك علوماً كثيرة وقد يجهلها جهلاً عجيباً في مقابل العلم غير الكامل بجزئية بسيطة. فالعلم كالقلعة الكبيرة الضخمة كلما دخلت من باب قابلك باب آخر وهكذا دون الوصول إلى نهاية، وحتى لو وصل فسيجد نفسه في غرفة صغيرة جداً وهذا هو معنى (القليل) في الآية. إن العلم الذي خلقه الله شيء عجيب جداً مع هذا فإن ما سيحصله الإنسان إلى يوم القيامة لن يخرج عن دائرة (قليلاً) . وهذه الآية تتضمن الدفع إلى العلم والحض عليه . إذْ تستحث المخاطبين وتغريهم بأن العلم كثير جداً وعظيم وهذا إغراء لكشف العلم .

ومما يتحجج به المنكرون دعواهم أن في علم النفس التحليلي وعياداته وأطبائه استغناءاً عن الدين ، الذي جاء للعلاج النفسي عن طريق السماء بينما علاج علم النفس التحليلي ينبع

---

١ . أنظر قولهم في كتاب (الإيمان والحياة) للقرضاوي ص ٢١٣ .

من واقع الأرض لا خيالات السماء . ويتولى الرد واحد غير متدين وهو محمد زكي عبد القادر الصحفي المصري إذ يكتب في جريدة الأخبار فيقول : ((إن الإيمان بالله ضرورة يدعو إليها العلم وليست الأديان وحدها . إن العلم لم يستطع ولن يستطيع أن يحل المشكلات النفسية التي يعاني منها الإنسان. فهناك حوادث مفاجئة ومآس تقع دون أن تكون لها أسباب مفهومة ، ونحن نسندها إلى القدر وإرادة الله ، فلو لم نكن على درجة من الإيمان ما استطعنا أم نتعزى عنها أو نحتملها . الأم تفقد أولادها ، كارثة طيران تودي بعائلة بأسرها ، أو تقتل الأب وتترك الأطفال أو تقتل الأطفال وتترك الأب والأم .. حوادث الغرق والانهيار والأعاصير والزلازل والبراكين ، غضب [1] الطبيعية على أية صورة وقع هذا الغضب .. الأمراض التي لا شفاء لها .. المتاعب النفسية والعقلية والقلبية والجسدية التي يعجز الإنسان عن إيجاد وسيلة للبرء منها ، عشرات المصابين في المستشفيات والبيوت ومئات المشوهين بالخلقة هنا وهناك .. وكل ما نراه حولنا يعجز العلم عن إيجاد حل لها ويعجز الإنسان بكل ما أوتي من براعة وقوة وسلطان عن التخلص منها ..)) [2] ، ويقول صاحب كتاب ((الله والعلم الحديث)) حول نفس الموضوع (وعلماء النفس وعلى رأسهم فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي يرجعون كافة الأمراض النفسية للكبت ، الذي يسبب عقداً نفسية لا شفاء لها إلا بما يسمونه التحليل النفسي ، ويتم هذا بأن يجلس الإنسان في استرخاء تام في عيادة الطبيب ويسرد حياته كاملة بصوت مسموع ، وهو في الواقع اعتراف بالأخطاء

---

١ . هذه عبارات مرفوضة إسلامياً إذ الطبيعة من صنع الله تعالى ، ولا يسند فعل الله إلى الطبيعة فما من حركة تكون في الكون إلا بإذن الله . ولا يعبر هؤلاء بلفظ الجلالة لانغماسهم في ماديتهم حتى في معرض كلامهم عن الإيمان ، وكذلك عباراتهم (تحدي الطبيعة) و (قهر الطبيعة) .

٢ . ذكره القرضاوي في (الإيمان والحياة) ص ٣٣٣ .

يقرره المريض . والاعتراف كما يقول أطباء النفس صفة منطقية نفسية سلوكية تكشف عن أخطاء المريض ، فيراها ويشعر بها فتحدث مهادنة بين النفس والضمير ، وبذلك يتسامح الضمير عما حدث ويوقف اللوم على النفس . قارن هذا بقوله تعالى ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٥٣] . فالاستغفار أعم من التحليل ، إذْ الاستغفار طلب المغفرة من ذنب اعترفت به فتحس النفس بالخطيئة ويبطل محاسبة الضمير . والتحليل محاولة للاعتراف بينما الاستغفار اعتراف ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] ، ويقرر علماء النفس ضرورة الاسترخاء والهدوء للنفس ، ويعترفون بأن ذلك يساعد على تخفيف ضغط الدم ، وإن اخفض ما يكون ضغط الدم والإنسان في صلاته وعبادته)[1] فالفرق الشاسع بين من يعالجه كلام رب العالمين ، وبين من يعالجه طبيب هو نفسه قد يكون مصاباً بأمراض وعقد نفسية . ثم إن المؤمن عندما يعترف بذنبه يكون هذا بينه وبين الله . أما الاعتراف أمام الطبيب النفسي فهذا قد يكون له آثار سيئة ، فمن الممكن أن يكشف هذا الطبيب (وهو بشر يعتريه النقص) أخبار الناس ، وفي هذا ضرر كبير ومشاكل اجتماعية .

وها هو أشهر الأطباء النفسانيين الأمريكي الشهير الدكتور [هنري لنك] الذي كفر يوماً بالدين الذي ورثه ، يعود إلى حظيرة الإيمان كما سمى كتابه (العودة إلى الإيمان) فيقول : (إنني لم أرجع إلى الإيمان بسبب ضيق مادي أو شعور بالكبر أو لنقاش فلسفي أو

---

١ . الله والعلم الحديث . عبد الرزاق نوفل . مؤسسة دار الشعب ص ١٧١ وبعدها .

انفعال عارض بل نتيجة التجارب في حقل علم النفس)[1] وكذلك [ديل كارنجي] صاحب كتاب (دع القلق وابدأ بالحياة) .

وفي مجال الرد على المفتونين بالعلم أذكر ما قاله الدكتور عبد المحسن صالح صاحب الأبحاث العلمية إذ يقول : (.. وقع في يدي كتاب حديث في سلسلة كتاب اليوم التي تصدرها أخبار اليوم القاهرية لكاتب إسلامي معروف ، والكتاب بعنوان (صنع الله) .. ففي فصل كامل من فصول الكتاب يسوق المؤلف معلومات ينسبها إلى العلم تارة وإلى الذين تارة أخرى ، فهو بطريقة أو بأخرى يريد أن يقنع الناس أن للنبات عواطف ، وأن هذه العواطف قد حققها العلم أخيراً واعترف بها ، ولهذا نراه يؤسس على هذا الزعم الباطل حكاية شعبية ليس لها مصدر حقيقي موثوق به ، فهو يقول بالحرف الواحد (إن النخلة قد طأطأت رأسها أمام سيدنا رسول الله ﷺ وأحنت هامتها له في محاولة منها لتقبيل يده الكريمة (هكذا) . وإنه في اليوم العابس الحزين يوم أن قبض رسول الله ﷺ وتوفاه ربه شاهد الناس على سعف النخلة الذي كان يجاور المنبر الشريف الذي تشرف بالوقوف عليه ومخاطبة الناس من فوقه .. شاهدوا أمراً مذهلاً وشيئاً عجيباً .. لقد تغير شكل السعف .. وتقوست عروقه في أسف مبين ، وتهدلت أوراقه ، وتهطلت في منظر حزين ، ويقطع من حضروا أنهم رأوا من السعف البكاء وسمعوا الأنين .. إلى آخر هذه الجمل الإنشائية التي تشغف القلوب)[2] ، وهذا الكلام من الدكتور غير مقبول فكونه يكتب هذا الكلام في كتاب سماه (الإنسان الحائر بين العلم والخرافة) إشارة إلى أن الموضوع كله من قبيل

---

١ . ص ١٤ بتصرف (العودة إلى الإيمان) هنري لنك ترجمة الدكتور ثروت عكاشة الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر .

٢. أنظر كلامه في كتابه (الإنسان الحائر بين العلم والخرافة) د. عبد المحسن صالح ص ١٧٤ .

الخرافة [١] حتى موضوع أنين الجذع وهذا خطأ فاحش ، إذ أن هذا الأمر ثابت في السنة الصحيحة [٢] فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما (كان النبي ﷺ يخطب إلى الجذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه) وذكر في رواية جابر بن عبد الله (فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه) وفي رواية أخرى لجابر (سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشاء) ثم من قال لسعادة الدكتور إن العلم يجعل العواطف مقصورة على الإنسان ومستحيلة عن غيره وعلى أي شيء استند ؟ أما استبعاده لقصة النخلة فهذا مرفوض في حق الأنبياء لأنهم ما كانوا أنبياء إلا بالمعجزات . فما المانع أن تطأطيء النخلة لرسول الله ﷺ . كان الأولى به إذا أراد نفي القصة أن يجرح رواة القصة من حيث السند . ويقول الدكتور في موضوع آخر من كتابه المذكور : (.. إننا لو عدنا إلى مجتمعاتنا التي نعيش فيها وحللنا بعض تفسيرات الناس لأمراض خاصة تصبيهم لوجدنا النغمة ذاتها ، فإذا مرض إنسان بداء عضال قيل إن الله ابتلاه بمرض رهيب عقاباً له على ما اقترفت يداه من ذنوب في حق الناس . وإذا مرض إنسان آخر بالمرض نفسه ، وكان له بينهم مكانة مرموقة أو أنه إنسان في نظرهم صالح ، فإنهم يعللون مرضه بنغمة أخرى مناقضة ، فيقولون إن الله ابتلى عباده الصالحين ليعلم من منهم الصابر ، ومن منهم القانط وطبيعي أن ذلك منطق العامة ، فكل الناس يمرضون ويموتون ، ولكن الله منحنا العقل

---

١ . ذكر أحمد في مسنده ٦/ ١٥٧ (عن عائشة قالت حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منهن : يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة فقال : أتدرون ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجنة في الجاهلية فمكث فيهم دهراً طويلاً ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس حديث خرافة

٢ . أنظر جميع هذه الروايات في البخاري مع شرحه لا بن حجرج ٦ ص ٦٠١ ، ٦٠٢ .

لنبحث بحثاً علمياً عن مسببات الأمراض إذ أن لكل مرض سبباً ، فإذا عرفنا العلة عن طريق التقصي والتجربة فإننا نصل في أغلب الأحيان إلى استنباط العلاج الذي يتمثل في دواء أو جراحة أو مضاد حيوي أو علاج نفسي .. إلخ . وهذا ما نشهده في علومنا الطبية الحديثة)[1] وهذا الكلام فيه ما فيه من خطورة وخلط ، أما الخطورة فلأنه متصل بموضوع القدر وهو من أركان الإيمان الستة ، فإذا لم يكن الإيمان بالقدر واضحاً ، فهذا فيه خطورة على إيمان الشخص ، إذ يهتز ركن من أركان إيمانه وقد يؤدي به هذا الاهتزاز إلى الإلحاد ، أما الخلط فقد خلط الدكتور بين الحق والباطل جعل ممكنات الوجود متناقضات حيث قال : (.. فإنهم يعللون مرضه بنغمة أخرى مناقضة) . أقول : أما إن الله عز وجل قد يصيب بعض الناس بأمراض عقوبة لهم على ذنوبهم فهذا أمر معلوم ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : (يا معشر المهاجرين : خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)[2] وأما أن المرض قد يكون ابتلاء للصالح من عباده فهذا

---

١ . الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ص ٧٩ .

٢ . رواه ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٣٢/ ١٣٣٣ – وفي مجمع الزوائد : قال حديث صالح العمل به ، وقد اختلفوا في ابن ابي مالك وأبيه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . طبع عيسى البابي الحلبي .

أيضاً أمر وارد ، ففي الحديث أيضاً (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ...)[1] ثم قد تجتمع هاتان الحالتان في الشخص الواحد، إذ قد يقترف ذنباً فيعاقبه الله عليه بمرض ، فإذا تاب وعمل صالحاً وزادت تقواه قد نراه يصاب بمرض آخر لا على الاعتبار الأول بل على اعتبار (أشد الناس بلاء ..) ولا تناقض كما زعم الدكتور إذ مقتضى زعمه التناقض في النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة .

ونحن إذ نتفق مع الدكتور في البحث عن مسببات الأمراض القريبة ، نذكره بأن حديث الناس الذي لم يعجبه إنما هو حديث عن السبب الأول وراء الأشياء وهو الله عز وجل ، فإذا اعتقدنا أن الله هو المقدر لهذه الأشياء ، وبعدها بحثنا عن الأسباب فلا حرج ولا عيب ، بل الواجب أن نفعل ذلك . ويقول هذا الدكتور في موضع آخر : (ويقوم الطب الخرافي في أحيان كثيرة على تعاويذ وأحجبة ووضع يد الشيخ المداوي على موقع الجزء المريض مع تمتمة ودعوات قد تكون غير واضحة ولا مفهوم لها ، لكن ذلك لا يجدي شيئاً في الأمراض العضوية التي لها أسباب محدودة يعرفها الطب في أغلب الأحيان ، فميكروب السل مثلاً لا تنفع فيه الصلوات ولا الدعوات ولا الأحجبة ولا هي أيضاً تزيل الحصوات ولا تستأصل السرطان ولا تفيد في تليف الكبد ولا تقدم ولا تؤخر في شلل الأطفال .. إلخ . ومن هنا وجب على كل ذي عقل رزين أن يتبع حديث الرسول الكريم ((تداووا عباد الله فإن الله

---

١ . عن سعد بن أبي وقاص قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلباً اشتد به البلاء ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) ابن ماجةج ٤ ص ١٣٣٤ ورواه الترمذي بشرح ابن العربي ج ٩ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم)[1] أي فيما عدا الشيخوخة فليس لها من دواء وهذا ما نعرفه حق المعرفة)[2] .

وهذه العبارة فيها من الجرأة في إطلاق الألفاظ ما يستغرب من هذا الدكتور ، فهو يعتبر التعاويذ ووضع اليد على الجزء المصاب من المريض والدعاء ، من الطب الخرافي ، مع أنه قد ورد في السنة أدعية وأذكار تقال عند المرض ، بل قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] من التعاويذ[3] التي أعطيت لرسول الله ﷺ ليحمي نفسه بها ، وورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر ، فمروا من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فقالوا لهم هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطي قطيعاً من غنم فأبي أن يقبلها وقال حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : يا رسول الله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب ، فتبسم وقال : وما أدراك أنها رقية ؟ خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم)[4] .

فهل هذا الحديث (وغيره مثله كثير) من الطب الخرافي أم الطب النبوي المستمد من الوحي ؟ أما وضع اليد على مكان المرض ، ففي الصحيحين عن عائشة بنت سعد أن أباها

---

١ . رواه ابن ماجة ج ٢ ص ١١٣٧ قال المحقق في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات .

٢ . الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ص ٧٦ .

٣ . قال ابن كثير في الحديث أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ قال اشتكيت يا محمد ؟ قال : نعم فقال : باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ج ٤ ص٥٧٣ عيسى البابي الحلبي .

٤ . اللفظ لمسلم ٤/ ١٧٢٧ ورواه البخاري مع الفتح ٩/ ٥٤ .

قال : تشكيت بمكة شكوى شديدة ، فجاءني النبي ﷺ يعوذني فقلت : يا نبي الله إني أترك مالاً ، وإني لم أترك إلا بنتاً واحدة ، فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث ؟ فقال : لا . قلت : فأوصي بالنصف وأترك النصف ؟ قال : لا . قلت : فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين ؟ قال : الثلث والثلث كثير ثم وضع يده على جبهته ، ثم مسح يده على وجهي وبطني ، ثم قال : اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته ، فما زلت أجد برده على كبدي فما يخال إليّ حتى الساعة)[1] وعن كعب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا وجد أحدكم ألماً فليضع يده تحت ألمه ، ثم ليقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شيء من شر ما أجد))[2].

وبذكر هذه النصوص أكتفي في الرد على قوله (فميكروب السل مثلاً لا تنفع معه الصلوات ولا الدعوات ..) بل كلامه مصادم تماماً للنصوص التي قالها من لا ينطق عن الهوى . أما ذكره لحديث رسول الله ﷺ (عباد الله تداووا ..) فهذا حق ، لكنه استعمل في نفي فائدة الدعوات والأذكار والرقى ، وهذا غير صحيح ، فإن الحديث لا يصطدم مع الدعوات والصلوات . وأعجب منه كيف أورد هذا الحديث ولم يورد غيره . إن الدعاء والدواء معاً أما إنكار أحدهما فهو الخطأ والخطر . إن العلم لا يتناقض مع الدين ، كما أن الدعاء لا يتناقض مع الدواء . وكم من مريض عجز عنه الأطباء ودواؤهم ، فلم يبق إلا رحمة الله تعالى . وسبق ذكر قصة المريض الذي عجز عنه الدواء فشفي بالدعاء . كان الواجب على الدكتور إذا أراد أن يهاجم الخرافيين والخرافة أن لا ينسى الحق والنصوص

---

١ . البخاري مع الفتح ١٠/ ١٢٠ .

٢ . قال في مجمع الزوائد ٥/ ١١٤ (رواه أحمد والطبراني وفيه أبو معشر وقد وثق على أن جماعة كثيرة ضعفوه وتوثيقه لين وبقية رجاله ثقات) .

الشرعية . بل النصوص الشرعية فيها ما يهاجم الخرافيين وأهل الدجل والشعوذة كما في الحديث (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ) [1] .

ومما يحتج به الملحدون في رفضهم الدين وطلبهم العلم أن الدين إذا وجد في مكان وجد التأخر ، وإذا وجد العلم في مكان وجد التقدم والحضارة . ألا ترى أوروبا الآن ؟ ألا ترى المسلمين وغيرهم من الشعوب المتدينة ...

والحق أن الناس متى تمسكوا بالعلم فإنهم سيتقدمون تكنولوجياً ومادياً سواء كانوا كافرين أم متدينين . أما أن الدين الإسلامي منع الشعوب عن التقدم فهذا مرفوض ، بل هو من عند نفس هذه الشعوب لا من التدين . إن الدين يأمرهم بكل خير ، لكنهم ضعفاء بسبب فترات الاستعمار والضغط السياسي وعدم الانسجام بين الراعي والرعية والضغط الاقتصادي حتى لا يفكر الناس إلا في لقمة العيش . هذا كله يجعل هذه الشعوب متأخرة تكنولوجياً كي تبقى معتمدة على الدول الكبرى لتتبعها سياسياً ، وهذا وضع لم يأمر به الدين بل يرفضه . وإنما يرعاه ويساعد على بقائه أذناب الإستعمار في بلاد المسلمين . ثم إن مسألة التقدم التكنولوجي والصناعي تقع على الدولة لا على الأفراد . والدول الإسلامية أبعد ما تكون عن هذا التفكير الحاضري بسبب التبعية السياسية التي قسمت البلاد الإسلامية إلى تابع للغرب وتابع للشرق . والشرق والغرب كلاهما لا يريد للمسلمين نهضة صناعية وازدهاراً حضارياً .

---

١ . سبق تخريجه .

ومن الدلائل التي تشير إلى صحة الدين ويؤيدها العلم :

١ . يقرر الدين أن الكون سيؤول إلى الزوال وهذا ما يقرره علماء الطبيعة فكما أن الكون تطور إلى ما هو عليه فإنه سيتحول إلى الزوال[١] .

٢ . أورد القرآن الكريم حقائق الخلق وقرر تطورات الجنين في مختلف أدواره قبل أن يصل العلم إليها بمئات السنين ، وهذا ما أدهش كبار الأطباء[٢] .

٣ . قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] تخبرنا هذه الآية أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ثم انفصلتا ، وهذا ما قرره العلم أخيراً ويؤيد هذا القول اكتشافهم أن في الشمس ٦٧ عنصراً من عناصر الأرض . ولاحظوا أن النيازك والصخور والأتربة القمرية التي حصلوا عليها برحلات الفضاء تحتوي من العناصر ما هو موجود في الأرض[٣] .

٤ . حركة الكواكب يقررها العلم وكذلك القرآن الكريم ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ .... ﴾ [يس: ٣٨ـ٤٠]

وبعد هذا أختم الكلام حول قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

---

١ . بتصرف عن (العقائد الإسلامية) سيد سابق ص ٢٦٦ دار الكتاب العربي / بيروت .

٢ . بتصرف ص ١٤٨ (بين الدين والعلم) عبد الرزاق نوفل – مكتبة وهبة ط ١ .

٣ . روح الدين الإسلامي – عفيف طبارة ص ٤٩ وبعدها ط ١١ دار العلم للملايين .

خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤] . وقوله ﷺ : (ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده قلت[1] وما هي قال علم المنية قد علم منية أحدكم ولا تعلمونه. وعلم المني حين يكون في الرحم ، قد علمه ولا تعلمون. وعلم ما في غد وما أنت طاعم غد ولا تعلمه. وعلم اليوم الغيث يشرف عليك)[2]وفي رواية أخرى (مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[3]. أقول سنتكلم عن الآية والحديث وما ذكره الأعداء من شبهات نسبوها للعلم حول هذا الموضوع الذي ذكر في الآية والحديث ونبدأ بتفصيل الأمر.

إنزال الغيث

قالوا إن العلم يستطيع أن يحدد على وجه التقريب وقت نزول المطر ، وخاصة بعد تقدم الأرصاد الجوية ، وكلنا يسمع يومياً في الإذاعات عن حالة الطقس المقبلة ، وعليه فلم يبق مجال لجعل وقت نزول الغيث من المغيبات التي استأثر الله بعلمها . فإذا كانت غيباً في زمن محمد ﷺ فلأن زمنه لم يكن متقدماً علمياً ، أما وقد تقدم العلم فلا داعي لجعلها مما استأثر الله بعلمه . ثم إن الإنسان استطاع – بعلمه – أن ينزل مطراً صناعياً فلا حاجة لمطر السماء . وليس الله وحده هو الذي ينزل الغيث بل الإنسان بعلمه يستطيع أن ينزل الغيث .

---

١ . الراوي (لقيط) .

٢ . مسند أحمد ٤/ ١٣ المكتب الاسلامي . بيروت .

٣ . البخاري . أنظر فتح الباري ج ١٣ التوحيد ص ٣٦١ .

ونقول لهؤلاء إن الله عز وجل وحده هو الذي يعلم وقت نزول المطر ومدة نزوله علماً يقيناً كما يعلم موقع كل قطرة ومصيرها وأثرها وما سيؤول إليه أمرها ، بل وما سيترتب على نزولها من نفع وهذا أمر لا يعلمه إلا الله [1] . ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث (وهو المطر النافع) إلا الله ، فهو الذي يرسل الرياح ويجمع بها السحب ويجعلها ركاماً ويسوقها إلى الأرض الميتة وينبت بها الزرع ((أما النشرة الجوية فإنها تخبر عن المطر بعد رؤية أسبابه وتمام خلقه وبيان ذلك أن المطر الذي ينزل في سواحل الشام مثلاً تبين (من العلم بسنن الله في الكون) أن سببه الهواء الذي يجيء من المحيط الأطلسي فيمر بمضيق طارق فيصطدم بكتلة هوائية راكدة ، فتتشكل السحب من اختلاف درجة حرارة الهواء القادم والهواء الراكد ، فإذا رأوه علموا استناداً إلى معرفة سنن الله أنه سيتوجه إلى ساحل الشام بعد كذا . فهو كمن شاهد موزع البريد من نافذته وقدّر متى يصل إلى داره ، فقال لأهله سيأتي موزع البريد بعد خمس دقائق . وكمن يحمل منظاراً يضعه على عينيه فيرى السيارة القادمة ، فيخبر بها قبل ظهورها للعيان . وهذا وذاك ما علم – حقيقة – الغيب ولكن رأى الواقع قبل أن يراه غيره .

وأما إنشاء السحب وإنزال المطر في أرض كتب الله عليها الجفاف أو منع السحاب والمطر عن أرض كتب الله لها الحياة والخضرة ، فهذا هو المراد بقوله تعالى (وينزل الغيث) [2] ونذكر في هذا المقام كلمة الدكتور محمد جمال الدين الفندي أستاذ الفلك إذْ يقول : (إن الظروف الطبيعة التي تؤدي إلى تكوين المزن ونزول المطر لا يمكن أن يصنعها البشر ، بل وحتى لا سبيل إلى التحكم فيها ، ولا يزال موضوع المطر الصناعي ليس مطراً صناعياً ، لأن

---

١ . توحيد الخالق . مجموعة من الاستاذ ط ٢ ج ٣ ص ٦٦ .

٢ . تعريف عام بدين الاسلام لعلي الطنطاوي ص ١٤٥ .

المطر لا يصنعه الإنسان في المعمل ، وإنما هو مطر يستحث الإنسان نزوله . واستمطار السحب العابرة مجرد تجارب لم يثبت نجاحها بعد . وحتى إذا ماتم نجاحها فإن اللازم أن تتوفر في الطبيعة الظروف الملائمة للمطر الطبيعي حتى يمكن استمطار السماء صناعياً ، أي إن واجب علماء الطبيعة الجوية لا يتعدى قدح الزناد فقط بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية)[1] ، إن المطر الصناعي ما هو إلا استحثاث لنزوله كما يستحث الإنسان إخراج الثمار والأشجار من البذرة المخزونة ، فيضعها في التراب ويسقيها الماء كما قدّر الله عز وجل . إنه لم يثبت نجاح المطر الصناعي بدليل عدم شيوعها في العالم واستمرار اعتماد المناطق الزراعية في العالم على مطر السماء . وحتى المزروعات التي تسقي بماء الري فهو لا يعني الاستغناء عن مطر السماء ، لأن ماء الري أصله ماء مطر سماوي أو ماء أوجده الله أصلاً في الأرض ، فالكل من خلق الله وليس من صنع الإنسان .

علم ما في الأرحام

قال في الرد القويم : (قال عابد الطاغوت : ولكن المتدينين لا يشمئزون ولا يشورون الثورة المجتاحة إلا إذا سمعوا أن علم الإنسان قد يتوصل إلى ما يظنونه غيباً ، فلو أقيمت لهم كل الدلائل على أن الإنسان قد يستطيع بآلته الدقيقة والأشعة التي هتكت كل حجاب أن يعلم ما في بطن الأنثى أذكر هو أم أنثى ، وأنه يستطيع التوصل إلى جعل إخصاب المرأة كما يريد إن شاء ذكراً وإن شاء إناثاً ، فقد صنعوا ذلك في الإنسان نفسه)[2] وقالوا إن مما يبطل

---

١ . توحيد الخالق .

٢ . الرد القويم ص ٩٢ .

الإيمان بالدين ما توصل إليه العلم من حيث معرفة نوع الجنين في بطن أمه ذكراً هو أم أنثى ، وذلك بعد عدد من الأشهر . وأن الطب يستطيع الآن أن يهيء للناس نوع الحمل الذي يريدنه وذلك بأساليب خاصة يعرفها .

قال رشيد رضا في تفسير المنار (وما قد يستشكله في هذا المقام من لم يقف على حقيقة علم الغيب ما اكتشفه بعض الأطباء من سنة الله تعالى في سبب الذكورة والأنوثة في الحمل ، وملخصه أن البويضة التي يحصل الحمل بتلقيحها في الرحم بماء الذكر ، منها ما يخلقه الله تعالى في جانب الرحم الأيمن ومنه يتكون الذكور . ومنها ما يخلقه في جانب الرحم الأيسر ومنه يولد الأناث وأن هذه البويضة توجد بالتناوب في أثناء حيض المرأة ، فحيضة تنتهي بخلق بويضة الذكور في الجانب الأيمن ، فإذا حصل التلقيح عقبها كان الجنين أنثى . وقد ألّفوا في بيان هذه السنة الإلهية كتباً منها (تعليل النوع) تأليف الطبيب [رملي دوسون] الإنجليزي وقد ترجمه الطبيب محمد عبد الحميد المصري . يقول صاحب (تعليل النوع) : تمكنت من التنبؤ بمعرفة نوع الطفل الآتي في النساء الحوامل من مرضاي وغيرهن ممن لم يسبق لي رؤيتهن وأذكر أني نجحت في ٩٧ ٪ ، والفشل في الثلاثة تابع لعدم استطاعة الأم أن تخبرني بالدقة عن شهر الولادة . وهناك أحوال ينشأ فيها فشل التنبؤ لتكوين البيض تكويناً غير قياسي فبدلاً من أن يحدث البيض كل ٢٨ يوماً مرة بانتظام يحدث كل ٢١ أو ٢٠ يوماً[١].

وتقول مجلة السياسة الكويتية في مقال لها تحت عنوان(حملة مكثفة ضد مشروع انتاج أطفال عباقرة عن طريق التلقيح) : يقوم علماء الأخلاق والدين في نيويورك بحملة مكثفة

---

١ . تفسير المنار رشيد رضا ج ٧ ص ٤٦٤ .

ضد مشروع إنتاج أطفال عباقرة عن طريق تلقيح نساء فائقات الذكاء بحيوانات منوية من علماء نالوا جائزة نوبل.. وكان المليونير الأمريكي [روبرت جراهام(٧٤سنة)] قد أنشأ بنكاً للحيوانات المنوية تجمع من الحاصلين على جوائز نوبل. وأوضح جراهام أن ثلاثة فائزين بهذه الجائزة قد تبرعوا بحيوانات منوية للبنك حيث تم تلقيح ثلاث نساء تم اختيارهن لذكائهن الخارق بهذه الحيوانات المنوية.وقال جراهام إن مباديء هذه الطريقة قد تكون مستهجنة وغير مألوفة ولكنها صحيحة)[1].

ومما يرتبط بموضوع الأرحام ما قيل عن طفل الأنبوب ، فقد ذكرت مجلة العربي في مقال لها تحت عنوان(طفل الأنبوب حدث عام ١٩٧٨ م)قالت:في عام ١٩٣٢م تنبأ هكسلي في كتابه(العالم الجديد الممتاز) بامكانية الحفاظ على البويضة الملقحة حية خارج جسم الأم بفضل التقنية الحديثة في ظل درجة حرارة مثلى. وتحققت هذه النبوءة عام ١٩٧٨م مع الأب جون براون والام لزلي براون وطفلتهما لوزير براون مع الدكتور باتريك ستبتو والدكتور روبرت ادواردز حيث قام ستبتو بانتزاع البويضات الناضجة من مبيض المسز براون (لأن قناتي فالوب مسدودتان) بواسطة جهاز اللاباراسكوب ، ثم كانت المرحلة الثانية التي وضعت فيها بويضة الزوجة ومنويات الزوج في المحلول المناسب حيث تم الاخصاب . ونقلت البويضة الملقحة في المرحلة الثالثة والى محلول آخر يناسبها وقد بلغت من النمو ما بلغت حتى اذا نمت بالقدر الكافي عمد الدكتور ستبتو في المرحلة الرابعة الى نقلها من الطبق

---

(١) . السياسة الكويتية . العدد (٤٢٠٠) السنة الخامسة عشرة . الاثنين ربيع ثاني ١٤٠٠ هـ آذار (مارس) ١٩٨٠ م .

وزرعها في رحم المسز براون[1].. ثم ولدت الطفلة لويز براون ولادة طبيعية عام ١٩٧٨م فكانت أول طفلة تولد باستعمال الأنبوب الاختباري.

وذكرت صحيفة السياسة الكويتية عن نفس الموضوع فقالت(أول طفل أنبوب في استراليا) : أعلن في ملبورن أمس أن أول طفل أنبوب في استراليا يتوقع أن يولد في شهر مايو أو يونيو المقبل. وكان أطباء المستشفى الملكي للنساء قد أعلنوا يوم أمس الأول الأربعاء أن السيدة ليندا ريد(٢٦سنة) من بلدة تشيرشل في مقاطعة فيكتوريا تتوقع مولوداً بعد أن تم إخصاب بويضة من السيدة ريد خارج الرحم. وأعلن الأطباء الاستراليون أن هناك سيدة أسترالية أخرى تتوقع طفلاً بنفس الطريقة في شهر أغسطس المقبل إلا أنهم لم يكشفوا النقاب عن اسمها، وعندما تضع السيدة ريد طفلها فسوف يكون رابع طفل في العالم يولد بواسطة الأنابيب، ويعتبر الأطباء البريطانيون رواد هذه الطريقة الجديدة المعروفة بطريقة (الاخصاب داخل الأنبوب) حيث ولدت في بريطانيا أول طفلة أنبوب في عام ١٩٧٨م[2].

يتبين من النصوص السابقة أن الكلام يدور حول أربع نقاط:

١ . معرفة العلم لنوع الجنين وهو في بطن أمه .

٢ . تمكن العلم وقدرته على اختيار جنس الجنين أي ذكراً أم أنثى .

٣ . تمكن العلم من إنتاج أطفال عباقرة عن طريق التلقيح بين الأذكياء .

---

١ . مجلة العربي العدد (٢٤٢) السنة الحادية والعشرون . صفر ١٣٩٩ هـ يناير ١٩٧٩ م والمقال لمجموعة من الدكاترة وهم : د. حسان حتحوت . د. محمد سعيد رمضان البوطي . د. عبد المحسن صالح . د. أحمد كمال أبو المجد .

٢ . السياسة الكويتية العدد ٤١٦٩ . ٢١ ربيع أول ١٤٠٠ هـ .

٤ . تمكن العلم من التلقيح خارج الرحم ثم زراعته في الرحم وهو ما يسمى بطفل الأنبوب .

أما بالنسبة للنقطة الأولى ففيها التفصيل الآتي : أن يعرف العلم نوع الجنين منذ اللحظة الأولى للتلقيح وأن يعرف العلم نوع الجنين بعد تكون المولود وكمال أعضائه ، أما الصورة الأولى (أي معرفة نوع الجنين منذ اللحظة الأولى للتلقيح) فيقول فيها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : (ولعلك قد سمعت بأن بعض الأطباء في الغرب يأمل في اقتراب اليوم الذي يتمكن فيه الطب أن يعلم منذ الأيام الأولى لظهور الحمل نوع الجنين أذكر هو أم أنثى وإننا نقول إن هذا ممكن ، وإنما سبيله تتبع القرائن والأسباب التي جعلها الله شرطاً لذكورة الجنين ولأنثوته ، وهي قرائن وأسباب لم يستأثر الله بعلمها بل ندب الناس إلى التنبيه إليها . ولكن هل ترقى معرفة ذلك إلى اليقين الجازم بأن الجنين سيكون ذكراً أو إلى القدرة على التحكم بنوع الجنين ؟ لا ، لا يمكن أن ترقى هذه المعرفة إلى اليقين الحتمي ، ولا إلى أن نحكم بالنوع لأن الإله الذي أقام ذكورة الجنين على الأسباب التي شاءها قادر على أن يبطل سببيتها في الوقت الذي يشاء . لا جرم أم الأمر يقف إذن عند حدود الظن الراجح وحده[1]) ويقول الأستاذ الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار حول معرفة نوع الجنين عن طريق مكان البيض هل هو في الجانب الأيمن أم الأيسر من الرحم :

(فمعرفة نوع الحمل في الرحم بهذه الطريقة يعد من العلوم البشرية الكسبية وهو لا يتعارض مع أن ما في الأرحام حقيقة لا يعلمها إلا الله إذ معنى الحصر أن ما سيحدث في عالم الحيوان من التكوين في المستقبل هو من خزائن الغيب التي لا يحيط بما فيها إلا الله ، ومفاتح

---

١ . مجلة العربي عدد ٢٤٢ السنة الحادية والعشرون صفر ١٣٩٩ هـ يناير ١٩٧٩ م .

العلم بأي شيء منها عنده فإذا هدى عباده إلى سنة من سننه التي هي مفتاح موصل إلى الاطلاع على بعض ما تحويه هذه الخزانة فذلك لا ينفي ما ذكر . ومع ما سبق فإن العلم بالذكورة والأنوثة ليس علماً قطعياً بالرغم من الشروط التي اشترطوها وإنما هو الظن الغالب)[1] . وأرى أن كلام الشيخ رشيد رضا والدكتور البوطي ليس فيه القطع بمعرفة نوع الجنين علمياً وإنما أعطوه حكم الظن الراجح أو الغالب ، على اعتبار أن للذكورة والأنوثة سنناً وضعها الله تعالى ولم يمنع البشر عن اكتشاف سننه ، وأنا أقول أيضاً إن السنن يمكن البحث عنها واكتشافها ، لكن الواقع أن الأمر حتى الآن لم يصل إلى درجة العلم القطعي الذي يتبجح به أدعياء العلم . وعملياً لم نجد من أهل العلم من يصرح بمعرفته القطعية لما تحمله النساء في بطونها في الأيام الأولى ، وإن حصل وتوقع بعضهم فهذا لا يتصف بصفة العلمية ، وإنما هو الظن المحتمل للخطأ والصواب على السواء . أما الصورة الثانية فممكنة وليست موضوعاً محالاً ولا تصطدم مع الآية الكريمة (ويعلم ما في الارحام) لأن الجنين في هذه الصورة يكون قد تكون بخلقته الكاملة ،وما يقوم به العلم ما هو إلا تصوير للجنين في بطن أمه ، كما هي الحال في تصوير العظام وغير ذلك من أجزاء الجسم الداخلية وبخاصة إذا علمنا أنواع الأشعة الكثيرة وخصائصها التي اكتشفها الإنسان من سنن الله عز وجل في هذا الكون . وبالتالي فلا يعدو عمل العلم في هذا إلا نقل الخبر إلينا كما هو الحال بالنسبة لمن ينظر بالمنظار إلى مكان بعيد فيرى أشياء فيخبرنا عنها قبل أن نراها نحن بالعيان . يقول علي الطنطاوي : (إن من يخبر عن نوع الجنين بعد تشكيله ما علم في الحقيقة الغيب ولكن رأى الواقع قبل أن يراه غيره ، وهذه المعرفة غير ممكنة حين يكون الجنين حويناً

---

١ . تفسير المنارج ٧ ص ٤٦٤ بتصرف .

منوياً أو حويناً صادف بويضة ، فهذا هو المراد من الآية والله أعلم)[1] وهذه المعرفة ليست هي المقصودة من الآية بل قوله تعالى (ويعلم ما في الأرحام) أوسع من ذلك بكثير . ففرق كبير بين (ما في الأرحام) و (من في الأرحام) حيث الثانية تفيد الذكورة أو الأنوثة ، أما الأولى فتفيد حقيقة ما في الأرحام . فالله وحده الذي يعلم عن هذه النقطة ماذا ستكون وهي في الرحم ، بل يعلم ذلك قبل أن يجامع الزوج زوجته . ويعلم كم سيكون في رحم هذه المرأة من الأولاد . وكم يوجد ما في رحم نساء العالمين أجمعين ، ويعلم كم منهن حامل في رحمها ويعلم كم واحدة تلد لحظة ، وكم واحدة سيسقط ما في رحمها ، وهو يعلم ما في الأرحام من جهة الآجال والأرزاق . فكم سيكون رزق وأجل هذا المحمول في رحم أمه .

إنه يعلم ما في الأرحام في كل لحظة وفي كل طور من فيض وغيض وحمل وحتى في حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم ، وهو وحده الذي يعلم ما هو مودع في تلك النطفة في ظلمات الرحم من مواهب وطاقات فذلك العلم الدقيق الشامل لما في كل رحم من الأرحام هو المقصود[2] .

أما النقطة الثانية وهي تمكن العلم من اختيار جنس الجنين ذكراً أو أنثى فهي محاولات قد تنجح وقد تفشل ويبقى الأمر الأصلي بيد الله القائل : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ فما أعظم هذه الآية التي تسند الأمر لله تعالى ، ولو أطبق الأمر بيد الناس لتغير وجه الحياة .

---

١ . تعريف عام بدين الاسلام ص ١٤٥ .

٢ . توحيد الخالق . ط ٢ مجموعة من الأساتذة ص ٦٦ ج ٣ .

أما النقطة الثالثة وهي قضية إنجاب أطفال عباقرة فهي أمر ممكن ، وليس محلاً للآية الكريمة ، بل هو أمر مطبق في عالم الحيوان . وفي الإسلام ما يؤيده من حيث إمكانية الوقوع ، لا من حيث الشكل والطريقة التي تقع عند الغربيين ، فقد ورد عن الرسول ﷺ الأمر بالنظر إلى المخطوبة حيث قال : ((فإن من أعين الأنصار شيئاً)) [1] وفي حديث آخر ((تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)) [2] ، فتحسين النوع أمر مطلوب ومرغوب فيه ، ولكن أن يحدث هذا بأسلوب تتبناه الدول بقصد أن يؤدي هذا إلى التخلص من الأفراد أصحاب الصفات غير الجيدة بأية طريقة كانت ، فهذا أمر مرفوض ولكن يقبل إذا اتبع له الطريق العادي بأن يختار الشخص الجيد المرأة الجيدة فيتزوجها زواجاً لا أن تتم علميات التلقيح أو تنشأ (بنوك) لحفظ الحيوانات المنوية فهذه من أبشع الأشياء التي أفرزتها الحضارة العلمية غير المتقيدة بالتعاليم الربانية ، بل هي تعبير عن الفساد الخلقي المنتشر بينهم . فالإسلام لا يقول بالفكرة التي نادى بها هتلر وهي إبادة الأغنياء ، وبقية الناس من غير أصحاب الذكاء [3] ، فهذا شيء يعطل مقاصد الحياة وهو غير متوقع حدوثه ، إذْ أن في اختلاف الناس

---

١ . في صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٤٠ عن أبي هريرة قال كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : (أنظرت إليها) قال : لا ، قال : فاذهب فأنظر إليها فإن في عين الأنصار شيئاً .

والمقصود بتزوجها : خطبتها .

والمقصود بالشيء الذي في أعينهم قيل الصغر وقيل الزرقة .

٢ . نص ابن ماجة في باب النكاح ٤٦ : ((تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم) أنظر المجلد الأول . طبع عيسى البابي الحلبي ص ٦٣٣ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وقال في الزوائد : في إسناده الحارث بن عمران المديني قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي والحديث الذي رواه لا أصل له يعني هذا الحديث عن الثقات وقال الدارقطني متروك .

٣ . لأن الإسلام دين رحمة وعدالة ثم إن تحول النوع البشري كله إلى نوع خارق للذكاء ربما يقود إلى دمار العالم .

من جميع النواحي (لغة ، عادات ، أفكار ، ذكاء ، علم ....) حكمة الخلق في تحقيق الابتلاء . وقد كان من بين الغربيين من رفض هذه الفكرة بطريقتها إذ عقد في عام ١٩٧٩م كما تقول جريدة السياسة الكويتية مؤتمر في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا وضم رجال علماء ورجال دين واتخذ المؤتمر موقفاً مناهضاً لمثل هذه التجارب [١].

وقال أستاذ علم الأديان والأخلاق في جامعة بوسطن الأب روبرت نيلسون إن عملاً كهذا سيؤدي كذلك إلى ممارسة الاضطهاد والتمييز ضد طبقات أخرى من الناس العاديين . وقال إن حصيلة مثل هذه الطريقة هو إيجاد طبقة مزيفة تؤدي إلى حكم النخبة والدعوى لمثل هذا الحكم [٢] .

أما النقطة الرابعة والأخيرة فإن الإسلام لا يمنع العلم من علاج الحالات الخاصة التي ابتلي بها بعض الناس من عقم أو إسقاط مستمر للجنين . ومن هذا الباب عملية التلقيح خارج الرحم لامرأة (سدت القنوات فيها) من ماء زوجها الشرعي . لكن أن يصبح الأمر مفتوحاً على مصراعيه دون حدود ولا قيود فإنه عندئذ ستنتشر المشاكل في المجتمع .

يقول الدكتور البوطي : (... فما حكم إخصاب النطفة خارج الرحم ؟ مداره في الإباحة والحرمة على أمرين اثنين :

---

١ . السياسة الكويتية العدد ٤٢٠٠ الاثنين ٢٣ ربيع ثان ١٤٠٠ آذار (مارس) ١٩٨٠ السنة الخامسة عشرة .

٢ . المرجع السابق .

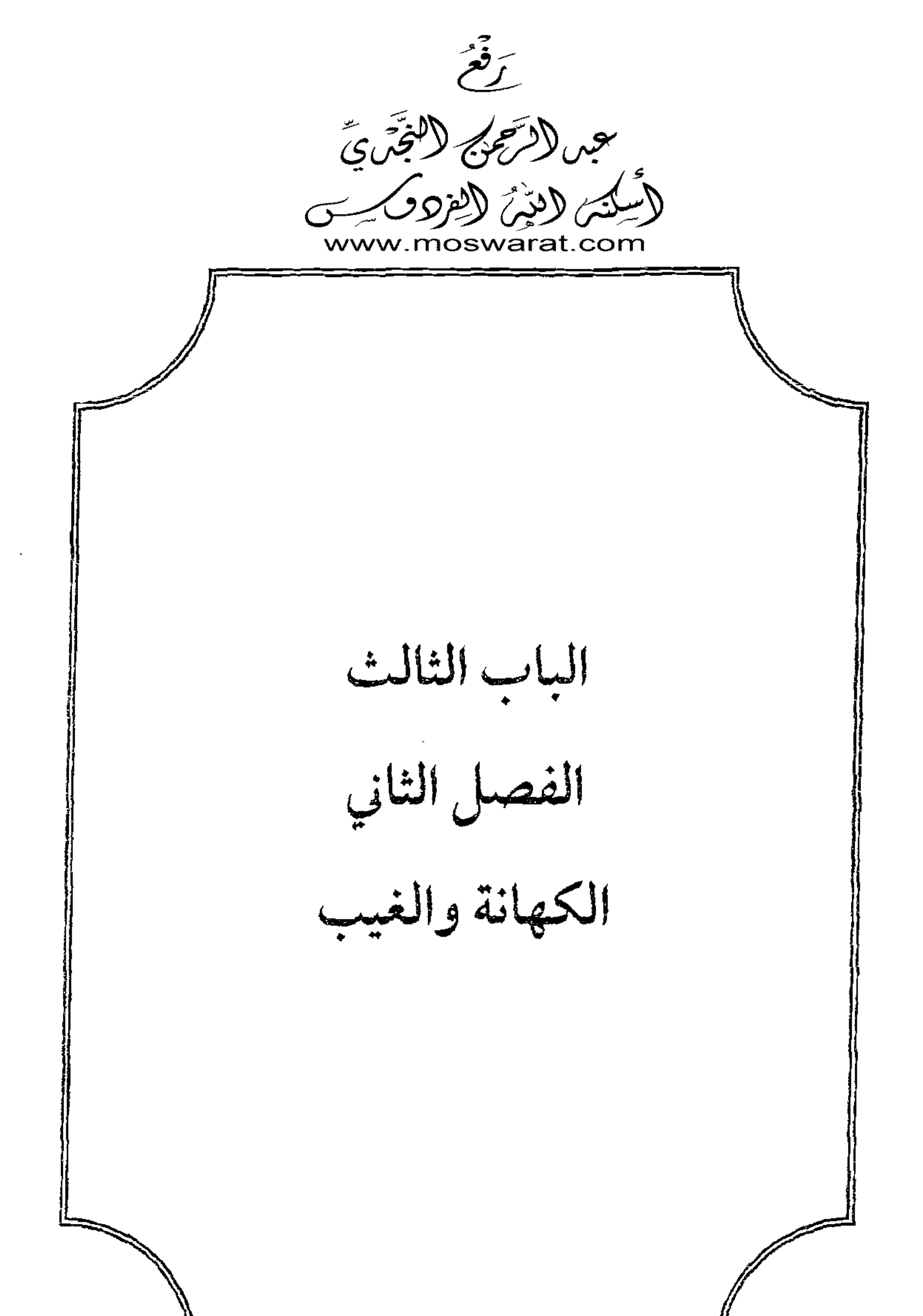
١ . أن يتأكد العلماء والأطباء تأكداً تاماً من أن هذه الطريقة لن تعقب أي ضرر جسمي أو نفسي أو عقلي في الجنين بعد ولادته فأما إذا لم يتوافر هذا اليقين فإن الإقدام على ذلك محرم بالاتفاق عملاً بالقاعدة الشرعية الكلية (لا ضرر ولا ضرار)[١] .

٢ . ألا يستتبع الإقدام على هذا العمل اختلاط في الأنساب . فإذا كانت النطفة التي يراد إخصابها بهذه الطريقة هي نطفة كل من الزوج والزوجة وتمت إعادتها بعد ذلك إلى رحم الزوجة دون غيرها فذلك جائز (بعد ملاحظة توفر الشرط الأول) وأما إذا كان الأمر غير منضبط فهو غير جائز في نطاق الأحكام الشرعية قولاً واحداً . وإنني أقول – على ضوء هذا الكلام – من الناحية التطبيقية إن علمية إخصاب النطفة خارج الرحم لا تزال في طور التجربة وذلك لأن أحداً من العلماء لم يتبين بعد انعكاسات هذه العملية على الجنين بعد ولادته . ومدى الضرر الذي يمكن أن يلحقه بسببها ، وهذا وحده كاف للقول بحرمة هذا العمل من الناحية الشرعية وخاصة أنه ذريعة إلى اختلاط الأنساب ومعلوم أن الذرائع تأخذ في الشريعة في غالب الأحيان أحكام نتائجها)[٢] .

---

١ . هذه القاعدة هي حديث للرسول ﷺ فعند ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ٧٨٤: (عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قضى أن (لا ضرر ولا ضرار) . قال المحقق في الزوائد : في حديث عباده هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع لأن اسحاق بن الوليد قال الترمذي وابن عدي : لم يدرك عبادة بن الصامت وقال البخاري لم يلق عبادة .

٢ . مجلة العربي عدد (٢٤٢) السنة ٢١ صفر ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م .



الباب الثالث

الفصل الثاني

الكهانة والغيب



تعريف الكهانة

ينحصر كلامنا في هذا الموضوع في خمس نقاط :

(١) تعريف الكهنة (٢) الكهانة عن العرب (٣) مؤيدو الكهانة (٤) اتهام الأعداء الإسلام بالكهانة (٥) الإسلام وموقفه من الكهانة .

ونبدأ بأولها وهو :

١ – تعريف الكهانة :

الكهانة مصدر كهن كمنع ونصر أو كهن مثل كرم ، والكاهن هو المتعامل بالكهانة والجمع كهن وكهان [١] . والكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها كما يقول ابن حجر [٢]. وهي ادعاء علم الغيب .

وللعلماء تعاريف للكهانة والكهان .قال ابن سيده في المحكم : الكاهن القاضي بالغيب [٣] وقال الخطابي : الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن [٤] والكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من

١ . بتصرف عن القاموس الفيروزأبادي ٤/ ٢٦٦ المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت .

٢ . فتح الباري ١٠/ ٢١٦ .

٣ . ٤/ ١٠٣ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة / علي بن اسماعيل بن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط ١ طبعة الحلبي ١٣٨٨ هـ

٤ . أنظر معالم السنن للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ط ١ ص ٢٢٨ .

سب في الأمور . وقال ابن تيمية : الكاهن هو المتحرض وقيل هو المخدوم [1] . وقال في فتح المجيد : (الكاهن هو الذي يخبر عن مسترق السمع ..) قال البغوي : (العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل هو الكاهن .. والكاهن هو الذي يخبر عن الغيبيات في المستقبل وقيل يخبر عما في الضمير ..) [2] وهناك ألفاظ أخرى قد يشكل فهمها في هذا المقام كالمنجم والرمال ونحوهم . قال ابن تيمية : إن العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ، كالحارز الذي يدعي علم الغيب أو يدعي الكشف [3]. فكلهم يدعي معرفة المستقبل ، إما عن طريق النجوم أو النظر في الرمل أو الكف أو الحصى أو غيره ، فيطلق عليهم جميعاً اسم العراف ، وإن كان لكل منهم اسم خاص حسب الطريقة التي يزعم بها معرفة المستقبل ، فإن كان عن طريق النظر في النجوم سمي منجماً وإن كان عن طريق الرمل سمي رمالاً وهكذا .

يقول صاحب كتاب التنبؤ بالغيب : (وتطلق الكهانة على الناظرين في الأجسام الشفافة في المرايا وطساس الماء وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى واهل الزجر والفأل والمنبئين عن الغيب باستنباء الطيور والسباع وأهل الرياضة والسحر وأصحاب الفراسة ونحوهم) [4] وهذا كلام طيب في بيان الطرق التي تستعمل من قبل الكهنة ، لكنه خلط الفأل والفراسة معها . أما الفأل فهذا أمر يمكن أن

---

١ . النبوات لابن تيمية ص ٢٧٠ مكتبة الرياض الحديثة .

٢ . فتح المجيد عبد الرحمن آل الشيخ مكتبة الرياض الحديثة ص ٢٩٨ تحقيق محمد حامد الفقي .

٣ . المرجع السابق .

٤ . التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً . أحمد الشنتناوي ص ٤٥ .

يمارسه كل إنسان ، وهو مرغوب في الإسلام ، والله سبحانه وتعالى يحبه كما في ورد في الحديث أنه (ﷺ) كان يعجبه الفأل [1] وعن أنس أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع ياانجيح ياراشد [2] ، وعن بريدة أن النبي (ﷺ) كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه ، فإذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه [3] وهذا فيه استعمال الفأل .

أما الفراسة فهي منحة إلهية وهبها الله لعباده على تفاوت بينهم ، وفي الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) [4] وكان أبو بكر رضي الله عنه عالماً بالأنساب [5] ، وهو نوع من الفراسة ، ومن الناس من يستدل بالآثار على الأشياء كأثر السرقة على المسروق وهذا لا شيء فيه ولا حرج ، إن كان يبذل المجهود في البحث والتقصي . والممنوع منه ما كان بالظن والتخمين والرجم بالغيب ، فعندها يطلق على فاعله كاهناً أو عرافاً كما ذكر عن البغوي في ذلك . والكهانة أربعة أنواع :

(أ) ما يتلقونه من الجن من السماء ولم يبق منه إلا الخطف كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ [الصافات: ١٠]

(ب) ما يخبر به الجني قرينه عن غيره من الناس .

(ج) الظن والتخمين .

---

١ . فتح المجيد ص ٣١٢

٢ . قال في فتح المجيد ص ٣١٢ . (رواه الترمذي).

٣ . قال في فتح المجيد ص ٣١٢ : رواه أبو داود وإسناده حسن .

٤ . مدارج السالكين .

٥ . أنظر ص ٣٣٤ ج ٢ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر .

(د) التجربة والعادة [1]

٢ – الكهانة عند العرب :

كانت الكهانة شائعة عند العرب أيام الجاهلية ، إذ كانوا يطلقون لفظ كاهن على كل من ادعى علم الغيب . لكنها ليست أصيلة عندهم بل جاءتهم من الأمم المجاورة كالكلدانيين [2] ، ومما يؤيد ذلك أن الكاهن في العربية يسمى حازي أو حزاء ، وهو لفظ كلداني معناه الناظر أو الرائي أو البصير ، وهذا يدل على أن الكهانة كانت موجودة في كل الشعوب ، وذكر صاحب كتاب مصرع الشرك [3] والخرافة نقلاً عن كتاب أسرار الأبراج أن المزارعين لم يكونوا يزرعون حبوبهم إلا بعد استشارة الكهان وكذا المحاربين . والغريب أن تكهنات الكهان كانت تصدق في بعض الأحيان .

وكان العرب يعتقدون أن للكاهن القدرة على كل شيء ، ولهذا كانت منزلة الكاهن أعلى المنازل [4] وقد ذكر الشعراء الكهان في شعرهم قال أحدهم :

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن داويتني لطبيب

وقال آخر :

جلعت لعراف اليمامة [5] حكمة وعراف نجد إن هما [6] شفياني

---

١ . أنظر هذا التقسيم في فتح الباري ج ١ ص ٢١٦ .

٢ . أنظر التنبؤ بالغيب ص ٤٤ .

٣ . مصرع الشرك والخرافة الشيخ خالد محمد علي طبع قطر ص ٦١٣ .

٤ . التنبؤ بالغيب ص ٤٤ .

٥ . عراف اليمامة هو رباح بن عجلة كما يقول صاحب (التنبؤ بالغيب) .

٦ . عراف نجد هو الأبلق الأسدي .

فقالا :

شفاك الله والله مالنا بما حملت منك الضلع يدان [١]

وقال لبيد في ذم الكهان :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع [٢]

وللعرب قصص في هذا المجال ذكرها المدائني [٣] .

وقد نبغ من العرب في الكهانة كثيرون ، مثل شق بن أنمار وسطيح بن مازن وخنافر بن التوأم الحميري ، وسواد بن قارب الدوسي ، وعمران بن عامر القحطاني وزوجته طريفة الخير كاهنة من حمير ، وكان قد أنبأ عن سيل العرم كما أخبرته زوجته [٤] .

ومن كواهن العرب أيضاً طريفة الكاهنة وزبراء الكاهنة وكاهنة حرس ، والغيطلة كاهنة بني الأسهم وكاهنة خثعم فاطمة بنت مر [٥] . ويلاحظ أن الكهانة لم تكن في الرجال وحدهم بل شاركتهم النساء . ويلاحظ أيضا أن كل كاهن كان ينسب إلى بلده ، ككاهن قريش وكاهن اليمن وكاهن حضر موت . وقد كانت الكهانة فاشية عند العرب لانقطاع النبوة فيهم [٦] ، أما بعد الإسلام فقد قل عددهم لأن الإسلام حاربها – أي الكهانة – كما سيأتي بيانه .

---

١ . التنبؤ بالغيب ص ٥٣ .

٢ . أنظر الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره ص ١٠٨ .

٣ . التنبؤ بالغيب ص ٥٦ .

٤ . المرجع السابق ص ٤٨ .

٥ . أنظر موجز تاريخ العرب والإسلام ص ٩٤ د. حسين قاسم العزيز ط ١ – ١٣٩١ هـ مكتبة النهضة – بيروت .

٦ . أنظر فتح الباري ج ١٠ ص ٢١٦ .

٣ – مؤيدو الكهانة :

والعجيب أن صاحب التنبؤ بالغيب يؤيد الكهانة فيقول : (وقد ظهرت من بني البشر في كل عصر من العصور أناس ادعوا أن لهم القدرة على التنبؤ بالغيب وقراءة المستقبل ، وقد خلعت عليهم هذه مهابة واحتراماً وتبجيلاً بين الناس ، بل قد أدنتهم هذه المقدرة من مراتب الأنبياء ، وسلكتهم في عداد أولياء الله الصالحين . ولم يقف هذا الميل أو الادعاء بالقدرة على كشف الغيب عند حد الأفراد ، بل تعداهم إلى الأمم والشعوب ، فقديماً برع الآشوريون في التنبؤ بالغيب ، وذلك عن طريق ملاحظة الكواكب والأجرام السماوية في مسالكها ، وقد مكنتهم سماؤهم الصافية من مراقبة حركاتها ، وقالوا إن لهذه الحركات دلالات على حظوظ الناس ومصائرهم . ولقد كان للمصريين القدماء نصيب وافر من هذا العلم ورثوه عن أسلافهم . أما الاغريق فكانوا لا يقدمون على أمر من الأمور إلا بعد التماس النصيحة من الآلهة واستشارة الكهنة . ومن عرافي العصور الوسطى بسترادامواس (فرنسي) ووليم ليلل (إنجليزي) وبير (الإنجليزي) وويتز ومدام تيبس (فرنسية))[١] .

ويقول : (وصدقت كثير من التبنؤات ، ولكن بعض العرافين تنبأ نبوءات كاذبة لم يتحقق منها شيء ، على أن هذه التنبؤات الكاذبة لا يجب أن تقلل من قيمة النبوءات على الإطلاق لأن الطبيب يخطيء والملاح والقائد العسكري يخطيء)[٢] .

---

١ . التنبؤ بالغيب ص ٥ .

٢ . المرجع السابق ص ١٢ .

ويقول : (إن اعتقادنا في النبؤات لا يمكن أن يموت .. إن تعلق المرأة الحديثة وكثير من الرجال بالمنجمين والعرافين وضاربي الرمل والودع يفوق كل وصف)[1] . والحق أن انتشار الكهانة بين الشعوب قديماً وحديثاً لا يرفعها إلى مستوى عال ولا يصبغها بصبغة الحق ، بل تبقى كما هو معروف عنها تصدق أحياناً وتكذب أحياناً . ونحن نشاهد كثيراً من الاشياء منتشرة بين الشعوب ، ولكنها لا تخرج من دائرة الخطأ والباطل والحرام .

أما تبرير الكاتب لأخطاء الكهان وجعلها كأخطاء الطبيب والملاح والقائد العسكري لا يغير من حقيقة كونهم حاذقين لمهنهم وأعمالهم ، لكن نحب أن نذكر المؤلف بأن عمل هؤلاء مبني على العلم بينما عمل الكهان مبني على الشعوذة والدجل .

وإن تعلق الناس بالكهان وزيارتهم لهم لا يدفعنا للقول بصحة مذهبهم ، لأن غالبية الناس تسير مع الباطل قال تعالى ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] .

٤ . اتهام الأعداء الإسلام بالكهانة :

يتهم أعداءِ الإسلامِ الإسلامَ - كغيره من الأديان - بأنه مليء بالخرافة والدجل والشعوذة والكهانة . وهذا الادعاء وإن كان أكثر ما يتردد على ألسنة العصريين إلا أن قدماء الأعداء ذكروه ، فقد اتهموا الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنهم سحرة ومسحرون كما حكى الله تعالى بقوله ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢] و ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧]. و ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] و ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٤٢]، ويلاحظ أن اتهاماتهم متناقضة

---

١ . المرجع السابق ص ١٦ .

فبينما يتهمون الرسول بأنه ساحر نراهم يطلقون عليه كلمة مسحور في نفس الوقت ، ويتهمونه بأنه كاهن وبنفس الوقت يقولون عنه مجنون .

وأعداء الإسلام يتهمون الإسلام بنفس التهم القديمة فيا عجباً كيف يهاجمون الرجعية وهم أول الرجعيين ؟ وكيف يطالبون بالتقدم ولا يزالون يعيشون على فتات القديم ؟ إن الإنسان يعجب لاتفاق التهم التي أطلقوها قديماً وحديثاً وكأن بعضهم أوصى بعضاً كما قال تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٣] يقول الملحدون في الكراسة الرمادية [1] التي نشرها الفوضويون الماديون في العراق (.. بل إن القرآن حافل بالشعوذة والدجل كما أن الإسلام خليط من القصص والأساطير والروايات ونبوءات كهنة العرب القدماء ومنجميهم) ، ونقلت الكراسة عن [ل . ي . كلموفيتش] السوفيتي في بحث له بعنوان (الإسلام نشأته ومستقبله) إذ يقول : (.. مما يدل على احتفاظه بشعوذات ونبوءات كهنة العرب القدماء ومنجميهم) . وها هو أحد زعماء البلاد الإسلامية يصرح أن في القرآن خرافات وأساطير كقصة أهل الكهف وعصا موسى وقد تولى الرد عليه بعض العلماء جزاهم الله خيراً . إنني أعجب من هؤلاء كيف يتهمون الإسلام وهو الذي شن الحرب عليها ونصوصه مليئة بذمها وتحريمها كما سيأتي بالنسبة للكهانة . إنه لا يوجد في الإسلام نص صحيح يدعم الخرافة ويؤيدها ، ولو كان الإسلام خرافة لكان الأولى أن لا يهاجمها أو يسكت عنها ، ولكنه هاجمها ولم يسكت عنها . وهؤلاء الأعداء لا سند لهم من

---

١ . ذكر الكراسة الرمادية محمد عبد المنعم الخفاجي في كتابه (الرد على الملحدين) دار الكرنك ١٨٨١ هـ القاهرة ص ١٥ .

تاريخ في اتصال رسول الإسلام محمد ﷺ بالكهان والتعامل معهم ، ولم ينقل التاريخ شيئاً عن ممارسته الكهانة فكيف يكون الإسلام كهانة ؟! .

إن أعداء الإسلام هم أعرف الناس بالحقيقة ، فرغم التهم التي يطلقونها إلا أنهم فيما بينهم وبين أنفسهم يعرفون الحق ، ومما يدل على هذا ما رواه ابن كثير في البداية والنهاية قال : قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير – أو عكرمة عن ابن عباس – أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفراً من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر المواسم فقال : إن وفود العرب ستقوم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد القول قول بعضكم بعضاً فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به ، فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا : نقول كاهن ؟ فقال : ما هو بكاهن رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان ..)[1] ومما يدل على معرفة الأعداء أن الإسلام حق قول أبي جهل (فقد أخرج البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني مشيت أنا وأبو جهل في بعض أزقة مكة ، إذا لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل : يا أبا الحكم هلمّ إلى الله ورسوله أدعوك إلى الله . فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم ما تقول حق لاتبعتك ، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فقال : والله إني لأعلم أن ما يقوله حق ، ولكن يمنعني شيء . أن بني قصي قالوا : فينا الحجابة ؟ قلنا نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية ؟ قلنا : نعم ، ثم قالوا فينا النبوة . فقلنا نعم ، ثم

---

١ . البداية والنهاية لابن كثير دار المعارف بيروت ط ١ ١٨٨٦ هـ ج ٣ ص ٦١ .

قالوا فينا اللواء ؟ فقلنا نعم ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي . والله لا أفعل) وأخرجه ابن أبي شيبة بنحوه [1] .

وروى البخاري ومسلم قصة أبي سفيان عند هرقل كما حدث بها أبو سفيان عن ابن عباس ومنها سؤال هرقل لأبي سفيان هذا ، قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا وفي آخر القصة يقول هرقل لأبي سفيان ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا ، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس والكذب على الله .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية رضي الله عنه قال : خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفاً هند وخرجت أسير أمامها وأنا غلام على حمارة لي ، إذ سمعنا رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان : أنزل يا معاوية حتى يركب محمد فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة ثم التفت إلينا فقال : يا أبا سفيان بن حرب ، ويا هند بنت عتبة ، والله لتموتن ثم لتبعثن ثم ليدخلن المحسن الجنة ، والمسيء النار ، وأنا أقول لكم بحق وأنكم لأول من أنذرتم ثم قرأ رسول الله ﷺ : (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم ... حتى بلغ قالتا أتينا طائعين) فقال له أبو سفيان : أفرغت يا محمد ؟ قال : نعم ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها وأقبلت هند على أبي سفيان : ألهذا الساحر أنزلت ابني ؟ قال : لا والله ما هو بساحر ولا كذاب)) أخرجه الطبراني أيضاً .

---

١ . أنظر هذه الأقوال كلها ١ / ٢٢ ((الرسول)) لسعيد حوى مؤسسة الرسالة ط ٣ / ١٣٩١ هـ .

٥ . موقف الإسلام من الكهانة :

قال تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣] ، وقال ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١ – ٤٢] وقال ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت الذي في بطنها ، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة ، فقال وليّ المرأة التي غرمت : كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك بطل ؟ فقال النبي ﷺ : إنما هذا من إخوان الكهان [١] . وعن عائشة قالت سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهانة فقال إنهم ليسوا بشيء . فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً فيكون حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرأها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة [٢] . وقال ﷺ لما قيل له إن منا قوماً يأتون الكهان قال فلا يأتوهم [٣] وكان

---

١ . فتح الباري ١٠/ ٢١٦ .

٢ . رواه مسلم وفي لفظ البخاري (سأل ناس رسول الله) أنظر البخاري مع الفتح ١٠/ ٢١٦ .

٣ . أنظر مسلم ٤/ ١٧٤٩ والحديث مروي بالمعنى .

ابن صياد[1] كاهناً ولهذا قال له النبي ﷺ قد خبأت لك خبياً فقال الدخ : فقال: اخسأ فلن تعدو قدرك إنما أنت من إخوان الكهان[2] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد))[3] وقال ﷺ : ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))[4] وفي رواية ((من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد))[5] وقال : ((ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن عقد عقدة أو قال عقد عقدة ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))[6] . وعن ابن مسعود قال: ((نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن))[7] وقال : ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين يوماً))[8] .

---

١ . عبد الله بن صياد وقد ظنه الصحابة الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان وقد خبأ له سورة الدخان . في الصحيحين اسمه صافي .

٢ . النبوات لابن تيمية ص ٢٧٠ .

٣ . قال في مجمع الزوائد ٥/ ١١٧ (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان وهو ضعيف) .

٤ . رواه مسلم ٤/ ١٧٥١ ط دار إحياء الكتب العربية .

٥ . قال ابن حجر في الفتح ١٠/ ٢١٧ (أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة) .

٦ . قال في مجمع الزوائد ٥/ ١١٧ (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة) .

٧ . البخاري مع الفتح ١٠/ ٢١٦ .

٨ . قال ابن حجر في الفتح ١٠/ ٢١٧ (رواه الطبراني بسند لين عن أنس) .

يتبين من النصوص السابقة موقف الإسلام من الكهانة ويتلخص فيما يلي :

١ . الكهانة أمر واقع موجود لا ينكر وجوده .

٢ . الكهانة عبارة عن أخذ المعلومات من القرين الجني الذي يسترق السمع وكانوا قبل البعثة كثيراً أما بعدها فقليل .

٣ . يحرم الإسلام ممارسة الكهانة والتعامل بها ويحرم زيارة الكهان ويعتبرها من الكبائر .

قال ابن عبد البر في الكافي كما رواه عنه القرطبي [١] : (من المكاسب المجتمع على تحريمها : .. وعلى الكهانة وادعاء علم الغيب وأخبار السماء) .

٤ . مصدق الكهان كافر [٢] في الإسلام فضلاً عن عدم قبوله صلاته أربعين يوماً .

٥ . ليس كل ما يصدر عن الكهان صحيحاً بل يخلطون مع كلمة الحق مائة كذبة .

٦ . حقارة الكهان حيث اقترن ذكرهم بالكلب والبغي .

٧ . استشكال بعض الناس أمر النبوة بالكهانة فلزم توضيحها .

٨ . ذم الكهانة والتشبه بها حيث ذمه بقوله (إنما هذا من إخوان الكهان) .

وقد فصل موضوع الفرق بين النبوة والكهانة شيخ الإسلام ابن تيمية نلخصه فيما يلي :

١ . آيات الأنبياء لا يقدر عليها الجن والإنس بخلاف عمل الكهان .

٢ . آيات الأنبياء لا يمكن معارضتها بخلاف عمل الكهان .

---

١ . أنظر تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣ .

٢ . كفراً عملياً وإذا اعتقد أن الكاهن يغير في القدر ويتصرف فهو كفر اعتقادي .

٣ . آيات الأنبياء خارقة لعادات الإنس والجن بخلاف خوارق الكهان .

٤ . خوارق الكهان تنال بأفعالهم بخلاف آيات النبوة إذ هي بيد الله .

٥ . تعاليم النبي تتفق مع تعاليم الأنبياء قبله ، بخلاف تعاليم الكهان ، إذ تتضارب مع تعاليم الأنبياء .

٦ . النبي لا يأمر إلا بالخير بخلاف الكهان [١]

يقول شارح الطحاوية : (الواجب على ولي الأمر ، وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصي والقرع والقالات ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك) [٢]

وفي الختام أنبه إلى أن ما يكتب في الصحف اليومية عن موضوع الأبراج والحظوظ أمر يرجع إلى الكهانة وأن هذا لا يتفق مع مطالب أهل التحضر والتقدم .

وأشير إلى أن كلمة الصدق الواحدة التي يخالطها الكهان مع المائة كذبة قد دلت على الغيب فقد تكهن هؤلاء وقالوا بقرب ظهور الرسول ﷺ وهذه من كلام الحق الذي يخلطونه بالباطل . فالكهانة ليست على ديننا وليس الإيمان بالغيب إيمانا بالكهانة وإن كانت الكهانة تدل على الإيمان بالغيب .

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

١ . بتصرف عن ((النبوات)) لابن تيمية ص ٢٨١ .

٢ . أنظر ص ٥٦٨ شرح العقيدة الطحاوية ط ٤ تخريج الألباني وتحقيق جماعة من العلماء . المكتب الإسلامي .

قائمة المراجع

١.القران الكريم.

٢.الأعلام/ الزركلي ط٢.

٣.الإصابة في تمييز الصحابة-ابن حجر-تحقيق محمد علي البجاوي/ الطبعة المصرية.

٤.أحكام القرآن - ابن العربي _ تحقيق محمد علي البجاوي / الطبعة الثانية _ الحلبية

٥. إحياء علوم الدين _ أبو حامد الغزالي _ تخريج الحافظ العراقي/ طبع لجنة الثقافة الاسلامية

٦. الإسلام_ سعيد حوى _ تحقيق وهبي سليمان الفاوجي / الطبعة الاولى سنة ١٣٨٩هـ

٧. الله والإنسان _ عبد الكريم الخطيب/ الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ . دار الفكر العربي_ مطبعة السنة الحمدية_ القاهرة

٨. الأصنام_ ابن الكلبي _ تحقيق أحمد زكي باشا/ المطبعة الأميرية القاهرة سنة ١٣٣٢هـ

٩. الله_ عباس محمود العقاد_ الطبعة الخامسة -دار المعارف بمصر.

١٠. الإنسان ذلك المجهول- إلكسيس كاريل - ترجمة عادل شفيق.

١١. الله يتجلى في عصر العلم-مجموعة من العلماء ط ٣ نشر مؤسسة الحلبي / القاهرة

١٢. الإسلام والمباديء المستوردة- عبد المنعم النمر -الطبعة الأولى سنة١٣٨٠هـ - دار القلم - القاهرة

١٣. الإنسان في القرآن الكريم -العقاد - دار الهلال

١٤. اسلامنا -سيد صادق -دار الفكر - بيروت

١٥. الإسلام يتحدى -وحيد الدين خان - الطبعة السادسة سنة ١٣٩٦هـ . دار المختار الاسلامي - القاهرة

١٦. إعلام الموقعين - ابن القيم

١٧. الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر - سيد محمد موسى

١٨. الإنسان في العلم الحديث - جوليان هكسلي - ترجمة حسن خطاب . مكتبة النهضة المصرية

١٩ . الإنسان الحائر بين العلم والخرافة / د. عبد المحسن صالح

٢٠ . أساس البلاغة – الزمخشري

٢١ . الاحتجاج بالقدر – ابن تيمية – تحقيق زهير الشاويش – المكتب الاسلامي – بيروت

٢٢ . أسد الغابة في معرفة الصحابة – ابن الأثير جمعية المعارف

٢٣ . الإعلام بقواطع الإسلام – ابن حجر المكي الهيثمي – الطبعة المصرية سنة ١٣٥٦ هـ

٢٤ . الإيمان والحياة – يوسف القرضاوي – الطبعة الخامسة – مكتبة وهبة بمصر

٢٥ . الله ذاتاً وموضوعاً – عبد الكريم الخطيب – الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ . دار الفكر العربي

٢٦ . الإنسان روح لا جسد – رؤوف عبيد. ط ٣ مطبعة نهضة مصر

٢٧ . إرشاد الفحول إلى علم الأصول – الشوكاني – الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ. طبعة الحلبي

٢٨ . الإحكام – سيف الدين الآمدي – سنة ١٣٨٧ هـ – مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر

٢٩ . الإيمان – أبو الأعلى المودودي –دار الخلافة للطباعة والنشر

٣٠ . أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر – زهير ميرزا – الطبعة الثانية

٣١ . أسس الصحة النفسية – عبد العزيز القوصي – الطبعة الثانية – مكتبة النهضة.

٣٢ . الإيمان – – د/ محمد نعيم ياسين – مكتبة الأقصى – عمان الطبعة الأولى .

٣٣ . الإيمان وأثره في نهضة الشعوب – يوسف العظم – الطبعة الثالثة . الدار السعودية للنشر

٣٤ . الإيمان وأثره في حياة الإنسان – حسن الترابي. ط ١ دار القلم/ الكويت.

٣٥ . الأئمة الأربعة – أحمد الشرباصي – دار الجيل – بيروت.

٣٦ . الله – مصطفى محمود – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ . دار العودة – بيروت.

٣٧ . الله – سعيد حوى – مكتبة وهبي. القاهرة.

٣٨ . الله بين الفطرة والدليل – محمد حسين آل ياسين – الطبعة الخامسة مطبعة الجبلاوي – بمصر.

٣٩ . الإسلام ونظرية داروين – محمد أحمد باشميل – الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ.

٤٠ . الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين – القرضاوي والعسال – الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ - مكتبة المنار – الكويت .

٤١ . الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره – يوسف علي.

٤٢ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب – أبو عمر يوسف عبد الله القرطبي المالكي. مكتبة نهضة مصر تحقيق علي البجاوي.

٤٣ . بذل المجهود في حل أبي داود – المحدث الهندي السهارنفوري – طبعة الهند سنة ١٣٩٢هـ.

٤٤ . البداية والنهاية – ابن كثير الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨هـ. مكتبة المعارف – بيروت.

٤٥ . بين الإلحاد والتوحيد – عبد العزيز حسين – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ .

٤٦ . البدء والتاريخ- أبو زيد محمد بن سهل البلخي المقدسي. مطبعة برطرند بفرنسا – مكتبة المثنى – بغداد.

٤٧ . تفسير الرازي – الطبعة الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – بطهران.

٤٨ . تفسير الطبري- الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ - دار المعرفة – بيروتز وطبعة دار المعارف بمصر تحقيق محمود شاكر.

٤٩ . التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً –أحمد الشنتناوي –دار المعارف–بمصر.

٥٠ . تفسير المنار–محمد رشيد رضا – الطبعة الثانية – مطبعة المنار المصرية.

٥١ . التصوف الاسلامي والإمام الشعراني –طه عبد الباقي سرور – مطبعة نهضة مصر

٥٢ . تبسيط العقائد الإسلامية- حسن أيوب – الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ.

٥٣ . تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين–الراغب الاصفهاني تحقيق أحمد حسين كعكو- المطبعة العربية – حلب.

٥٤ . التأملات في الفلسفة الأولى- ديكارت – ترجمة عثمان أمين. مكتبة الأنجلو المصرية.

٥٥ . تاريخ عمر بن الخطاب–ابن الجوزي- تحقيق أسامة عبد الكريم الرفاعي دار إحياء علوم الدين.

٥٦ . تعريف عام بدين الإسلام – علي الطنطاوي –الطبعة السادسة سنة ١٣٩٤هـ مؤسسة الرسالة – الطبعة السابعة دار الرائد.

٥٧ . توحيد الخالق- مجموعة من الأساتذة - الطبعة الثانية.

٥٨ . جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني- علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي – الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ دار الكتاب العربي – بيروت.

٥٩ . الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ط ٣.

٦٠ . الجواهر في تفسير القرآن الكريم –طنطاوي جوهري- الطبعة الثانية. مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٦١ . الجويني إمام الحرمين-الدكتورة/ فوقية حسين . ط٢

٦٢ . الحياة بعد الموت- رضا المطوف السماوي-الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ دار الزهراء – بيروت

٦٣ . الحجاب- المودودي دار الفكر

٦٤ . حرب أم سلام – جون فرستر دالاس- طبع القاهرة.

٦٥ . حياة محمد- محمد حسين هيكل سنة ١٣٨٥هـ- الطبعة التاسعة. مكتبة النهضة المصرية.

٦٦ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم الأصفهاني- الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ دار الكتاب العربي.

٦٧ . حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون- عبد المنعم خفاجي-الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ- دار الانتصار.

٦٨ . حوار بين الإلهيين والماديين- محمد الصادقي- دار التراث الإسلامي بيروت.

٦٩ . دراسات في النفس الإنسانية – محمد قطب. دار الشروق.

٧٠ . دائرو معارف القرن العشرين-محمد فريد وجدي- الطبعة الثالثة.

٧١ . دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين-محمد الغزالي الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥هـ - دار الكتب- مطبعة حسان-القاهرة.

٧٢ . رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان – عبد الكريم عثمان .

٧٣ . ركائز الإيمان – محمد الغزالي سنة ١٣٨٧ هـ مكتبة الأمل – الكويت . مطبعة الجبل بلبنان

٧٤ . الروح- ابن القيم – الطبعة الثانية – مطبعة محمد علي صبيح .

٧٥ . رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم بهامش جوهر المعاني – عمر بن سعد الفوشي الطوري الكدوي .

٧٦. الرد على الدهرين – جمال الدين الأفغاني – تحقيق محمود أبو رية – دار الكرنك – القاهرة – مطبعة الوحدة .

٧٧. رجال الفكر والدعوة في الإسلام – أبو الحسن الندوي – ط ٣ دار القلم بالكويت .

٧٨. الرياض النضرة في مناقب العشرة – أبو جعفر الطبري – الطبعة الأولى – مطبعة الناجي بمصر .

٧٩. الرد على الملحدين – محمد عبد المنعم خفاجي – سنة ١٣٨١هـ – دار الكرنك – القاهرة – مطبعة الوحدة .

٨٠. الرد القويم على ملحد القصيم – عبد الله بن علي بن باديس – مطبعة الإمام بمصر .

٨١. رسائل إخوان الصفا – إخوان الصفا – دار صادر ودار بيروت .

٨٢. رحلتي من الشك إلى اليقين – د . مصطفى مراد – دار العودة – بيروت.

٨٣. زاد المعاد – ابن القيم – ط ٢ الطبعة الحلبية .

٨٤. سيرة ابن هشام – الطبعة الحلبية – وطبعة دار الجيل .

٨٥. سن أبي داود – ط ١ الطبعة الحلبية .

٨٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة – الألباني .

٨٧. سنن النسائي – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ مصطفى البابي الحلبي بمصر .

٨٨. سيرة عمر بن عبد العزيز – ابن الجوزي – مطبعة المؤيد .

٨٩. سنن البيهقي – الطبعة الأولى –الهندية

٩٠. سنن الدارمي – مطبعة الاعتدال – دمشق

٩١. سنن الترمذي – الطبعة الأولى

٩٢. سنن ابن ماجة – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٩٣. السنة والعلم الحديث – عبد الرزاق نوفل – دار الشعب .

٩٤. الشفا في أحوال المصطفى – القاضي عياض – دار الوفاء للنشر والتوزيع .

٩٥. الشخصية الإسلامية – عائشة عبد الرحمن – الطبعة الأولى – دار العلم للملايين .

٩٦. شطحات مصطفى محمود – عبد المتعال جبري – دار الإعتصام .

٩٧. شرح العقيدة الطحاوية – الطبعة الرابعة – تخريج الألباني – تحقيق جماعة من العلماء – المكتب الإسلامي

٩٨. صحيح مسلم – الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري – الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ دار إحياء الكتب العربية – الطبعة الثانية – دار إحياء التراث العربي .

٩٩. شرح صحيح مسلم – النووي – نشر إدارات البحوث .

١٠٠. صقر الجزيرة – أحمد عبد الغفور العطار – ط ٥ .

١٠١. طبقات ابن سعد – طبع ١٣٨٨ هـ بيروت

١٠٢. عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري – الطبعة الأولى .

١٠٣. من هامش التاريخ المصري القديم – عبد القادر حمزة باشا – مطبعة دار الكتب المصرية .

١٠٤. عقائد المفكرين – العقاد .

١٠٥. عقيدة البعث في الإسلام – التهامي نفرة – طبع الشركة التونسية لفنون الرسم سنة ١٣٩٥ هـ .

١٠٦. عقيدة المسلم وما يتعلق بها – عبد الحميد السائح – الطبعة الأولى – مطابع وزارة الأوقاف الأردنية – عمان .

١٠٧. العقيدة وأثرها في بناء الجيل – د. عبد الله عزام – الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥ هـ مكتبة الأقصى – عمان .

١٠٨. عبقرية خالد – العقاد – الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ دار الكتاب العربي .

١٠٩. عقيدة المسلم – محمد الغزالي – مطبعة حسان .

١١٠. العقائد الإسلامية – سيد سابق – دار الكتاب العربي – بيروت .

١١١. العلم يدعو للإيمان – أ . كريس موريسون – ترجمة محمود صالح الفلكي – الطبعة السادسة سنة ١٣٩١ هـ – مكتبة النهضة بمصر .

١١٢. العقيدة الإسلامية في القرآن والسنة – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ – محمود أحمد حسين – دار القرآن بالقاهرة .

١١٣ . العقيدة الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حبنكة الميداني – الطبعة الثانية – سنة ١٣٩٦ هـ – دار القلم .
١١٤ . العقل وسطوته – ج. ب – راين – ترجمة د. محمد الحلوجي مطبعة السعادة .
١١٥ . العلم والدين – المشير أحمد عزت باشا التركي – ترجمة حمزة ظاهر – القاهرة سنة ١٣٦٩ هـ
١١٦ . العقائد الإسلامية – نديم الملاح – مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس .
١١٧ . العودة إلى الإيمان – هنري لنك – ترجمة د. ثروت عكاشة – الطبعة الثالثة – دار المعارف بمصر .
١١٨ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – الطبعة السلفية .
١١٩ . الفتح الرباني – أحمد الساعاتي – الطبعة الأولى – مطبعة الإخوان المسلمين .
١٢٠ . الفتاوى – ابن تيمية .
١٢١ . فتوح الغيب – عبد القادر الجيلاني – مخطوط بجامعة الإمام برقم ٦٨٤ بتصرف .
١٢٢ . الفصل في الملل والأهواء والنحل – ابن حزم – الطبعة الثانية – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .
١٢٣ . الفلسفة الوجودية – زكريا إبراهيم – دار المعارف بمصر
١٢٤ . فلسفة أوجست كنت – ليفي بريل – ترجمة د محمود قاسم ود السيد محمد بدوي – مكتبة الأنجلو بمصر .
١٢٥ . فلسفتنا – محمد باقر الصدر – الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٣ هـ دار الفكر
١٢٦ . في ظلال القرآن – سيد قطب – الطبعة السابعة سنة ١٣٩٨ هـ – دار الشروق .
١٢٧ . الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – محمد البهي – الطبعة الثامنة .
١٢٨ . فتح المجيد – عبد الرحمن آل الشيخ – تحقيق محمد حامد الفقي – مكتبة الرياض الحديثة .
١٢٩ . القرآن وقضايا الانسان – عائشة عبد الرحمن – الطبعة الثانية – دار العلم للملايين .
١٣٠ . قصة الحضارة – ول ديورانت – ترجمة محمد بدران – نشر الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية – مطابع الدجوي – القاهرة ط ٤ .
١٣١ . قصة الإيمان – نديم الجسر – ط ٣ المكتب الإسلامي .

١٣٢ . قصة الفلسفة اليونانية – أحمد أمين وزكي نجيب – مطبعة لجنة التأليف والتوزيع .

١٣٣ . القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون – مصطفى صبري – مطبعة عيسى البابي الحلبي – بمصر سنة ١٣٦١ هـ .

١٣٤ . القاموس المحيط – الفيروز آبادي – المؤسسة العربية للطباعة والنشر – ط ٢ دار الجيل تحقيق عبد الستار أحمد فراج .

١٣٥ . قبسات من الرسول – محمد قطب – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ هـ

١٣٦ . كبرى اليقينيات الكونية – محمد سعيد رمضان البوطي – ط ٥ دار الفكر .

١٣٧ . الكتاب المقدس – الطبعة الثانية سنة ١٨٨٣م – مطبعة المرسلين اليسوعيين – بيروت .

١٣٨ . لسان العرب – لابن منظور – دار صادر للطباعة والنشر – سنة ١٣٨٨ هـ ودار بيروت للطباعة والنشر .

١٣٩ . لزوم ما لا يلزم – المعري – تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي – مكتبة الهلال – بيروت ومكتبة الخانجي بالقاهرة .

١٤٠ . مسند الإمام أحمد – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ المكتب الإسلامي .

١٤١ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي .

١٤٢ . مجمع الزوائد – الهيثمي ط ٢ دار الكتاب العربي بيروت .

١٤٣ . مفردات غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – تحقيق محمد سيد كيلاني – مصطفى البابي الحلبي .

١٤٤ . المنتقى – الباجي – الطبعة الأولى سنة ١٣٣١ هـ مطبعة السعادة بمصر .

١٤٥ . موقف العلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين – مصطفى صبري – نشر المكتبة الإسلامية سنة ١٣٦٩ هـ .

١٤٦ . من مفاهيم القرآن – محمد البهي – الطبعة الأولى – مكتبةالإستقلال الكبرى بمصر .

١٤٧ . مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه – جناح بن حبيش – المطبعة الرحمانية .

١٤٨ . الملل والنحل – الشهرستاني –مطبعة حجازي بمصر – سنة ١٣٦٨ ط ١

١٤٩ . مشاهد القيامة في القرآن – سيد قطب – دار الشروق

١٥٠ . المستصفى في علم الأصول – أبو حامد الغزالي – الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢ هـ المطبعة الأميرية ببولاق – مصر

١٥١ . الموطأ – الإمام مالك بن أنس – الطبعة الأولى – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار النفائس .

١٥٢ . المستدرك على الصحيحين – الحاكم النيسابوري – مكتبة المطبوعات الإسلامية / حلب .

١٥٣ . الموافقات – الشاطبي – المطبعة السلفية بمصر .

١٥٤ . مدارج السالكين – ابن القيم – تحقيق محمد حامد الفقي – دار الكتاب العربي .

١٥٥ . معالم في الطريق – سيد قطب – دار الشروق .

١٥٦ . مختصر تفسير ابن كثير – محمد علي الصابوني – دار القرآن الكريم .

١٥٧ . مجموعة التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – نشر دار الإفتاء / السعودية .

١٥٨ . مقدمة ابن خلدون .

١٥٩ . المحكم والمحيط الأعظم في اللغة – علي بن إسماعيل بن سيده – الطبعة الأولى – سنة ١٣٨٨ هـ – تحقيق عبد الستار أحمد فراج – طبعة الحلبي .

١٦٠ . معالم السنن – الخطابي أبو سليمان البشتي – الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢ هـ المطبعة العلمية بحلب .

١٦١ . مصرع الشرك والخرافة – الشيخ خالد محمد علي – طبع قطر مطابع الدوحة .

١٦٢ . موجز تاريخ العرب والإسلام – د. حسين قاسم عبد العزيز – الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ مكتبة النهضة – بيروت .

١٦٣ . نقد العقل المجرد – كانت – ترجمة أحمد الشيباني دار اليقظة العربية – بيروت .

١٦٤ . النبوات – ابن تيمية – مكتبة الرياض الحديثة .

١٦٥ . نقد أوهام المادية الجدلية – محمد سعيد رمضان البوطي – ١٣٩٨ هـ دار الفكر .

١٦٦ . نظرية التطور بين العلم والدين – علي أحمد الشحات – طبع مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

١٦٧ . الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الباقلاني ط ٢ مؤسسة الخانجي .

١٦٨ . صراع مع الملاحدة حتى العظم . لعبد الرحمن الميداني دار القلم دمشق بيروت ط ١ .

المجلات والصحف

١ . مجلة الأزهر / مجلد ١ عدد ١ صفر سنة ١٣٤٩هـ .

٢ . مجلة العربي عدد ٢٤٢ السنة الحادي والعشرين .

٣ . السياسة الكويتية عدد ٤٢٠٠ السنة الخامسة عشر .

٤ . الشرق الأوسط عدد ١٦٨ السنة الأولى .

الفهرس

المقدمة ٥
الفصل الأول ٧
حقيقة الغيب لغة واصطلاحاً ٧
الباب الأول – الفصل الأول ١٥
خصائص الغيب ١٥
إخباره صلى الله عليه وسلم بمغيبات هي من أعلام النبوة ١٨
هل يعلم غير الرسل شيئاً من الغيب ؟ ٣٠
الأمور التي تدخله في دائرة الغيب ٣٨
أقسام الغيب ٤٠
مفاتح الغيب ٤٤
رسالات الرسل والغيب ٤٦
الباب الأول – الفصل الثاني : موقف الناس من الغيب ٥١
موقف الناس من الغيب ٥٣
الفريق المؤيد لعقيدة الغيب ٥٤
الإنسان الأول ٥٥
الفراعنة ٥٥

اليونان ٥٧
الهند ٦١
السومرين ٦٢
البابليون ٦٣
الآشوريون ٦٤
فارس ٦٤
الصين واليابان ٦٥
القبائل الهمجية ٦٦
العرب ٦٦
الفلاسفة المحدثون ٦٩
علماء الفنون ٧٠
الفريق المنكر لعقيدة الغيب ٧٣
الباب الثاني الفصل الأول: ضرورة الإيمان بالغيب ٨١
ضرورة الإيمان بالغيب ٨٣
الضرورة البشرية ٨٤
الضرورة الاجتماعية ٩٠
الضرورة الأخلاقية ٩٣
الضرورة السياسية ٩٩
الضرورة الاقتصادية ١٠٣
الضرورة القانونية ١٠٧

الضرورة العقلية ١١٠
الضرورة الفطرية ١١١
الضرورة الإسلامية ١١٢
الباب الثاني : الفصل الثاني: تكوين الإنسان وعلاقته بالغيب : ١١٥
تكوين الإنسان وعلاقته بالغيب ١١٧
الباب الثاني : الفصل الثالث: مصادر معرفة الغيب : ١٣١
مصادر معرفة الغيب ١٣٣
١ - الحس ١٣٤
٢ - قوة التخيل ١٣٧
٣ - العقل ١٣٨
٤ - التجربة ١٤١
٥ - نظرية الفطرة ١٤٣
٦ - الكشف ١٤٥
٧ - تحضير الأرواح ١٤٨
٨ - نظرية الاستذكار الأفلاطونية ١٥٩
٩ - نظرية الانتزاع ١٦٠
١٠ - النظرية الإسلامية ١٦١
الباب الثاني : الفصل الرابع : أثر الإيمان بالغيب في حياة الإنسان ١٧١
أثر الإيمان بالغيب ١٧٣
أثر الإيمان بالغيب في حياة الفرد ١٧٣

أثر الإيمان بالغيب في الطمأنينة ١٨٥
أثر الإيمان بالغيب في أخلاق الفرد ٢٠٦
أولاً : التحرر ٢٠٦
ثانياً : الرحمة ٢٠٧
ثالثاً : الصبر ٢١٠
رابعاً : الصدقة ٢١١
خامساً : العمل ٢١٢
سادساً : الحب ٢١٤
سابعاً : الجهاد ٢١٧
أثر الإيمان بالغيب في حياة الجماعة ٢٢٩
أولاً : الناحية الاقتصادية ٢٢٩
ثانيا : نظام الحكم ٢٣٤
الباب الثاني : الفصل الخامس: الرد على منكري الغيب ٢٣٩
الرد على منكري الغيب ٢٤١
إنكار وجود الإله ٢٤٦
الصدفة ٢٥٥
الطبيعة ٢٥٧
الكيمياء العضوية قادرة على خلق الحياة ٢٦١
قدم المادة والعالم ٢٦٢
الوحي فيض نفسي ٢٦٨

قدم المادة والعالم ٢٦٢
الوحي فيض نفسي ٢٦٨
وجود الشر ٢٧٠
خيال لا واقع ٢٧٢
الفكر نتاج المجتمع ٢٧٤
الضمير والأخلاق ٢٧٥
قيام الساعة ٢٧٩
التقدم ينفي الدين ٢٧٩
التفسير الجنسي ٢٨٢
الخوف شذوذ ٢٨٣
إنكار البعث ٢٨٤
نظرية دارون ٢٨٥
الدين أفيون الشعوب ٢٩٣
دلائل وجود الله ٣٠١
الباب الثالث: الفصل الأول: العلم والغيب ٣٠٩
العلم والغيب ٣١١
إنزال الغيث ٣٣٩
علم ما في الأرحام ٣٤١
الباب الثالث : الفصل الثاني -: الكهانة والغيب ٣٥١
١ – تعريف الكهانة ٣٥٣

٢ - الكهانة عند العرب ٣٥٦
٣ - مؤيدو الكهانة ٣٥٨
٤ - اتهام الأعداء الإسلامَ بالكهانة ٣٥٩
٥ - موقف الإسلام من الكهانة ٣٦٣
قائمة المراجع ٣٦٧
الفهرس ٣٧٧





الإيمان بالغيب

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com